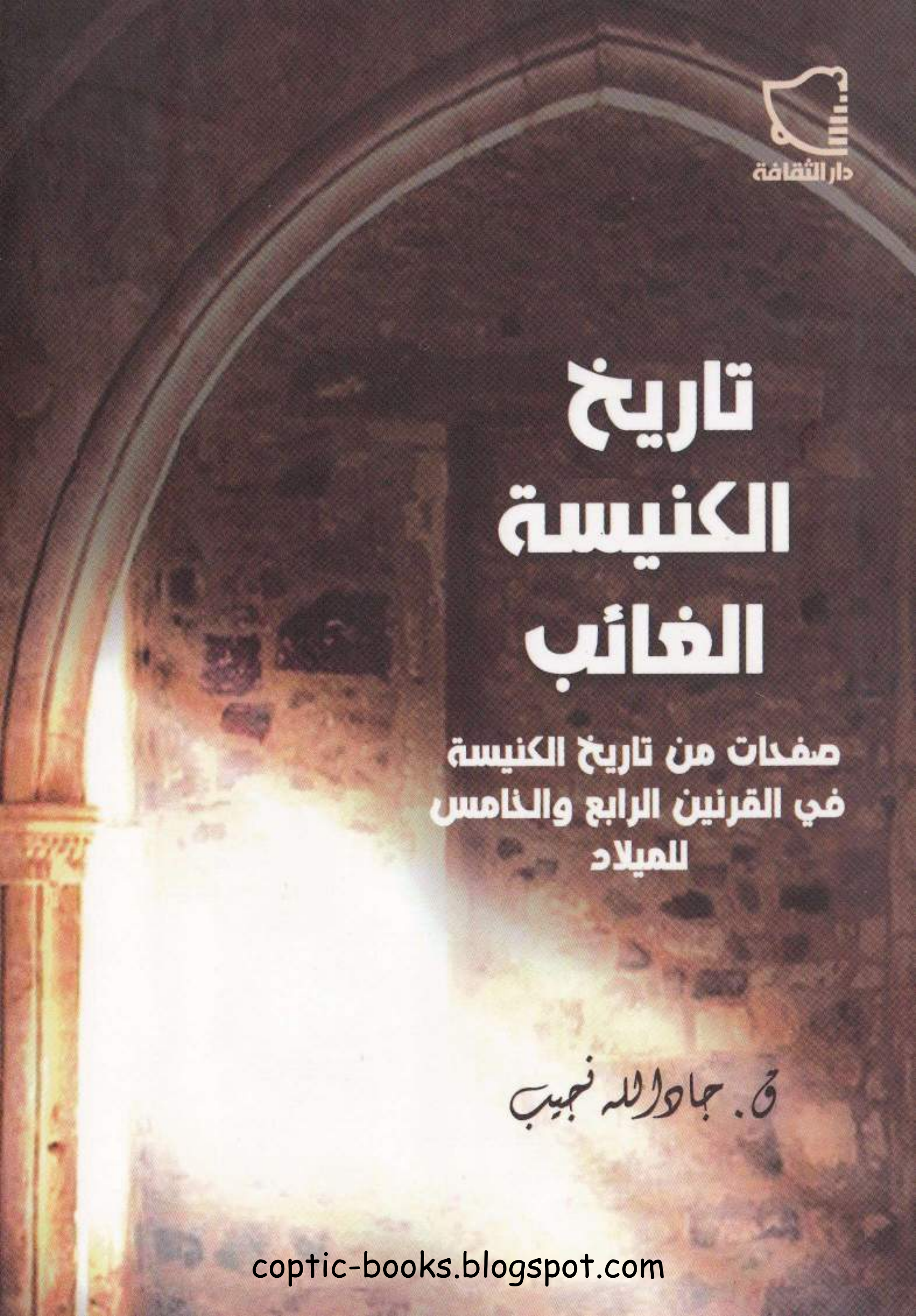

دار الثقافة

تاريخ الكنيسة الغائب

صفحات من تاريخ الكنيسة في القرنين الرابع والخامس للميلاد

ق. جاد الله نجيب

coptic-books.blogspot.com

تاريخ الكنيسة الغائب

صفحات من تاريخ الكنيسة

في القرنين الرابع والخامس للميلاد

بقلم

ق. جادالله نجيب

دار الثقافة

coptic-books.blogspot.com

الطبعة الأولى

الكتـــاب : تاريخ الكنيسة الغائب
المؤلـــف : القس جادالله نجيب
صدر عـــن : دار الثقافة - ص. ب. ١٦٢ - ١١٨١١ - البانوراما - القاهرة
رقم الإيداع : ١١٦٦٩/ ٢٠١٢
الترقيم الدولي : 6 - 900 - 213 - 977
المطبعـة : مطبعة سيوبرس ت: ٢٦٢٢١٤٢٥/٦
الإخراج الفني والجمع: دار الثقافة
تصميم الغلاف : آن مجدي
جميع حقوق الطبع أو إعادة النشر محفوظة لدار الثقافة
١٠/١١٢٢ ط١/١ - ١ / ٢٠١٢

نجيب، جادالله.
تاريخ الكنيسة الغائب: صفحات من تاريخ الكنيسة في القرنين الرابع والخامس للميلاد/ بقلم جاد الله نجيب.
- ط١. - القاهرة: دار الثقافة، ٢٠١٢
٢٤٤ ص؛ ٢٠ سم.
تدمك ٦ ٩٠٠ ٢١٣ ٩٧٧
١- الكنيسة القبطية
أ. العنوان
٢٨١,٧٢

coptic-books.blogspot.com

إهــداء

إلى الرعيل الأول الذين وضعوا اللبنة الأولى للكنيسة فصنعوا تاريخًا....

إلى الآباء الخدام والإخوة الزملاء شركاء الخدمة لنكمل هذا التاريخ.....

إلى شعب الكنيسة المستنير ليشد سواعده الروحية لنضيف صفحات جديدة لهذا التاريخ....

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

مقدمة الدار

رغم كثرة الكتب التي تحدثت عن تاريخ الكنيسة، إلا أن المكتبة المسيحية في حاجة إلى المزيد من تلك الكتب. ذلك أن كتابًا واحدًا، أو عدة كتب لا يمكن أن تحوي تاريخ الكنيسة عبر القرون و الأزمان.

إن هذا الكتاب يشرح بإسهاب قصاصة عن تاريخ الفكر المسيحي في القرنين الرابع والخامس، تلك الفترة التي ساد فيها الحوار والجدل في أمور عقائدية كثيرة منها ما يختص بطبيعة السيد المسيح من حيث اللاهوت والناسوت، وهل هي طبيعة واحدة، أم طبيعتين، أم طبيعة واحدة من طبيعتين.

وكذلك تعبير والدة الإله الذي أطلقته كنيسة الإسكندرية على العذراء القديسة مريم، ويسجل الحوار الذي دار بين كنيسة الإسكندرية وبين كنيسة أنطاكية في هذه القضايا وغيرها والتي أثارت نزاعات فكرية وعقائدية وصلت إلى حد الحرمان والعزل.

كما يشرح المنهاج الفكري الذي اتبعته كنيسة الإسكندرية ومدرستهاوالذي يتسم بالتصوف، والمنهاج الفكري لكنيسة أنطاكيا والذي اتسم بالعقلانية والمنطق.

ويسر دار الثقافة أن تقدم للقارئ بلغة الضاد هذا الكتاب الذي يغطي فترة هامة في تاريخ الكنيسة.

دار الثقافة

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

المحتويات

إهداء ٣

مقدمة الدار ٥

شكر وعرفان ١١

مقدمة للدكتور القس مكرم نجيب ١٣

تقديم الكتاب ١٥

الفصل الأول ١٩

لماذا التاريخ؟ ٢١

لماذا نهتم بدراسة التاريخ؟ ٢٢

ماهو التاريخ المقصود؟ ٢٧

ما معنى كلمة تاريخ؟ ٢٩

قراءة التاريخ العام ٣٥

ماذا أنتجت الحروب الصليبيّة للكنيسة الشرقيّة؟ ٤٢

الفصل الثاني ٤٩

تاريخ الفكر المسيحي ٥١

coptic-books.blogspot.com

التاريخ الغائب ٥٢
الفصل الثالث ٥٧
مدرسة الإسكندرية ٥٩
قادة مدرسة الإسكندرية ٦٣
أثيناغوراس ٦٣
بنتنيوس ٦٥
أكليمندس الإسكندري ٦٦
العلامة أوريجانوس ٦٨
أثناسيوس الرسولي ٧٣
كيرلس عمود الدين ٨٥
الفصل الرابع ١١٥
مدرسة أنطاكية ١١٧
قادة مدرسة أنطاكية ١٢٠
لوقيانوس Locion ١٢٠
ديودوريوس الطرسوسي ١٢٤
ثيودوريوس الموبسيوستي ١٢٥
يوحنا فم الذهب ١٢٨

coptic-books.blogspot.com

نسطوريوس ١٣٦

الفصل الخامس ١٥١

العلاقة بين مدرسة الإسكندرية ومدرسة أنطاكية ١٥٣

منهج الإسكندرية ومنهج أنطاكية ١٥٤

اللاهوت الشرقي ١٥٨

اللاهوت الصوفي ١٥٩

خلفيات حددت العلاقة بين كنيستي الإسكندرية وأنطاكية ١٦١

آريوس ١٦٤

أبوليناريوس ١٦٨

الفصل السادس ١٧٩

أسباب الخلاف بين المدرستين ١٨١

اللغة ١٨٢

التمسك بكلمات قالها الآباء ١٨٧

لقب أم الإله ١٨٨

السعي للسيادة والنفوذ ١٩٠

الفصل السابع ١٩٥

إعادة الوحدة عام ٤٣٣م ١٩٧

coptic-books.blogspot.com

رؤيـــة معاصرة للأحداث ١٩٨

الفصل الثامن ٢٠٥

مصر وحركة التنوير عند محمد علي ٢٠٧

قراءة تاريخ الكنيسة الإنجيليّة بمصر ٢١١

الفصل التاسع ٢٢٧

أخلاقيات الحوار والجدل اللاهوتي ٢٢٩

مراجع الكتاب ٢٣٩

coptic-books.blogspot.com

شكر وعرفان

نما إلى علمي من بعض الآباء الأفاضل، والزملاء الأجلاء، وأنا أكتب في مرحلة متقدمة من هذا الكتاب، أن هناك نخبة من المهتمين بكتابة تاريخ الكنيسة، وخاصة تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر، وأن هناك خطوات عملية تظهر للنور قريبًا. من هنا أيقنت أن الكنيسة تعي مسئوليتها تجاه التاريخ، وأن غد الكنيسة يشرق بشمس دافئة تعطي الأمل والتفاؤل لنا وللأجيال القادمة، بل وإن الكنيسة تستشرق غدها بقوة.

ولما رغبت في الكتابة عن تاريخ الكنيسة، وجدت نفسي متحمسًا أن أكتب مقالًا، فجاءت ردود لم أكن أتوقعها، تثني على المقال وتطالب لماذا لا يكون كتابًا. من آن ذاك وُضع على كاهلي مسئولية لم أستطع الإفلات منها، للبحث الدراسة.

لذا أقدم الشكر لكل الأحباء الزملاء والآباء الأفاضل الذين زرعوا فيَّ الحماس، والذين أمدوني بالمراجع والملاحظات التي كانت كعلامات إرشادية... لهؤلاء وأولئك لهم مني خالص الشكر والعرفان.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

مقدمة

للدكتور القس مكرم نجيب

عندما كنت أدرس في مراحل التعليم المختلفة، كانت العلاقة مع المدرس وطريقة تقديمه هي المفتاح لحب المادة الدراسية التي يقوم بتقديمها والعكس صحيح، وبالتالي أحببنا العديد من المواد التي أشبعتنا وأمتعتنا، ما عدا مادة التاريخ التي لم نكن نستمتع بها كما يجب.حتى عندما كنا ندرس مادة تاريخ الكنيسة في كلية اللاهوت، كنا ندرسها لمجرد النجاح وليس للتمتع بها.

وعندما مرت الأيام وتقدمت بي في رحلة الخدمة والدراسة، أدركت تمامًا أهمية التاريخ في قراءة علامات الأزمنة ووضوح الرؤية في الحاضر والمستقبل، فحاولت قدر الطاقة بالقراءة والدراسة تعويض ما فات.

ولكن السؤال الذي ظل يلح عليّ بين الحين والآخر هو لماذا لم نكن نحب مادة التاريخ برغم ثرائها وأهميتها؟ ووجدت السر كما أشرت في البداية يكمن في طريقة عرض المدرس لها. فالتاريخ عند البعض هو مجموعة من الأحداث والتواريخ المتراصة التي حدثت في الماضي، وعلينا أن نحفظها عن ظهر قلب كما هي، وهذا ما يسمونه «تأريخ» Chronology وهو ما جعلنا ننفر من المادة ونحن صغار.

أما عند البعض الآخر فالتاريخ ليس مجرد مجموعة أحداث متتالية،

coptic-books.blogspot.com

بل History تعني أنه هو الوسيلة إلى معرفة الحقائق معرفة تتجاوز الروايات والأحداث. هي ما يمكن أن نسميه «فلسفة التاريخ». ليس فقط تاريخ الأحداث بل تاريخ الأفكار. لتشع بالنور الهادي لأقدامنا في الحاضر والمستقبل.إنه التاريخ الذي يدفع للتقدم والنهضة. البعض ينظر إلى التاريخ من خلال الرجال والشخصيات التي شاركت في صنعه.والبعض يراه من فوق. أي قصة وتاريخ عمل الله مع الناس. وبالأخص مع شعبه. فكلمة History تعني «His story».

وهكذا يتقدم الزميل العزيز القس جاد الله في هذا الكتاب إلى دراسة تاريخ الكنيسة الإنجيلية بمصر. إلى الزمن الجميل الذي يجب أن يصوغ نبض الحاضر ورؤية المستقبل من جديد.وفي هذا السياق يلقي الضوء على مدرسة الإسكندرية ومدرسة أنطاكية والعلاقة بينهما. حتى يكون تاريخ الكنيسة هو التاريخ الحاضر وليس التاريخ الغائب.

أهنىء الزميل القس جاد الله بالكتاب. وألمس الجهد الذي بُذل فيه. وأصلي أن يكون إضافة طيبة لكل قاريء وللكنيسة ككل.

د القس مكرم نجيب

coptic-books.blogspot.com

تقديم الكتاب

ترددت كثيرًا أن أكتب في موضوع تاريخ الكنيسة، فبطبعي أتوخى الحرص والحذر، وأضع ألف حساب قبل أن أُقْدِمَ على كتابة ما يسطره قلمي، علاوة على أن كتابة التاريخ أمر شاق يستلزم الدقة في كتابته، والوعي بزاوية الطرح التي يتناولها الكاتب، وقد دفعني لكتابة هذه السطور عدة عوامل ألهبت داخلي، وأخرجتني من عباءة التردد أو الخوف.

الدافع الأول:

رواية عزازيل التي نُشرت عام ٢٠٠٨م، وأيضًا ما تردد في الآونة الأخيرة عن الكنيسة الإنجيليّة، والإدعاءات التي نُشرت وأُذيعت على الهواء في الحوارات التليفزيونيّة.

الدافع الثاني:

وهو الأقوى فعندما أمسكت بقلمي لأكتب هذا البحث كان بدافع حبي وانتمائي للكنيسة التي نشأت فيها، وتعلمت في مؤسساتها، وخدمت بين شعبها، إنني أكتب مقتنعًا إنني مسيحي مصري، وواحد من أبناء الكنيسة الإنجيليّة المصرية، ومقتنعًا بمقولة لهيرودوت أول المؤرخين وأبو التاريخ قال: «كيلا يطمس الزمان أعمال الرجال».

coptic-books.blogspot.com

ولأنني أُدرك أن الكنيسة قامت على أكتاف الرعيل الأول الذي أحب إلهه، وأخلَص لوطنه، وسعى بكل ما يملك من عزيمة لبناء هذا الكيان الكنسي روحيًا وفكريًا، واجتهد أن تكون الكنيسة الإنجيليّة منذ نشأتها، كنيسة وطنية.

وأيضًا أُؤكد بأن الأجيال اللآحقة لهذا الرعيل سارت على نفس الدرب، في حركة حثيثة وواعية لواقعها الكنسي والمجتمعي على السواء، بل ولا يزال من الجيل المعاصر براعم شابة، تدرك الواقع الراهن للكنيسة وتتطلع باجتهاد وفهم لأن تُكمل البناء وتضيف خطوطًا جديدة، وألوانًا زاهية إلى اللوحة المرسومة، وتضفي عليها روح الإيمان الإيجابي بعقل متفتح وبإرادة فاعلة ومتفاعله؛ تتعامل مع متغيرات الواقع وتحدياته بقدرة واثقة على قراءة تاريخها الكنسي ومراجعته، وإعادة كتابة هذا التاريخ كتابة تدفع الكنيسة إلى خطوة تقدمية.

وقد أكون على صواب إذا قلت إنه قد آن الأوان - إن لم يكن قد تأخرنا جدًا في كتابة تاريخ الكنيسة بقلم أبنائها - لكي نشحذ الهمم في إبراز مهارة قراءة تاريخنا قراءة صحيحة. فمن دون معرفة التاريخ وقراءته قراءة متأنية وواعية، فإنه يصعب على الكنيسة أن تحدد ملامحها، أو قد تتعثر في أن يكون لها لونًا ناصعًا في مجتمع متعدد الثقافة والاتجاهات والمعتقدات، بل ربما يكسوها اللون الرمادي، الذي يعطي فرصة للآخر أن يصف لونها كما يحلو له. فإهمال التاريخ أو نسيانه يُعد خطوة إلى الوراء.

وأرجو أن أقدم أطروحتي للقارئ العزيز عن تاريخ الكنيسة الغائب لا نقدًا بل شرحًا، حيث إنني لا أكتب موجهًا لومًا للكنيسة، أو اتهامًا بالتقصير في كتابة تاريخها، أو قراءته، فمعروف جيدًا أن كنيستنا في مصر بها الكفاءات

coptic-books.blogspot.com

المشهود لهم. وما أريده هو أن تتمنطق الكنيسة وترسم خطوطًا واضحةً في حاضرها بكتابة تاريخها لكي تهتدي الأجيال في معرفة ملامح الغد. فتصنع الأيام وتبني المستقبل في مجتمع التعددية السياسية والفكرية والدينية.

إن في مكتبتنا العربية بعضًا من كتب التاريخ. التي تعد ثروة للكنيسة. وقد تركه حفنة لامعة من خدام الكنيسة منهم الدكتور چاك لورمِر. وهو واحد من الأمريكان المرسلين الذي قضى حياته في مصر في خدمة كلية اللاهوت. والدكتور حنا الخضري. والأستاذ أديب نجيب سلامة. وما جُمع من تاريخ في احتفالية ١٥٠ عامًا للكنيسة الإنجيليّة في مصر. للقس إميل زكي. مع كل هذه الكتب القيمة والثمينة. فنحن نحتاج إلى إضافة الأجزاء التي لم تصل إلينا بعد. فإن الحقول الشاغرة التي لم يحرثها البحث والتنقيب كثيرة. والصفحات البيضاء الطويلة التي لم تُكتب ربما تترك المجال للتفسيرات السطحية والمتسرعة. كما تفتح المجال واسعًا أمام إساءة الفهم لكنيستنا.

في كل الأحوال فإن دراسة التاريخ وكتابته لا يمكن أن تتوقف. وإلا تشيخ الكنيسة عندما تتوقف عن دراسة تاريخها. أو لا تهتم بقراءة ماضيها وكتابته بعين واعية. وإذا حدث هذا يعني أن الكنيسة عاجزة عن أن تستوعب جذور طريقها للأمام. وبالتالي تتوقف عن التجديد والتفاعل مع معطيات حاضرها.

لذا أقدم هذه الدراسة. وهي محاولة لتحليل عابر لبعض من مراحل تاريخ الكنيسة. أحاول فيها أن ألملم بعضًا من قصاصات لصفحات التاريخ المجهولة. التاريخ الذي نحتاج إلى إعادته. ليكون حاضرًا أمام عيوننا. ونتركه

coptic-books.blogspot.com

للأجيال القادمة لقراءته. ومعرفة الماضي، أقصد معرفة الأساس والبناء اللذين بدونهما يصعب أن تكمل عملية البناء، وتتواصل حلقات تاريخ الكنيسة ورسالتها.ويجدر بنا أن نسجل في هذا المقام المقولة التي قالها جوزف هورس «لا نستطيع أن نحيا أو نعمل أو نتقدم مع الزمن إلا بحفظ تضامن الحاضر مع الماضي تضامنًا وثيقًا... وبدون هذا التضامن، يبقى الصنيع الأسمى الذي يتناول إعداد رجل غير مُكتمَل، إذا بقي ماضي هذا الرجل مجهولًا»[1]

وأخيرًا، لم أكن أتصور أن دراسة التاريخ رغم صعوبتها، أنها شيقة تستهويك فتأخذك إلى وجه آخر من العلاقات، وتشاهد من خلال الدراسة صورة مختلفة عن الأشخاص والأحداث غير تلك الصورة التي تظهرها القراءة السطحية.فنجد في قراءة التاريخ مدرسة ومدرس في ذات الوقت. إن دراسة التاريخ مهمة ومفيدة، ليس فقط لمعرفة ما حدث في الماضي، ولكن تزيد أهميته في تعلم دروسًا من الماضي لحل مشاكل تواجهنا في الحاضر.

إنني أجتهدت أن أقدم أوراق التحاقي بهذه المدرسة، فبدأت مراحل التعليم الأولى فيها، وما تعلمته لم يطاوعني ذهني أن أكتفي بما تعلمت بل قادني إلى أن أشارك به القارئ العزيز لعله يكون مفيدًا له كما كان لى. بل إنني أرفع عينيّ إلى السماء، وأضع هذه القصاصات المتناثرة بين يديَ رب الكنيسة الساهر عليها، ليستخدم هذه الدراسة لمجده ولفائدة شعب كنيسته.

جادالله نجيب

في ٦ أبريل ٢٠١٠

---

١ جوزف هورس، قيمة التاريخ، ترجمة نسيم نصر، بيروت: منشورات عويدات، ١٩٨٦م، ٨.

coptic-books.blogspot.com

الفصل الأول

لماذا التاريخ؟

لماذا نهتم بدراسة التاريخ؟

ماهو التاريخ المقصود؟

ما معنى كلمة تاريخ؟

قراءة التاريخ العام.

ماذا أنتجت الحروب الصليبيّة للكنيسة الشرقيّة؟

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

لماذا التاريخ؟

إن قراءتنا لتاريخ الكنيسة، تهدف إلى معرفة جذورنا، وأصالتها، وروح شخصية كنيستنا الوطنية. نتعرف على البيئة التي وُلدت فيها الكنيسة، وماهي السمات المميزة التي ورثتها من الأجيال والأحداث الماضية؟ كيف ساهمت الكنيسة بدورها في بناء المجتمع عبر السنين؟ وكيف أثرت في المجتمع، وكيف تأثرت به؟

فالإنسان يحتاج إلى الماضي احتياجًا نفسيًا ينتسب إليه. يبحث عن جذوره وعن أصله وفصله. احتياج الإنسان إلى اليقين، والثقة في المصدر الذي يستمد منه القيمة، ويعطي لحياته معنى ويملأه بالكرامة. فالماضي هو دائمًا جزء هام من عقولنا ومحرك لسلوكنا ومؤثر في أفكارنا. فقراءة هذا الماضي تكسب الدارس معرفة ووعيًا وتعبئة متكاملة، وتخلق فيه الشخصية الإيجابية، وتزرع فيه الولاء والانتماء.

على كل حال، فالفرد كائن اجتماعي حي فاعل يتوق أن يعرف ماضيه، وتاريخ تطوره ليفهم من هو حقًا؟ وإلى من ينتمي؟ وإلى أين يذهب؟ ... إن الحقيقة الأساسية هي أن أي إنسان أو أي كنيسة أو أي شعب لا يمكن أن يفهم واقعه الذي يعيشه بعيدًا عن ماضيه. فمن يخجل من ماضيه لن يجد في نفسه الثقة لرؤية غده أو بناء مستقبله!

coptic-books.blogspot.com

لماذا نهتم بدراسة التاريخ؟

دراسة التاريخ هي أهم الطرق في عملية التحليل الاجتماعي للحاضر الذي نعيش فيه. فنحن ندرس الماضي لنضع أيدينا على الخيوط التي يُنسج منها الحاضر,فنفهم قوامه وتركيبه. ودراسة التاريخ لا تتوقف عند البحث لمعرفة الحاضر, ولكن تتعداه إلى معرفة الاتجاه الذي يجب أن تسير فيه الكنيسة والأفراد نحو المستقبل.

يُعد ما كتبه القس إميل زكي في مقدمة كتاب الكنيسة الإنجيلية المشيخية بمصر إجابة على السؤال لماذا ندرس التاريخ؟[1] من أهم الإجابات التي يمكن أن ترد على هذا السؤال. وقد لخص إجابته في ثلاث عبارات ووضح المقصود منها. أعرضها كما هي مع بعض التعليقات:

- نقرأ التاريخ لنتذكر.
- ندرس التاريخ لنتعلم.
- نحلل التاريخ لنطوّر.
- نقرأ التاريخ لنتذكر كيف كانت الرؤيا قادرة أن تصنع التاريخ بأقل الإمكانيات.

فالتذكر والإحساس هما عنصران من العناصر الأساسية التي تميز الإنسان عن الحيوان. إذ لا إنسان بلا تاريخ ولا تاريخ بلا إنسان[2].

coptic-books.blogspot.com

- ندرس التاريخ لنتعلم كيف استطاع السابقون تحدى الصعوبات وكيف استفادوا بالمتاح في ضوء القيم التي عاشوها. وهي أن القيمة أغلى من المال، والخدمة قبل المنصب، والعطاء حتمية إيمانية دون انتظار للأخذ.

إن حياة الرعيل الأول وخدمتهم تعلمنا أنه لا يكتب التاريخ ولا يكون في الحياة خير ونبل ولا يعيش البشر عزة وكرامة من خلال المزيد من الأخذ والاستحواذ والكنز، وإنما من خلال المزيد من البذل والعطاء والتضحية وإنكار الذات.

- نحلل التاريخ لنطوّر أهدافنا بما يتناسب مع العصر، أو نصنع تاريخًا آخر يتفاعل مع المتغيرات ويتصدى للتحديات على مختلف الأصعدة.

فإذا استطاعت الكنيسة أن تقرأ تاريخها الماضي، وتدرسه لتتعلم منه عن طريق نقدها وتحليلهاتصبح الكنيسة قادرة على إعادة إنتاج التاريخ، أي صناعة تاريخًا جديدًا يناسب العصر. فموقف الكنيسة يرتبط برؤيتها للحياة، وهذه الرؤية إنما تستوحى من رؤيتها لتاريخها.

إن قراءة التاريخ ودراسته بوعي تقدر أن تشكّل عقل الدارس وقلبه، وتخلق منه الشخصية الإيجابية - سواء كان الدارس فردًا أو كنيسة - ذات الأثر الفعال في مجرى الحياة. الشخصية التي تسعى إلى الانتماء والولاء والإخلاص للكنيسة، وتزرع العزيمة في أفرادها وقادتها لتحقيق بنائها وتثبيت رسالتها. فالمنظومة الصحيحة لحياة الإنسان في معرفته للماضي (التاريخ) هي: كلما ازداد الإنسان وعيًا ارتفع احتمال أن يزداد تفاعله إيجابيًا. وكلما قلّ وعي

coptic-books.blogspot.com

الإنسان ارتفع احتمال أن يزيد حضور العنصر السلبي في تفاعله[٣].

والحقيقة أن هناك أوجه وأشكالاً عديدة في التاريخ نحتاج أن نكون على وعي بها. هناك الخبرات المؤلمة والمريرة، كما أنه توجد الأوجه المضيئة[٤]. فتاريخ الكنيسة العام والخاص مليء بالمحن، والأشواك، والدموع. لكن هناك مناطق مضيئة ولامعة في حياة الكنيسة، إذا تشبثنا بها كما فعل رجال الكنيسة الأفاضل، تكون لنا مصدر القوة وعامل من عوامل البناء والإبداع والتقدم وصناعة تاريخ آخر.

إن تاريخ الكنيسة كان مليئًا بالمحن التي تجاوزها رجال الكنيسة قادة وشعب، ومليء بالأشواك التي تحدوها، والدموع التي جففوها، تصالحوا مع الفرح، وسامحوا الجرح وصافحوا النعمة الإلهية، فأصبحت لنا كنيسة اليوم ميراثًا!

لقد تحدى المسيحيون الأوائل العالم الوثنيّ، مع أن المسيحية لم تقبلها الأمبراطورية الرومانية وتحترمها كديانة. لكن المسيحيين كسبوا احترام الناس بسلوكهم في حياتهم اليوميه، ولمسوا مستواهم الأخلاقي، واهتمامهم ومساعدتهم بعضهم البعض في وقت الحاجة، والمساواة بين الفقراء والأغنياء والعبيد والأرامل والأيتام، فلم يكن هناك تمييز اجتماعي بينهم. بجانب هذه الصفات التي جذبت الأنظار إليهم، فقد لاحظ كل الناس شجاعتهم العجيبة في تحمل العذابات المروعة. فبدلًا من القدرية التي كانت تتملك على الوثنيين، أظهر المسيحيون رجاءهم في المسيح عند مواجهة الموت. كان المسيحيون أقوياء في الموقف الذي ظهر فيه ضعف

coptic-books.blogspot.com

الوثنية، وبدلًا من القدرية والتسليم الخانع، كان للمسيحيين إيمانًا يزود الشجاعة ويحرر النفس من الخوف. إن إيمانهم كان بمثابة بشارة تستحق الموت من أجلها[٥]. فأسسوا الكنيسة ووجهوا زاوية اتجاه حركتها للمستقبل.

فالتاريخ بنية قابلة للاستخدام والتوظيف المتعدد. فكما أنه نافع لأن يكون أداة تحفيز وتوجيه ومصدر قوة نحو الخير والبناء والتقدم، فإنه كذلك يصلح لأن يُستخدم أداة إفساد و تخريب[٦].

فدراسة التاريخ في المجتمعات الحية هي وسيلة لتعبئة وتثقيف الناس، وسبيل لمساعدتهم على حل ما يعانونه من مشكلات راهنة. فمثلًا دراسة تاريخ الاستبداد والمستبدين تعلمنا كيف نتخلص منه، وترسخ قيم العدالة والمساواة في المجتمع.

وبالتالي فإن عدم قدرتنا على قراءة تاريخنا ومعرفته معرفة جيدة، وعدم جرأتنا على إعادة كتابته، يُظهر معاناة الكنيسة، سر الصراع القائم على المستوى المحلي أو المستوى العام، وهذا هو أقوى أحد العوامل التي تساعد على انتشار ثقافة اليأس لدى الجيل الجديد والقديم، وفقدان الكنيسة للقدرة على تمثيل ذاتها، ويغيب عن الكنيسة نظرتها لنفسها والفكرة التي تكونها عن نفسها. وهو ما أسماه إميل دوركايم، عالم الاجتماع الفرنسي، في وصفه لتفكك نسيج المجتمع «بأن المجتمع في أزمة انهيار زمانية في علاقته بماضيه وتاريخه. قد دعى هذه الأزمة، بغياب.... نظرة المجتمع لذاته والفكرة التي يكوّنها عن ذاته»[٧].

تحقق چون كينيدي من قدرة المجتمع الأمريكي من الخروج من هزائمه

coptic-books.blogspot.com

النفسية. وصراعه أثناء الحرب الباردة. فأطلق صرخة نفذت إلى قلب الشعب الأمريكي في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠ سبتمبر ١٩٦٣م. قائلًا : «إننا نملك القدرة على جعل هذا الجيل البشري أفضل الأجيال في تاريخ العالم. أو آخِر الأجيال»(٨).

إذًا. لو ساد الكنيسة اليأس يحدث لشعبها وقياداتها إصابة بحالة عجز في تصحيح مسار الحاضر غير المرضي عليه. وقصور حاد في رؤية المستقبل.

فهل هناك شعب يمكن أن يعيش بلا تاريخ؟(٩) أم أن هناك تاريخ بل قيادات ورموز؟ أو بلا أحداث؟ فكيف ينمو شباب بلا قدوة ومُثل عُليا من رجال الماضي والحاضر؟إن فقدان تاريخ(١٠) أي شعب يكون نتيجة طبيعية لغيابه. فالتاريخ هو العامل الذي بدونه لا يتكون الولاء ولا الانتماء.

فدراسة التاريخ تنمي التفكير النقدي (وليس الانتقادي). والتفكير العلمي أي القدرة على البحث والتحليل. وتكوين فكر يرتكز على الحقائق لا على النزعة الشخصية أو الميول الشخصية. فتكون للشخص القدرة على التعبيرعن السلبيات والإيجابيات في الأحداث وكيفية دفع وتعظيم الإيجابيات. وشرح وجهات النظر التي تساعد على التعامل مع السلبيات والقدرة على التقليل منها أو التخلص منها.وبذلك نربي روح الثقة دون الغرور. والصلابة القائمة على الفكر دون الجمود. النقد المرتكز على الوعي بالحقائق دون الانتقاد.

ومن هنا يصبح التاريخ أداة تساعد المرء على التحرر من الخوف واليأس والوهم ... وأداة تساعد على رفع مستواه الذاتي والكياني. الذي يساعده

coptic-books.blogspot.com

على إدراك ذاته والتخلص من أنانيته. فيستطيع بعدها. التوجه نحو حب الغير في الطريق الذي يؤدي إلى التعاون والتعاضد مع الآخرين[11]. فينتج عنه مد جسور التواصل مع الآخر. والتشبع بقيم الحوار والاختلاف والتعدد والتعاون والتسامح. والتفاعل الإيجابي مع المحيط الاجتماعي على اختلاف مستوياته.

إن خلق الشخصية الإيجابية يتم بدراسة التاريخ دراسة مستنيرة لا تقف عند الأحداث والتواريخ. بل تتعداها إلى توضيح وشرح المغزى الحقيقي لكل حدث في تاريخ الكنيسة وتاريخ المجتمعات التي هي جزء منه. وهذا ما يستلزم منا معرفة أي تاريخ نقصد الذي يجب أن ندرسه لنتذكره. ونتعلم منه. ونطوّر تاريخنا من خلال تحليلنا له؟

ما هو التاريخ المقصود؟

ليس المقصود بالتاريخ مجرد سرد الأحداث. فالأحداث والوقائع تسجيل للماضي. أي تأريخ «Chronology». وتلك الأحداث والوقائع قد مضت فعلًا. أما ما يعنينا فهو العلاقات والأفكار والبيئة والثقافة التي كانت سائدة في زمن الماضي وكونت تاريخًا. والآليات التي قامت عليها تلك الأحداث ودفعت حركة الماضي. وأيضا ما نتج عن تلك الأحداث من أفكار وعلاقات أضحت جديدة في حينها.تلك الأحداث والأفكار التي ورثناها فشكلت جزءًا من حاضرنا. ومن خلالها نطل على المستقبل.

أؤكد أن ما يشغل الكاتب هو هل تعرف الكنيسة تاريخها؟ وأقصد

coptic-books.blogspot.com

بالكنيسة ليس قادة الكنيسة فقط بل شعب الكنيسة. وهل تدرك آليات أحداث الماضي. وكيف نتناول ذلك الماضي لنتعلم منه في الحاضر؟وهل نقدر أن نرى الغد من واقع الحاضر. وكيف أن الماضي قد شكَّل هذا الواقع الذي نعيش فيه.

ما هو التاريخ؟

التاريخ ما هو إلا حياة الناس. حيثما كانوا وأينما وُجدوا. فهو أي التاريخ خلْق وصناعة بشرية لها دلالات وضوابط ومعايير. ولا وجود لتاريخ خارج الإرادة الإنسانية. وكما يقول نصار كرستين في كتابه الإنسان والتاريخ (لا تاريخ بلا إنسان) [١٢] . مع أن الله له السيادة الكاملة على مجرى الأحداث. إلا أن التاريخ لا يكون تاريخًا إلا بالإنسان. فالإنسان هو القوة الفاعلة في أحداث التاريخ. والإنسان بدوره يقدر إما أن يضيف قيمة للتاريخ. وإما أن يشوهه.

في كتابه «قيمة التاريخ» يقول جوزف هورس[١٣]: لكي نتذوق التاريخ. يجب أن نعرف. قبل كل شيء. واجبنا في إحراز اختبار بشري غني وقوي.ومن ناحية أخرى فإن التاريخ هو حلقات طويلة متماسكة. فأحداث اليوم هي من بنات الأمس[١٤]. فقراءة أعمال الناس في الماضي.تعني أنك تضيف أعمارًا من الماضي إلى عمرك. وأنك تحيا حياة من حياة واحدة[١٥].

يقول رجب البنا: إن التاريخ رصيد ثروة حضارية وفكرية وإنسانية... لكنه ماض... يسري فينا لكنه لن يعود .. يلهمنا لكن لا يحكمنا ... يتخذ منه الشعب والفرد العاقل دروسًا تعينه على بناء واقع ومستقبل أفضل[١٦].

ومع أننا نلاحظ أن لفظ «التاريخ» كلمة واحدة. ولكن معانيها عديدة ومختلفة. فيوم ميلادك تاريخ. ويوم دخولك في عالم المعرفة والتعلم تاريخ.

coptic-books.blogspot.com

فهل أحد ينسى تاريخ انتهاء دراسته؟ فالتاريخ هو الماضي، بحلوه ومره، وخيره وشره. إذًا أين أنا من تاريخي؟

إذا خرجنا من حدود السؤال الشخصي إلى سؤال أوسع عن تاريخ انتمائي الديني، وأقصد هنا عن تاريخ الكنيسة، أين أنا من تاريخ كنيستنا؟ التاريخ الذي وصل إلينا، وأبقى الكنيسة حية، أين التاريخ الذي يزرع الأمل ويرويه. أين التاريخ الذي يوحد المؤمنين وإن تنوعوا في ثقافتهم، وخلفياتهم الاجتماعية، ولغتهم، وطريقة عبادتهم وطقوسهم.من هنا يستلزم الأمر تعريفًا لكلمة «تاريخ».

ما معنى كلمة تاريخ؟

لفظة تاريخ «history» تأتي من الكلمة اليونانية «ιστορια» (historia) .ومعناها[١٧] يأتي في الأصل من فعل النظر، أو بالأحرى، شاهد العيان، وما يضفيه هذا الشاهد من تجربته الخاصة ما هي إلا شهادة أخرى.

كما أن كلمة التاريخ[١٨] تعني أيضًا: التعلم، أي المعرفة، وهذه المعرفة عن طريق البحث والاستقصاء. وتطور معنى الكلمة حتى وصل إلى وقتنا الحاضر بمعنى الماضي (أي الأحداث الماضية) . ولأن المعنى يتصل بالمعرفة، إذًا فالتاريخ هو معرفة وجودنا الإنساني، وتاريخنا الماضي، وهو قانون معرفتنا من نحن، سواء كانت أحداث تاريخنا الماضي تعكس صور مشرفة، من مجد وقوة ورفاهية أم صور مؤلمة من صراع وآلام ومحن.

يُعرِّف البعض التاريخ بأنه مرآة تعكس الماضي وتترجم الحاضر، وتساعدنا على رؤية المستقبل. فالتاريخ في ضوء هذا التعريف يكون كمرآة تشبه

coptic-books.blogspot.com

المرآة المثبتة أمام سائق السيارة التي تعكس له معالم الطريق في الخلف ليستطيع على هديها أن يسير بسيارته إلى الأمام بأمان.

إذًا فدراسة التاريخ أمر لا جدال عليه. فلا يستطيع الإنسان أن يفهم نفسه وحاضره دون أن يفهم ماضيه. ومعرفة الماضي تُكسِب الإنسان خبرة السنين الطويلة. فهدف دراسة التاريخ هو المعرفة. ولأن التاريخ هو صناعة الإنسان، فيجب أن يرجع التاريخ إلى الإنسان، ويشهد على وجوده ونشاطه. ومن هنا يمكن القول بأن كلمة التاريخ تحمل معنيين: الأول هو أحداث التاريخ التي وقعت في الماضي، والثاني هو نظرتنا نحن لهذه الأحداث[١٩].

بالإضافة إلى المعاني الغنية السابقة، فآخرون يعرفون أن التاريخ[٢٠] هو علم يبحث عن وقائع الزمان، وموضوعه الإنسان والأحداث. ورغم إننا لا نقدر أن نقول إن التاريخ علم تجربة واختبار كباقي العلوم، لكنه علم نقد وتحليل وتحقيق. ولذلك وصف اليونانيون المؤرخ بأنه رجل حكيم أو عاقل، كما وُصف أنه قاض أصدر حكمه على مايدور من حوله من أحداث وهذا الحكم هو التاريخ[٢١].

ولكي نفهم عبارة علم نقد وتحليل وتحقيق، علينا أن نقارن التاريخ بعلم آخر، فهو أقرب العلوم الطبيعية شبهًا إلى علم الجيولوجيا. فكل من الجيولوجي والمؤرخ يدرس آثار الماضي ومخلفاته لكي يستخلص ما يمكنه استخلاصه عن الماضي والحاضر على السواء. وإذا مضى الباحث في دراسته وكان يرغب في معرفة الحقيقة بأفضل صورة ممكنة، وعليه أن يؤسس بحثه على حكم ناقد بعيدًا عن الأهواء والميول الشخصية. وما يزيد عمل المؤرخ

coptic-books.blogspot.com

على عمل الجيولوجي هو أن المؤرخ يدرس. ويفسر العامل البشري الإرادي الانفعالي، ويكتشف الجذور والأسباب وراء هذه الأحداث. حتى يقترب بقدر المستطاع من الحقائق التاريخية[٢٢].

ولنشرح بأكثر تفصيل عن التاريخ. فإن لفظ التاريخ لا يأتي إلا بكلمة واحدة كما ذكرنا من قبل وخاصة في لغتنا العربية. وبالتالى فهو لا يعدو واضحًا كما نراه في لغات أخرى. أما في لغة غير العربية. فإن التاريخ يُصَّنف إلى صنفين وهما كالآتي:

التأريخ«Chronology». والتاريخ «History».

أولًا : التأريخ[٢٣] «Chronology»

التأريخ هو السجل الذي يروي الأحداث أيا كان نوع هذه الأحداث. وقد ينجرف المؤرخ إلى نوع من تزييف الأوضاع والحقائق. أو تحريفها. أو صياغتها على نحو معين. إذا روى الأحداث التي دونها « تأريخيون» بما يتوافق ورؤية المؤرخ الذاتية. دون أن يبحث ويرى ما هو أعمق من قصص وروايات. بمعنى أنه يكشف عما هو خفي والأسباب التي ترتبت عليها الأحداث التاريخية. والنتائج التي نجمت عنها. أي محاولة اكتشاف الجذور والأسباب وراء هذه الأحداث. وإن لم يفعل ذلك يصبح «التأريخ» الذي دونه هذا المؤرخ حاجزًا يمنع رؤية الحقائق. ويكاد يخلو من الصدق والحقيقة. بل ويسبب الصراع.

ثانيًا: التاريخ «History»

التاريخ أعمق من معرفة الأحداث. وكتابته ليس مجرد تدوين. إنها دراسة جادة. وواعية ومتعمقة للأحداث. أي دراسة الدوافع والأسباب. الظروف

coptic-books.blogspot.com

والعوامل، ومعرفة آليات الحدث، الأفعال وردود الأفعال التي أدت إلى وقوع هذه الأحداث. فدراسة التاريخ هي الوسيلة إلى معرفة الحقائق معرفة تتجاوز الروايات والأقاصيص. فهي قراءة المبادئ التي شكلت الحدث، وطُويت ولم تُبلّغ ضمن أحداث التاريخ أو أسيء فهمها أو وصلت إلينا مشوهة.

والحق يقال أن هذا النوع من التاريخ «History» يتحدث عن «التاريخ» بوصفه أحداثًا قابلة للتحليل والفهم وهادفة إلى معرفة الحقائق والاستفادة من مضامينها المُختبَرة. وهكذا، يصبح هذا النوع من التاريخ أطروحة عقلية تهدف إلى إعادة النظر في الأحداث الماضية، والتعرف على الأخطاء المرتكبة وتجاوزها، والسعي إلى تحقيق مجتمع أو مجتمعات متنوعة تستند إلى حقيقة هي «تحسين الأوضاع». ومن هذا المنظور، يصبح هذا النوع تاريخًا إنسانيًا تستفيد منه المجتمعات البشرية كافة. وقول المؤرخ اليوناني (بوليبوس) ٢٠٣-١٢٠ق.م. «إذا انتزعنا من التاريخ البحث عن الأسباب والأساليب والأهداف التي حركت الإنسان، وأهملنا دراسة النتائج التي توخاها من عمله، ونسبة ما استهدف إلى ما حصل عليه كان ملهاة للأذهان، لا نتيجة لها لمستقبل الأيام[٢٤]».

لقد أجاد الدكتور القس حنا الخضري، فقد كان ولا يزال رائدًا على ساحة كنيستنا، بما كتبه في تاريخ الفكر المسيحي، فهو وإن مات يتكلم بعد. وأُوصي القارئ العزيز بالرجوع إلى كتبه لينهل منها درر ما كتبه لنا.

وألخص ما وصلت إليه هو، أن أهمية التاريخ لا تكمن في معرفة الأخبار والحروب والغزوات والانتصارات والهزائم[٢٥]، بل في الأحداث من مضمون

coptic-books.blogspot.com

إنساني، من خلال البحث الدائم عن النص الغائب في كل حدث من خلال المقارنات والمقاربات، ثم إعادة إنتاج النص الغائب بما يوقظ الحاضر ويجعله قادرًا على التأثير، ويكون محفزًا للواقع فيحرره من مخاوفه ويدفعه إلى الأمام. فالحضور الحقيقي للتاريخ أي الماضي، يتأتَّى عبر قراءة التاريخ الغائب. ولا خوف من سرد الاختلافات والدوافع التي شكلت التاريخ، فليس الاختلاف هو الخطر الذي يهدد، بل الصمت عن كتابة التاريخ الصحيح.

إن مفردات «أحداث» التاريخ موجودة وقد دونت، أما التاريخ نفسه فلم يكتب بعد كبناء تاريخي حي متكامل! فإن تدوين التاريخ شيء، وكتابته شيء آخر... لقد عرف العرب التدوين وأتقنوه، أما التاريخ كبناء فكري من حيث هو إعادة استحضار للحياة الإنسانية التي مر عليها الزمن لم يكتب بعد![٢٦]

يدرس الفرنسيون باحترام شديد أعمال وسيرة حياة الثورة الفرنسية مع بشاعة ما ارتكبته هذه الثورة، فقد قتلت عشرات الآلاف من الأبرياء، وكانت المقصلة التي تعمل في الرقاب دون تمييز... ولم يبق منها إلا ثورة الحرية والإخاء والمساواة[٢٧].

يتعامل البريطانيون مع تاريخ زعمائهم حتى الذين فشلوا منهم مثل أوليفر كرومويل، زعيم الثورة الإنجليزية (١٦٤٠ م - ١٦٦٠م.)، واحد من المسيحيين التطهريين وأول عضو مجلس عموم بريطاني يحكم بريطانيا، وقد مات مشنوقًا باعتباره متمردًا وخارجًا على سلطة الملك، وانهزم في النهاية، لكنهم يقدرون ثورته - الفاشلة - ويعتبرون أنها كانت نبيلة في

coptic-books.blogspot.com

مقصدها من أجل الديموقراطية، والحد من سلطة الملك المطلقة، وإن كانت قد فشلت إلا أنها فتحت الطريق، وبدأت صفحة مشرفة لديمقراطية وحكم الشعب في التاريخ البريطاني[٢٨].

فلكي نفهم تاريخنا، علينا أن نعيد كتابته ونسجله، أي تسجيل الأحداث وتحليل أسبابها والدوافع التي ساهمت في وقوع هذه الأحداث التي كونت هذا التاريخ، معرفة قادة الكنيسة، واحترام جهودهم، وذكر إيجابيات هؤلاء، وأيضًا سلبياتهم غير متغافلين الظروف والعوامل التي شكلت خدمتهم والدوافع التي قادتهم للإنجاز، أو الصعوبات التي تسببت في إجهاض خطط أو تغيير مسار خدمة.

في تاريخ الدول المختلفة نجد أن الكتب الأدبية والمدرسية والأعمال الفنية في أمريكا تسجل حياة قادتها مثل جورج واشنطن، أو إبرهام لنكولن، ويلسون روزفلت، وأيضًا مارتن لوثر كينج ....إلخ[٢٩].

يتميز الكاتب الغربي أو الأمريكي بأنه يحلل أعمال قادته وزعمائه، ويوجه إليهم النقد، يكشف نقاط الضعف والأخطاء، يذكر السلبيات، ويحلل الدوافع، وذلك في إطار تقدير للمكانة والدور، وليس في إطار إهدار الكرامة الشخصية، أو سلب حق الدوافع الإيجابية والمقاصد النبيلة التي كانت لديهم[٣٠]. ولتكون كتابة التاريخ كتابة صحيحة سليمة وموضوعية، تقتضي ذكرالحقائق بأكملها إيجابية وسلبية، لتكون الصور التي يعرضها المؤرخ عن الحوادث والشخصيات صورًا صحيحة، لا تشويه فيها ولا إبهام[٣١].

coptic-books.blogspot.com

قراءة التاريخ العام

وبعد أن تعرفنا على ما هو التاريخ باستفاضة، فعلينا أن نقترب إلى بعض أحداث التاريخ التي من خلالها نقرأ التاريخ العام، وبعض من أحداث التاريخ الكنسي لنقرأ التاريخ الكنسي، ولكي نقف على أرض صلبة ليستجلي لنا ما نقصد.

المثل الأول خاص بالحروب الأوروبيّة والتي كانت بشكل رئيسي حروب فرسان[٣٢]، التي تُعرف بالحروب الصليبيّة اليوم. لم يظهر هذا المصطلح إلا في بحث لمؤرخ بلاط **لويس التاسع عشر** لويس ممبور سنة ١٦٧٥م، الذي وضع عنوان بحثه في الحروب الأوروبيّة، بتاريخ الحروب الصليبيّة[٣٣].

إن دارس التاريخ يعرف الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي كانت بمثابة قوة الدفع للحروب الأوروبيّة. فمنذ بداية القرن الحادي عشر الميلادي، كان غرب أوربا قد دخل مرحلة تمثل الإبداع في تاريخ العصور الوسطى، فقد شهد ولادة قادة عظام وزعماء بارزين على كل الأصعدة، وأخذت أوربا توقن أن طاقتها الحضارية النامية أكبر من أن تستوعبها أراضيها الضيقة فأخذت تسعى لإيجاد منافذ خارجية لها[٣٤].

في نفس الوقت كانت غرب أوربا مشحونة بالتوتر، فقد كان الفلاحون يعانون من الزيادة السكانية بالإضافة إلى أن الحقول كانت شحيحة لا تزال عاجزة عن أن تعول سكانها. فلم يكن ما يسد رمقهم سوى تناول الأعشاب والحشائش، وفي جوٍّ مشحون بالنزاعات المحلية بين أمراء المناطق.

coptic-books.blogspot.com

فقد أفرزت هذه الظروف الاقتصادية والاجتماعية. وهذا التباين الحاد بين حركة الإبداع والنمو الحضاري وبين الفقر المدقع تحولات وتطورات جذرية أثرت في خريطة العالم كله[٣٥].

وتتضح الصورة أكثر عندما نحلل تركيبة مجتمع غرب أوربا في ذلك الوقت حيث كان يتكون من عدد قليل من التجار الأثرياء يتقاسمون النفوذ والسلطة مع عدد من الأمراء والنبلاء والإقطاعيين. وكان الإقطاع يشكّل الدعامة الأساسية للنظام السياسي والاجتماعي في أوروبا. حيث كان لكل إقطاعيَّة محاربوها. وكانت هذه الإقطاعيّات تخوض حروبًا مدمرة فيما بينها. الأمر الذي استنزف طاقاتها. وخلف وراءه مشاكل اجتماعية وسياسية قاسية. في حين كان سواد المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى يعيش حياة ملؤها البؤس والشقاء في ظل نظام إقطاعي مستبد.

فقد أفرزت هذه الحالة الطبقة المسلحة. الطاقات التي كانت في غير محلها التي يقتل بعضهم بعضًا. وترهب السكان المحليين[٣٦]. ويضاف إلى هذه العوامل. حدوث حالات القحط والجفاف التي ضربت بعض المواقع في غرب أوروبا. مما أدى إلى انتشار الأوبئة والأمراض والمجاعات[٣٧].

كل هذه وعوامل أخرى حفَّزت كل طبقات أبناء الغرب الأوروبيّ على البحث عن أرض جديدة وموارد جديدة خارج أوربا. فكانت الرغبة في المغامرة والنهب من دوافع الأفراد.

علاوة على هذه العوامل. ففي بعض أوراق التاريخ القديم. نقرأ عن السياسة. والضغوط البابوية ذات النفوذ الكبير آنذاك. بحيث أن أحدًا من

coptic-books.blogspot.com

ملوك أوروبا لم يكن يستطيع الاحتفاظ بعرشه أو حتى بولاء شعبه في حال أقدم، بشكل أو بآخر، على عصيان البابا، مما سهل عليهم السعي لتحقيق طموحاتهم السياسية خارج حدود أوطانهم، فكان الشرق هو المستهدف لتحقيق تلك الأطماع الاقتصادية والسياسية وليس الدينية.

ومن الناحية الأخرى فإننا نجد مايسترعي الانتباه هو ما كان يملأ ساحة الشرق العربي من أحداث لنفس الحقبة الزمنية.فقد كانت بيزنطة في الشرق تعاني من التآكل البطيء والضعف الناتج عن الصراع الداخلي. وبالمثل كان الشرق العربي يعاني من الانقسام والتمزق، ويعيش الشرق وضعًا سياسيًا واقتصاديًا وأمنيًا صعبًا، تتوزع مناطق الانتماءات والولاءات ما بين العباسيين في بغداد، والفاطميين في القاهرة، والأمويين في الأندلس [٣٨].

وهذا ماكان عليه الواقع في الشرق، والذي كان بمثابة تربة خصبة للأمراء والفرسان والطبقة المسلحة والطاقات الأوروبية، حيث كانوا يسعون دائما لإيجاد منفذ لمهاراتهم، وفرض التوسع الإقليمي. ومن هنا كان الشرق إشباعًا لنزعة وروح المغامرة التي سيطرت على الحياة الخاصة والعامة في أوربا، لاسيما وأن حركة الترجمة بدأت تنشط في العالم، واطلع الغربيون على ما يسود الشرق من رخاء وثروات وكنوز شكلت مطمعًا لهم للحصول عليها[٣٩].

في ضوء هذه الخلفية التاريخية عن أوربا وعن الشرق العربي نجد بعض المؤرخين يفسرون دوافع حرب أوربا على أنها خليط من الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في الشرق والغرب.

coptic-books.blogspot.com

فقد أفرزت هذه الظروف الاقتصادية والاجتماعية. وهذا التباين الحاد بين حركة الإبداع والنمو الحضاري وبين الفقر المدقع تحولات وتطورات جذرية أثرت في خريطة العالم كله[٣٥].

وتتضح الصورة أكثر عندما نحلل تركيبة مجتمع غرب أوربا في ذلك الوقت حيث كان يتكون من عدد قليل من التجار الأثرياء يتقاسمون النفوذ والسلطة مع عدد من الأمراء والنبلاء والإقطاعيين. وكان الإقطاع يشكّل الدعامة الأساسية للنظام السياسي والاجتماعي في أوروبا. حيث كان لكل إقطاعيَّة محاربوها. وكانت هذه الإقطاعيّات تخوض حروبًا مدمرة فيما بينها. الأمر الذي استنزف طاقاتها. وخلف وراءه مشاكل اجتماعية وسياسية قاسية. في حين كان سواد المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى يعيش حياة ملؤها البؤس والشقاء في ظل نظام إقطاعي مستبد.

فقد أفرزت هذه الحالة الطبقة المسلحة. الطاقات التي كانت في غير محلها التي يقتل بعضهم بعضًا. وترهب السكان المحليين[٣٦]. ويضاف إلى هذه العوامل. حدوث حالات القحط والجفاف التي ضربت بعض المواقع في غرب أوروبا. مما أدى إلى انتشار الأوبئة والأمراض والمجاعات[٣٧].

كل هذه وعوامل أخرى حفَّزت كل طبقات أبناء الغرب الأوروبيّ على البحث عن أرض جديدة وموارد جديدة خارج أوربا. فكانت الرغبة في المغامرة والنهب من دوافع الأفراد.

علاوة على هذه العوامل. ففي بعض أوراق التاريخ القديم. نقرأ عن السياسة. والضغوط البابوية ذات النفوذ الكبير آنذاك. بحيث أن أحدًا من

coptic-books.blogspot.com

ملوك أوروبا لم يكن يستطيع الاحتفاظ بعرشه أو حتى بولاء شعبه في حال أقدم، بشكل أو بآخر، على عصيان البابا، مما سهل عليهم السعي لتحقيق طموحاتهم السياسية خارج حدود أوطانهم. فكان الشرق هو المستهدف لتحقيق تلك الأطماع الاقتصادية والسياسية وليس الدينية.

ومن الناحية الأخرى فإننا نجد مايسترعي الانتباه هو ما كان يملأ ساحة الشرق العربي من أحداث لنفس الحقبة الزمنية.فقد كانت بيزنطة في الشرق تعاني من التآكل البطيء والضعف الناتج عن الصراع الداخلي. وبالمثل كان الشرق العربي يعاني من الانقسام والتمزق. ويعيش الشرق وضعًا سياسيًا واقتصاديًا وأمنيًا صعبًا. تتوزع مناطق الانتماءات والولاءات ما بين العباسيين في بغداد، والفاطميين في القاهرة، والأمويين في الأندلس[٣٨].

وهذا ماكان عليه الواقع في الشرق، والذي كان بمثابة تربة خصبة للأمراء والفرسان والطبقة المسلحة والطاقات الأوروبية، حيث كانوا يسعون دائما لإيجاد منفذ لمهاراتهم، وفرض التوسع الإقليمي. ومن هنا كان الشرق إشباعًا لنزعة وروح المغامرة التي سيطرت على الحياة الخاصة والعامة في أوربا، لاسيما وأن حركة الترجمة بدأت تنشط في العالم، واطلع الغربيون على ما يسود الشرق من رخاء وثروات وكنوز شكلت مطمعًا لهم للحصول عليها[٣٩].

في ضوء هذه الخلفية التاريخية عن أوربا وعن الشرق العربي نجد بعض المؤرخين يفسرون دوافع حرب أوربا على أنها خليط من الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في الشرق والغرب.

coptic-books.blogspot.com

في حين أن هناك مؤرخين آخرين يرون أن دوافع الحروب الأوروبية كانت دوافع دينية من الدرجة الأولى. ويفسرون من وجهة نظرهم أنه بسبب التشدد الذي مارسه السلاجقة[٤٠] على المسيحيين، بسيطرتهم على وسط آسيا وإيران وسوريا والعراق، وبعد استيلائهم على الحكم. ويرى هؤلاء المؤرخون أيضًا أنه لم تكن زيارة القدس في ذلك الوقت ميسرة، بل كان هناك ظلم من السلاجقة على الحجاج المسيحيين. حيث أن المسلمين أساءوا معاملة سبعة آلاف من الحجاج الأوروبيين ومعهم أربعة أساقفة[٤١]. فقام رجل يدعى بطرس الناسك وأخذ يطوف بأوربا مستنهضًا همم المسيحيين لإشهار الحرب وانقاذ بيت المقدس من الأتراك[٤٢]. مما وصل إلى إحساس المتصدين في الكنيسة الأوربية بخطورة الموقف، نتيجة انتشار الثقافة الإسلامية واتساع نطاق الفتوحات، والسيطرة على القدس. وما تحركت الكنيسة الأوربية إلى الشرق إلا استجابة لدعوة من الإمبراطوريه البيزنطيه **الأرثوذكسية الشرقية** لمساعدتهم ضد توسع المسلمين السلاجقة في الأناضول (تركيّا). والمعاناة التي كانت تواجهها الكنيسة الشرقية.وبذلك قام رجال الكنيسة بالتبشير والترغيب بين الناس للمشاركة في الحرب من خلال وعدهم بأن الزيارة لمهد عيسى تساوي الذهاب إلى الجنة[٤٣].

فقراءة التاريخ من هذا المنظور وتفسيره تفسيرًا دينيًا كوّن لديهم قناعة ثابتة وهي أن باعث هذه الحروب كان مجرد استرداد القدس والأراضي المقدسة من المسلمين، وإنقاذ الكنيسة الشرقية، والتخلص من المسلمين والمد الإسلامي. وأن وراء كل هذه الحروب بطرس الناسك الذي أنهض الهمم. لكن تغفل هذه القراءة الجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

coptic-books.blogspot.com

ولذلك فقد أصبحت هذه الحروب دعامة وسندًا لهم لإلقاء اللوم على المسيحية وهجومًا على الكنيسة في عملها الكرازي. وذلك اللوم أو الهجوم نتاج قناعات ثابتة عند أصحاب هذه الرؤية نتيجة لقراءة بعض أحداث التاريخ القديم وتفسيرها من وجهة نظر دينية فقط.

غير أن ما نراه واضحًا عبر دراسة موضوعية نجد أنه في الدراسات والأبحاث ما يؤكد على أن زمن الحروب الصليبية لم يشهد حالات اضطهاد للمسيحية في منطقة بلاد الشام الطبيعية وما يدعم، بالتالي، الرأي القائل بأن بواعث تلك الحروب لم تكن دينيةً بل اجتماعية واقتصادية بالدرجة الأولى، وسياسية بالدرجة الثانية.

وهذا ما يؤكده بوضوح قاسم عبده قاسم في كتابه «ماهية الحروب الصليبية» - بعد أن عرض عرضًا تاريخيًا وافرًا عن أهمية زيارة القدس عند الشعب الأوروبي، وقد أشار في عرضه إشارات ضمنية عن الدافع الديني للحروب الصليبية - وسجل هذه الشهادة قائلًا: «أقول سيكون من الصعب علينا أن نشرح ذلك كله في ضوء الدين والنفسية الجماعية والاعتزاز بالفروسية... وما إلى ذلك. إذ أن العوامل الاقتصادية والاجتماعية الفردية كانت لها أهميتها ربما كانت أهميتها أكثر من اليوم»[٤٤].

وهناك رأي آخر يستحق الأخذ به في الدور الذي قامت به الحروب الصليبية مع الكنيسة الشرقية وضدها. وسوف أسجل هذا الرأي كما دونه المطران ميشيل يتيم، مطران اللاذقية وتوابعها للروم الملكيين الكاثوليك، في دراسته الوافية عن تاريخ الكنيسة الشرقية قائلًا[٤٥]: «إن المسيحيين،

coptic-books.blogspot.com

كانوا ينعمون بالطمأنينة والسلام في أيام الخلفاء العرب. وأول خليفة ضيّق عليهم هو الخليفة العبّاس المتوكّل (في القرن التاسع). وسبب ذلك ازدياد نفوذ الأتراك في البلاط العبّاسي.ولمّا قامت الدول العربية الطولونية والفاطمية والحمدانية داخل الخلافة العباسية كان المسيحيون في أمان. إلاّ في أيام الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي كان غريب الأطوار والذي هدم كنيسة القيامة والقبر المقدس في القدس.

ولما تسلّم الأتراك السلاجقة الحكم في الدولة العباسية ضيّقوا على المسيحيين العرب وعلى الحجاج الغربيين. ووصلت أخبار هذه المضايقات إلى الغرب فتحمّس الناس لإخوانهم المسيحيين في الشرق وعزموا على إنقاذ الأراضي المقدّسة من أيدي المسلمين. وهكذا نشأت فكرة الحملات الصليبية. فكان هدفها في بادئ الأمر دينيًا. ثم انقلب بسرعة سياسيًا واقتصاديًا وتوسعيًا على حساب الدولة الإسلامية في الشرق.

أسس قادة الجيوش الأوربية عند وصولهم للشرق مركزًا رئيسيًا وثلاثة مراكز فرعية لهم. القدس وهو المركز الرئيسي لإدارة باقي المراكز. وأورفا «الرها». وأنطاكية. وطرابلس المراكز الفرعية.

وعامل الصليبيون المسيحيين الشرقيين في سوريا وآسيا الصغرى وفلسطين من الناحية الكنسية بأسلوبين مختلفين وفقًا للقوانين الكنسية السائدة آنذاك.

لقد اعتبروا السريان الأرثوذكس(٤٦). أصحاب الإيمان بالطبيعة الواحدة في المسيح. منفصلين عنهم في المعتقد. فلم يتعرّضوا لأساقفتهم

coptic-books.blogspot.com

ولأبرشيّاتهم القائمة في المناطق ذات الأغلبية السريانية. أما الملكيون الروم فاعتبروهم متّحدين بهم في الإيمان الواحد، لأنه كما نعلم أن الروم واللاتين الغربيين يؤمنون بأن في المسيح طبيعتين، إلهية وإنسانية. وهو ما سنشرحه بالتفصيل في وقته.

وكانت القوانين الكنسية آنذاك تمنع أن يكون للكنيسة الواحدة أسقفان يؤمنان إيمانًا واحدًا. ففي بادئ الأمر احترم الصليبيون وجود الأساقفة الروم الملكيين[٤٧] واعتبروهم أساقفتهم. ولكنهم على توالي الزمن، كانوا كلما شغَرَ كرسي أسقفي للروم بموت الأسقف نصبّوا عليه أسقفًا لاتينيًا. فأصبح لكراسي الأبرشيات الرومية الملكية كلها أساقفة لآتين. ولمّا كان الكرسي البطريركي الرومي الملكي في القدس شاغرًا يوم دخلوا القدس نصبّوا عليه بطريركًا لآتينيًا. وهذا الأمر أثار حفيظة بطريرك القسطنطينية البيزنطي الذي كان يرى الأساقفة الروم الملكيين في سوريا وفلسطين ولبنان يُستبدلون بأساقفة لآتين. فاشتد النفور بين الكنيسة البيزنطية في القسطنطينية وكنيسة اللاتين سواءً أكانت في الغرب أم في الأراضي المقدسة التي استولى عليها الصليبيون.

وبعد مائة عام قام الصليبيون بحملتهم الرابعة وهاجموا القسطنطينية نفسها واستولوا عليها بقوّة السلاح. فهرب الملك البيزنطي، وغادر القسطنطينية ومعه بطريرك القسطنطينية. ولمّا رأى الصليبيون أن الكرسي البطريركي القسطنطيني شاغر نصَّبوا عليه بطريركًا لاتينيًا. وهذا الحادث أقنع الروم البيزنطيين بأن الكنيسة اللآتينية تريد أن تسيطر عليهم، حتى بقوّة السلاح، إن اقتضى الأمر، وسبّب انشقاق الكنيسة.

coptic-books.blogspot.com

وانفصال كنيسة الروم البيزنطيين عن كنيسة الغرب. وفي هذا الزمن اتخذت كنيسة الروم لنفسها اسمًا خاصًا وهو «الكنيسة الأرثوذكسية» لتميز ذاتها عن الكنيسة الغربية التي أخذت تسمّي ذاتها «الكنيسة الكاثوليكية»[٤٨]

إن الحملة الصليبية الرابعة كانت في الواقع السبب الرئيس لانشقاق الكنيسة الذي لا يزال قائمًا حتى اليوم. إن هذه الحملة قد اضمحلّت، ولكن الثقة بين كنيسة الروم البيزنطية وكنيسة الغرب اللاتينية لا تزال مفقودة.

ماذا أنتجت الحروب الصليبية للكنيسة الشرقية؟[٤٩]

النتيجة الأولى

لمّا ترك الصليبيون سوريا ولبنان وفلسطين في نهاية القرن الثالث عشر ابتداءً من معركة حطين في العام ١١٨٧، رجع الأساقفة الروم الملكيون إلى كراسيهم وتضامنوا مع كرسي القسطنطينية البيزنطي وانقطعت علاقتهم بكرسي روما، لا بموجب قرارات مجمعية بل بواقع انعزالهم وابتعادهم عن الغرب.

النتيجة الثانية

أن دولة الأيوبيين الكردية ودولة المماليك ودولة التتر انتقمت لأنفسها من المسيحيين العرب المقيمين في سوريا ولبنان وفلسطين. وكان المسيحيون إلى أيام الصليبيين أكثر عددًا من المسلمين، بل كانوا الغالبية السكانية. فهاجر الكثيرون منهم إلى الدولة البيزنطية أو إلى بلاد الغرب، ودخل

coptic-books.blogspot.com

الكثيرون في الإسلام. وعاش الباقون عيشة الفقر والعزلة والجهل. وأصبحوا بالنسبة إلى المسلمين من الدرجة الثانية. لذلك نقول إن الحملات الصليبية كانت وبالًا على المسيحيين الشرقيين.

فماذا يرى المؤرخ المسلم والمؤرخ المسيحي في الحروب الأوروبية التي جاءت إلى بلاد الشرق تحت شارة الصليب؟ لم تقدم للكنيسة الشرقية الحماية كما يُظن. بل اختلط الدين بالسياسة فانقسمت الكنيسة الشرقية والغربية في منتصف القرن الحادي عشر. فإن الباحث المدقق للحروب الصليبية وللصراع الذي دار بين الكنيسة الغربية في الشرق ردحًا من الزمن لم يكن مسألة دين بل كان تسيد وقومية(٥٠).

من هنا ربما نقدر أن نستنتج أن التاريخ هو قراءة أحداث وتفسير أعمال الناس. بوجهات نظر متباينة. وتفسيرات متعددة.ويظل الأمر يحتاج إلى البحث والتنقيب للوصول إلى قراءة عادلة وتفسير موضوعي. يكون نقطة انطلاق للغد. ووسيلة فهم للحاضر من خلال النص الغائب من وراء الأحداث.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

هوامش الفصل الأول

(١) زكي، إميل. الكنيسة الإنجيلية المشيخية بمصر مائة وخمسون سنة. تعليم.. وشركة .. واحتفال. القاهرة: دار الثقافة. ٢٠٠٥م. ٥.

(٢) نصار، كرستين. الإنسان والتاريخ. لبنان: جروس برس. ١٩٩١م. ٢٥.

(٣) نصار، كرستين. الإنسان والتاريخ. المرجع السابق ٢٦.

(٤) نصار، كرستين. الإنسان والتاريخ. المرجع السابق ٢٦.

(٥) لوريمر، جون. ق. د. تاريخ الكنيسة. ج١. القاهرة: دار الثقافة. ١٩٨٢. ص. ١٢٦.

(٦) نصار، كرستين. الإنسان والتاريخ. المرجع السابق ٢٧.

(٧) سمير أبو زينب. في الخيال والتاريخ. مقال في مجلة معابر الالكترونية. تشرين ٢٠٠٨.

(٨) عمراني، عبد الجيد. نحو منظور جديد للتحالف بين أمريكا والعالم الإسلامي في ظل العولمة. بحث منشور على الرابط المكتوب نقلاً عن -www.qatar-confer ences.org/usislamic2007

قسطنطين رزيق.معركة الحضارة. بيروت: دار الملايين للعلم. ١٩٩٤. ٣٧٧ ..

(٩) البنا، رجب. تاريخ ليس للبيع. مهرجان القراءة للجميع. مكتبة الأسرة: ١٩٩٨. ص ١٧ و١٨.

(١٠) يزبك، قاسم. الدكتور. التاريخ ومنهج البحث التاريخي. بيروت: دار الفكر اللبناني. ١٩٩٠م. ١٧.

(١١) نصار، كرستين. الإنسان والتاريخ. المرجع السابق. ٣٠.

(١٢) نصار، كرستين. الإنسان والتاريخ. أثر التاريخ وتأثره بسيكلوجية الفرد. لبنان: جرّس برس. ١٩٩١م. ٢٩.

coptic-books.blogspot.com

(١٣) جوزف هورس. قيمة التاريخ. ترجمة نسيم نصر. ص٦.

(١٤) بدوي. جمال. مصر من نافذة التاريخ. مهرجان القراءة للجميع. القاهرة: مكتبة الأسرة. ١٩٩٥م. ص ٥و٦.

(١٥) جوزف هورس. قيمة التاريخ. ترجمة نسيم نصر. ص ١٤.

(١٦) البنا. رجب. تاريخ ليس للبيع.مهرجان القراءة للجميع. القاهرة: مكتبة الأسرة. ١٩٩٨م. ٤٤.

(١٧) جوزف هورس. قيمة التاريخ. ترجمة نسيم نصر. مرجع سابق. ص١٠.

(١٨) مجلة صوت العروبة. حنا. حسني. باحث. ما التاريخ وكيف يكتب. مقابلة أجرتها رانا رستم. نقلاً عن جريدة الوحدة السورية.٢٠٠٤م.

يمكن الرجوع إليها في http://www.arabvoice.com/about.php

(١٩) يزبك. قاسم. الدكتور.التاريخ ومنهج البحث التاريخي. بيروت: دار الفكر اللبناني. ١٩٩٠م.١٢.

(٢٠) عثمان. حسن. منهج البحث التاريخي. القاهرة: دار المعارف. ٢٠٠٠. نقلاً عن شيراز في منتدي التاريخ.

(٢١) www.Coptology.org حبيب. بيباوي. جورج. المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي. ٢٠٠٨. ٧٥.

(٢٢) عثمان. حسن. منهج البحث التاريخي. القاهرة: دار المعارف. ٢٠٠٠. نقلاً عن شيراز في منتدي التاريخ.

(٢٣) التاريخ كسجل للأوذيسة الإنسانية. حوار أداره الشيخ جورج ميسي.يمكن الرجوع إليه على المجلة الألكترونية معابر ٢٠٠٣مندرة اليازجي.http://www.maaber.org

(٢٤) مجلة صوت العروبة. حنا. حسني. باحث. ما التاريخ وكيف يكتب. مقابلة أجرتها رانا رستم. نقلاً عن جريدة الوحدة السورية.٢٠٠٤م.

coptic-books.blogspot.com

(٢٥) من فكر ابن خلدون ١٤٠٦م. نقلاً عن مقابلة لحسني حنا. المرجع السابق.

(٢٦) حنا. حسني. ما التاريخ؟.... وكيف يكتب. باحث ومفكر. مقابلة أجرتها رانا رستم. نقلاً عن جريدة الوحدة السورية.٢٠٠٤م.

(٢٧) البنا. رجب. تاريخ ليس للبيع. ٦٩.

(٢٨) البنا. رجب. تاريخ ليس للبيع. المرجع السابق. ٦٥.

(٢٩) البنا. تاريخ ليس للبيع. ٦٨.

(٣٠) البنا. رجب. تاريخ ليس للبيع. ٧٥.

(٣١) الرافعي. عبد الرحمن. عصر اسماعيل. ج١. ط ٤. ١٩٨١. ٧.

(٣٢) ويكيبيديا الحرة. تحت عنوان حروب صليبية.

(٣٣) www.annabaa.org/nba٤٥/hroobsalebee.htm العدد ٤٥.آيار.٢٠٠٠ الحروب الصليبية وصكوك الغفران مجلة النبأ. .

(٣٤) قاسم. عبده . قاسم. ماهية الحروب الصليبية. الكويت: علم المعرفة. الكتاب ١٤٩. ١٩٩٠م. ٤٦ – ٤٩.

(٣٥) قاسم. عبده . قاسم. ماهية الحروب الصليبية. ٤٦ – ٤٩.

(٣٦) ويكيبيديا الحرة. المرجع السابق.

(٣٧) www.arabic.bayynat.ib/kadaya/١_htm .حسين. محمد. فضل الله.الحروب.الصليبية. ونحاح دوافع

(٣٨) قاسم. عبده. قاسم. ماهية الحروب الصليبية. ١٩٩٠م. ٤٦- ٦٢

(٣٩) حسين. محمد. فضل الله. الحروب الصليبية ونجاح دوافعها. المرجع السابق.

(٤٠) السلاجقة هم في الأصل أتراك. من سلالة السلطان سلجوق الذي ظهر في أواسط آسيا. وقد هاجروا إلى إيران من وسط آسيا وسيطروا عليها في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي ..... وسيطروا أيضًا على سوريا والعراق

coptic-books.blogspot.com

ومناطق أخرى.

(٤١) بوتشر. لويزا. تاريخ الكنيسة المصرية. ترجمة وتلخيص وتعليق دياكون ميخائيل مكسي اسكندر. القاهرة: مكتبة المحبة. ٢٠٠٤م. ٢١٠.

(٤٢) نجيب. متري. ملخص التاريخ القديم. القاهرة: مطبعة المعارف بالعجالة. ١٩١٣م. ٦٦.

(٤٣) الحروب الصليبية وصكوك الغفران. المرجع السابق.

(٤٤) قاسم.عبده. قاسم. ماهية الحروب الصليبية. ٣٨.

(٤٥) يتيم. ميشيل. المطران. تاريخ الكنيسة الشرقية الجزء الثاني. جمعية التعليم المسيحي بحلب. ٢٠٠١م – ٢٠٠٢م.

(٤٦) الأرثوذكس الغير خلقيدونيين. هم الكنيسة القبطية. والحبشية والإرتيرية. والكنيسة السريانية والهندية والكنيسة الأرمينية.

(٤٧) الملكيون هم الروم الأرثوذكس الآن أو الروم الكاثوليك وهم يؤمنون بأقنوم واحد وطبيعتين في المسيح.

(٤٨) يتيم. ميشيل. المطران. جمعية التعليم المسيحية بحلب. مدخل لتاريخ الكنائس الشرقية.

(٤٩) يتيم. ميشيل المرجع السابق

(٥٠) رستم. سعد. دراسة تاريخية دينية سياسية واجتماعية. سورية: الأوائل للنشر والتوزيع. ٢٠٠٥م. ٤٣.

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثاني

تاريخ الفكر المسيحي

التاريخ الغائب

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

تاريخ الفكر المسيحي

سوف أشرح باستفاضة قصاصة عن تاريخ الفكر المسيحي الذي كان تاريخًا فاصلًا في حياة الكنيسة بين الشرق والغرب ولا يزال موضع بحث وتقديم وجهات النظر المختلفة كل بحسب ما يرى التاريخ. إنها أحداث القرن الرابع والخامس الحقبة الشائكة والتي تتطلب معرفة التاريخ الغائب فيها. لكي لا يُزَور التاريخ بروايات من صنع الخيال. فالأمة - وإن شئت فلنقل الكنيسة - التي لا تعرف تاريخها لا تحسن صياغة مستقبلها.

من هنا يكرر الكاتب ويناشد الكنيسة وقادتها الأفاضل لاتخاذ خطوة عملية لكتابة التاريخ الغائب. فإلى متى يظل رجال الكنيسة وأباؤنا الأفاضل رد فعل مواقف أو كتابات تطرح تاريخًا هامًا قد شكل مسار الكنيسة في الشرق والغرب قرونًا طويلة، ويُختَزل الرد في مقالات عبر مجلات الكنيسة، أو حتى الرد على شاشة الفضائيات، دون أن تؤخذ خطوة عملية لطرح كتابة التاريخ الغائب الذي يجهله العامة. إن مكتبتنا العربية غنية بكتب التأملات والكتابات في فروع كثيرة. لكنها تفتقر إلى كتب عن تاريخ الكنيسة، وعن الحوارات اللاهوتية، ومواضع الخلاف التي كانت بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة أنطاكية؟ وكيفية التعامل مع هذا الخلاف. فهل كان الخلاف على لاهوت السيد المسيح وناسوته؟ أم أن الخلاف كان يتمثل في سوء فهم للمصطلحات (الكلمات) التي كان يستخدمها قادة الكنيستين

coptic-books.blogspot.com

والخاصة بكيفية اتحاد طبيعتي السيد المسيح أي الناسوت واللاهوت؟ أم كان سوء فهم للمصطلحات التي كان يستخدمها قادة الكنيستين؟ ولماذا شددت كنيسة أنطاكية (نسطوريوس) في البداية على أن السيدة العذراء هي أم المسيح وليس أم الإله، وقبلت فيما بعد التعبير أم الإله؟ هل كان الخلاف بين البابا كيرلس عمود الدين بطريرك كنيسة الإسكندرية، ونسطور أسقف كنيسة أنطاكية، بسبب الخوف على سلامة العقيدة فقط. أم كان هناك اختلاف في اللغة والثقافة، والخلفيات الاجتماعية والسياسية، هي الأسباب التي حددت شكل ومضمون الحوار بينهما؟

كل هذه أسئلة تحتاج إلى إجابات شافية دون تحيز، وبعيدًا عن الميول الشخصية، لتستحضر التاريخ الغائب. والوصول معًا من خلال البحث والتحليل إلى فهم هدف كتابة هذا الكتاب.

من هنا نأتي إلى سؤالنا، ما هو تاريخ الكنيسة الغائب؟

التاريخ الغائب

لم تكن الكنيسة حركة سياسية أو اجتماعية قد قامت في وقت من الزمان، بل وُلدت الكنيسة عندما أعلن الله عن نفسه في المسيح، بتدخله في التاريخ بصورة عملية، في اتحاده بالإنسان، أي تداخل الأبدية مع الزمان، واتحاد الإنسان مع الله. «عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (اتي ٣: ١٦).

امتدت الكنيسة في كل البقعة الشرقيّة، وظهرت أكبر كنيستين في الشرق وهما كنيسة الإسكندرية، وكنيسة أنطاكية. كانت ولادة الكنيسة

coptic-books.blogspot.com

في حضن الحضارة والثقافة واللغة اليونانيّة. فكان لا بد من صهر العقيدة المسيحيّة في قالب الفكر الهلينيّ «اليونانيّ» السائد آنذاك ومحاولة ابتكار تعبيرات لاهوتيّة تعكس إيمان المسيحيين بلغة يفهمها مثقفو العصر[١]. كان في الكنيستين أعظم العلماء والمفكرين والغيورين على كلمة الله ورسالتها. وكانوا روادًا للإيمان حملوا المشعل ولم يدَّخروا جهدًا في شرح هذا الإيمان.

كانت كنيسة الإسكندرية وأنطاكية مركزين للتعليم المسيحي. وكان لكل من هذين المركزين منهج، أي طريقة تفكير. فالطابع العام الذي يميز الاتجاه الفكرى في الإسكندرية ومدرستها هو النظرة الصوفية. أما مدرسة أنطاكية وأتباعها فكان يميزهما إتجاهًا عقليًا ومنطقيًا.ومن هنا يكون لكل منهما مصطلحاته الخاصة في التعبير التي اقتضت استعمالها خصوصية كل مدرسة ومنهجها وخلفياتها الاجتماعيّة. وثقافتها ومفردات اللغة الخاصة بها. . وكثيرًا ما خالف الاصطلاح التعبيري في إحدى المدرستين المدرسة الأخرى في تأدية المعنى الواحد.

ويجدر بنا أن نقدم في الفصول التالية فكرة مختصرة. نتعرف بها على المدرستين وقادتهما. وسنمر مرور الكرام على بعض المدارس الفكرية التي ساهمت في تكوين الفكر المسيحي في الشرق والغرب.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

هوامش الفصل الثاني

(١) جبور أسبيروا، سر التدبير الإلهي (التجسد). (سوريا: المنشورات الأرثوزكسية، ١٩٨٠). ٢٢.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثالث

مدرسة الإسكندرية

قادة مدرسة الإسكندرية

أثيناغوراس

بنتينيوس

أكليمندس الإسكندري

العلامة أوريجانوس

أثناسيوس الرسولي

كيرلس عمود الدين

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

مدرسة الإسكندرية

تأسست مدرسة الإسكندرية في عصر سابق للكنيسة المسيحية ومؤسسها هو بطليموس سوتير سنة ٣٢٣ق.م. وكان شغوفًا بالعلم والعلماء فدعا عدد وفير منهم للحياة في الإسكندرية ... فلما اعتلى بطليموس فيلادلفوس عرش مصر سنة ٢٨٨ ق.م ـ بعد ٣٥ سنة من تأسيس المدرسة ـ اختار اثنين وسبعين من شيوخ معلمي الناموس ليقيموا في الإسكندرية لترجمة العهد القديم، وهي الترجمة المعروفة لدينا باسم الترجمة السبعينية[١].

تُعد الإسكندرية بموقعها المتميز واسطة عقد بين ثقافات وفلسفات البحر المتوسط وبين عقلانية الفكر الفلسفي ومدارسه، وروحانية الشرق وصوفيته. فمدينة الإسكندرية هي الوارثة الحقيقية للثقافة الهلينية والفكر اليوناني، وقد تربى رجالات الإيمان وقادة الكنيسة في جوها وتشبعوا بالفلسفة اليونانية[٢]. ولم تكن الفلسفة اليونانية بالمؤثر الوحيد الذي تغلغل في مصر بل كانت هناك مؤثرات أخرى كالتصوف الهندي والفارسي[٣].

نشأت هذه المدرسة في عهد انتشار فكر فيلو (Philo) الفيلسوف اليهودي الإسكندري الذي سبق اللاهوت المسيحي، وقد وجد فيلو في كتب العهد القديم معنى خاص ـ كما رأى فيلو أنها كُتبت بطريقة رمزية.

coptic-books.blogspot.com

فقد وضع فيلو التفسير الرمزي لتضييق الفجوة بين إعلان العهد القديم والفلسفة الأفلاطونية، إذ حمل إلى اليهود الفكر الهيليني في شرح العهد القديم لكسب المثقفين، مستخدمًا الرمزية[٤].

كانت مدرسة الإسكندرية اللاهوتية تيارًا فكريًا روحيًا غنيًا يهدف للمصالحة بين اللاهوت والفلسفة، لكي ينعم الفلاسفة بكلمة الحق الإنجيلي ... يدخلون إلى الكتاب المقدس ويتعرفون على أسراره[٥]. بل تميزت هذه المدرسة بعدم الفصل بين الدراسة والحياة الإيمانية التقوية، فكانت العبادة تمارس جنبًا إلى جنب مع الدراسة[٦]. وكان أسلوب التعليم بالمدرسة ومنهجه يعتمد على المعلم الملُهَم، أكثر من أن تكون المدرسة مجرد مبنى له مدرسين وبرنامج وفصول وحصص[٧]، بل أعظم من ذلك، فقد كانت مدرسة فكر مسيحي تحوي أسمى ما أنتجه الفكر الإنساني وأعظم ما ابتدعته الروح الإنسانية. وقامت المدرسة على العلاقات الشخصية بين الأساتذة وتلاميذهم، فقد ارتبط الطلبة بأساتذتهم أكثر من ارتباطهم بالمبنى، فكان الأستاذ هو المدرسة[٨].

تعتبر المدرسة اللاهوتية أقدم مركز للعلوم المقدسة في تاريخ المسيحية، إذ نشأ فيها أول نظام لاهوت مسيحي، كما انطلقت منها طريقة التفسير الرمزي للكتاب المقدس التي أخذتها من فيلو[٩]. وكان هدف المدرسة الأساسي والأول دراسة الكتاب المقدس، ورسالتها تنطلق من دورها الرئيسي وهو شرح كلمة الله، والكشف عن كل المعاني الروحية وإعلان ما تحمله من أعماق داخلية وراء الرموز في كل موضع من سطور الكلمة المكتوبة في الكتاب المقدس. فالطابع العام الذي كان يميز الاتجاه الفكرى في كنيسة الإسكندرية ومدرستها هو النظرة الصوفية.

coptic-books.blogspot.com

اتخذت هذه المدرسة شعارها، إشعياء ٧: ٩، بحسب الترجمة السبعينية، «إن لم تؤمنوا فلن تفهموا» وقد استخدم معلمو إسكندرية شعارهم هذا ليظهروا حقًا مزدوجًا: إنه لا يتسنى لأي إمرئ أن يفهم المعنى العميق لليهودية ما لم يقبل الإعلان المسيحي أولًا، وأنه لن يستطيع أحد الدنو من أسرار الإنجيل ما لم يتقن أولًا إيمانًا غير مغشوش في مبادئ الإنجيل الأولى.(١٠)

لم تكتف المدرسة بتقديم شرح الكتاب المقدس للموعوظين، بل قدمت الفلسفة والمنطق، وعددًا من الدراسات الإنسانية والعلوم والرياضيات والفيزياء والفلك والموسيقى(١١). فصارت أشبه بالجامعة في احتوائها على فروع المعرفة الإنسانية المختلفة. فكانت المدرسة مركزًا للتعليم الفلسفي والعلمي بالإضافة إلى التعليم اللاهوتي.

وقد وصف W.J. Gauche المدرسة قائلًا: «في الإسكندرية ... يبدو التعليم في سموه قد بلغ اتجاهًا وشكلًا يقارب جدًا نظام جامعاتنا الحديثة أكثر مما كان عليه في مكان آخر في العالم اليوناني والروماني». وقد فتحت المدرسة أبوابها أمام الجميع، التحق بها أناس من ديانات مختلفة وثقافات متباينة ومراكز اجتماعية وأعمار متفاوتة.... قبلت المتقدمين من الجنسين معًا رجال ونساء في وقت كان العالم المتحضر كله يقوم على التمييز بينهما ....ضمت المدرسة سادة وعبيدًا معًا في وقت كان فيه العبد رخيصًا يُباع كالسلعة ويشترى(١٢).

في كتاب الفكر المصري في العصر المسيحي، لمؤلفه رأفت عبدالحميد يصف المدرسة و دور آباء وأساقفة الإسكندرية الرائد والمحوري في العصر

coptic-books.blogspot.com

المسيحي، قائلًا: «إن مدرسة الإسكندرية استمدت أصالتها من أصالة المدينة نفسها، والتي تستند إلى ظهير حضاري مصري يمتد إلى أقصى الجنوب عند طيبة، كما أن المدينة تُعد المركز التجاري وملتقى خطوط التجارة. لذا فقد اختارت الإسكندرية لنفسها طريقًا يجمع بين هذا كله وبين شخصيتها اليونانية، وهو ما أضفى على المسيحية في مصر طابعًا متميزًا يخصها وحدها، حتى أنه يمكن القول إن ما حدث في بوتقة مدرسة الإسكندرية الفكرية اللاهوتية هو في حقيقة الأمر تمصير للمسيحية» [١٣].

كما يؤكد شفيق غربال في نظرة أوسع لما أدته مدرسة الإسكندرية ودور آباءها في كتابه تكوين مصر قائلًا: إن تكوين مصر يدخل فيه عنصر مسيحي مهم كل الأهمية ليس لأن المسيحية عقيدة فريق من أبنائها فقط، لكن لأن المسيحية في عالم مسيحي هي التي كونت النظرة الروحية لأبنائها كافة. ويشير المؤلف إلى دلائل سرعة انتشار المسيحية في مصر بين المصريين هو ترجمة كتب العهد الجديد إلى اللهجات القبطية السائدة في البلاد. بالإضافة إلى الكتابات الدينية الغير رسمية، كـ (سير العذراء، وروايات تتعلق بموت المسيح) [١٤].

لقد فهم قادة مدرسة الإسكندرية البيئة، وهضموا لغة الخطاب الفلسفي والصوفي، فخرجت كنيسة مصرية لها خصوصيتها وسماتها التي ساهمت بقوة في الفكر المسيحي في الشرق والغرب.

ينقسم قادة مدرسة الإسكندرية البارزين إلى مجموعتين. المجموعة الأولى في القرن الثالث الميلادي وقادتها هم: إثيناغوراس، بنتينوس،

coptic-books.blogspot.com

أكليمندس، أوريجانوس. والمجموعة الثانية في القرن الرابع والخامس الميلادي وهم : أثناسيوس الكبير وكيرلس الإسكندري.

قادة مدرسة الإسكندرية

كانت المدرسة حصنًا للكنيسة، وجسرًا من العالم للكنيسة، وكان قادتها من أعظم الرجال علمًا وتقوى. وأول علماء هذه المدرسة المشهود لهم **الفيلسوف أثيناغوراس** الأثيني Athenagoras of Athens مؤسس المدرسة، وهو من المدافعين المشهورين عن المسيحية وعقائدها. وبنتينوس العلامة، أكليمندس السكندري، والعلامة أوريجانوس المصري.

أثيناغوراس Athenagoras

لا نعرف الكثير عن حياته، يعتقد فرند W.H.C.Frend أنّ موطن أثيناغوراس هو آسية الصغرى(١٥). أما عن مؤهلاته فقد كان فيلسوفًا يرأس إحدى كراسي الأكاديمية «الميوزيم Museum» بالإسكندرية، أكبر مدرسة فلسفية علمية في الشرق في ذلك الحين، تنافس مدرسة أثينا. وكان أثيناغوراس مولعًا بالبحث في الديانة المسيحية كغيره من الفلاسفة الأفلاطونيين طمعًا في كشف أخطائها وإظهار فسادها، وإذ أراد أن يضرب بسهام نقده بكل قوة، عكف على دراسة الكتاب المقدس، ولكن الروح القدس قاده بقوة وعوض أن يخرج مجلداته ضد الإيمان المسيحي، إذ به يقبل الإيمان حوالي عام ١٧٦م، فاعتنق بالمسيحيين والتصق بهم وأدرك سمو الحياة الإنجيلية، فكتب

coptic-books.blogspot.com

دفاعه عن المسيحية والمسيحيين. وهو أول فيلسوف أهلته غيرته الشديدة واجتهاده في الدراسة أن يصير عميدًا لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية، دون أن يخلع عنه زي الفلاسفة [١٦] The philosopher Pallium. وقد صار أشهر عمداء المدرسة اللاهوتية المسيحية [١٧]. وقد وُجدت مخطوطة من القرن الرابع عشر تحتوي على جزء من مؤلّف لفيلّبس السِّيدي (القرن الخامس). تعدّ أثيناغوراس أوّل مدير لمدرسة الإسكندريّة [١٨].

ويعتبر أثيناغوراس هو أول مسيحي من ربط الفلسفة بالفكر المسيحي [١٩]. يذكر القمص تادرس يعقوب ملطي أن أسلوب أثيناغوراس في إدارة الحوار كان أفلاطونيًا. أولًا وأخيرًا فاستعار التشبيه من الزراعة والفنون اليدوية ليوضح بها خطوط الأفكار المختلفة [٢٠].

تلمس في كتاباته العقل الفلسفي الذي هذبته الثقافة اليونانية مع ملكة رائعة في الكتابة. يصفه الدكتور حنا الخضري بأنه من أصحاب الأقلام السيالة والأسلوب السلس والرقيق. وهو من أبلغ المدافعين المسيحيين الأوائل (Apologestes) [٢١].

تميز إثيناغوراس بالجرأة والمبادأة ليس فقط في شرح وتفصيل الحقائق المسيحية، بل أيضًا في الدفاع على المستوى الاجتماعي والسياسي.

كتب إثيناغورس التماس لأجل المسيحيين [٢٢]. إلى الإمبراطور ماركيوس أورليوس (الأب) وليسيوس أورليوس الابن سنة ١٧٦م. يشرح فيه أن المسيحيين يُضطهدون ويُعذبون بطريقة غير إنسانية وغير عادلة. ويلتمس أن تُفحص قضايا المسيحيين بدقة وعدل. ويجب ألا يكون فيما بعد ضحية

coptic-books.blogspot.com

للواشين بهم.كما أنه ينفي التهم التي أراد بها الوثنيون تشويه المسيحية وهي:

١. الزندقة أو الكفر.

٢. أكل لحوم البشر.

٣. عقدة أوديب.

أطلقت الكنيسة على أثيناغوراس لقب «الفليسوف المسيحي». ولأنه صار من أكبر المدافعين عن الإيمان وعن المسيحيين فأطلق عليه المسيحيون لقب «أثيناغوراس المدافع المحامي». وقد تتلمذ على يديه العلامة بنتينوس[٢٣].

بنتينوس «Pantaenus»

وُلد بنتينوس[٢٤] في الإسكندرية، وكان أحد الرواقيين المشهورين. والرواقيون أخلاقيون من الدرجة الأولى يحسبون الخير الأعظم في الفضيلة، يؤمنون بناموس الطبيعة أو ناموس الضمير أو الواجب. يرون في الله الطاقة المتغلغلة في كل شيء، بها خلق العالم الطبيعي وبقيّ محفوظًا. اعتنق بنتينوس المسيحية على يدي **أثيناغوراس**. تولّى بنتينوس الفيلسوف رئاسة **مدرسة الإسكندرية** خلفًا لأستاذه وأبيه الروحي أثيناغوراس حوالي عام ١٨١م، ونال شُهرة فائقة حتى اعتبره المؤرخ يوسابيوس أنه هو أول رئيس للمدرسة[٢٥].

أدخل بنتينوس **الأبجدية القبطية**، مستخدمًا الحروف اليونانية، مضيفًا

coptic-books.blogspot.com

إليها سبعة حروف من اللهجة الديموطيقية القديمة وغير موجودة في الأصل اليوناني. وبهذا أصبح متاحًا ترجمة الكتاب المقدس إلى القبطية تحت إشرافه. يعاونه في هذا العمل العظيم تلميذاه اكليمندس وأوريجانوس. والذي دفعه إلى ذلك هو أن اللغة اليونانية كانت لغة الثقافة في ذلك الوقت. فكانت معروفة لدى المتعلمين. وشائعة الاستعمال في المدن المصرية الكبرى[٢٦].

وترجم بنتينوس الكثير من الأدب المسيحي إلى هذه اللغة بكونها آخر شكل من تطور اللغة المصرية القديمة. وبدأ الكتّاب يستخدمونها عِوض اليونانية. كما شرح كل أسفار الكتاب المقدس من التكوين حتى الرؤيا. شفويًا وكتابة. حتى دعاه معاصروه «شارح كلمة الله». وللأسف لم يصلنا من كتاباته إلا بعض فقرات وردت خلال كتابات تلميذه القديس أكليمندس الإسكندري[٢٧]. أرسله البابا ديمتريوس إلى الهند ليقدم فيها رسالة الإنجيل. عندما طلب أهلها من البابا أن يرسل إليهم عالمًا تقيًا يعلمهم أصول الإيمان[٢٨]. وقد أحضر معه من الهند إنجيل القديس متى مكتوبًا بيده بالعبرية كان قد وصل على يدي الرسول بَرْثُولَمَاوُس[٢٩].

أكليمندس الإسكندري Clement

وُلد تيطس فيلافيوس أكليمندس[٣٠] في مدينة أثينا. من أبوين وثنيين في سنة ١٥٠م.[٣١] كان يميل إلى التعمّق في فلسفات العصر منذ الصغر. فانكبّ على دراسة الأفلاطونية[٣٢] والرواقية وغيرها. حيث كان دائم البحث

coptic-books.blogspot.com

عن العلم والمعرفة، ويتطلع إلى الله الذي يشبعه روحيًا وفكريًا وأخلاقيًا. ويعتقد الدكتور حنا أنه لهذا السبب قد ترك وطنه الأول أثينا وجال يبحث عن العلم في إيطاليا وسوريا ثم فلسطين ولم تنته في فلسطين بل في الإسكندرية[٣٣]. وقد وجد في المسيحية تحقيقًا لهدفه. فتجدد وصار مسيحيًا في الإسكندرية والتحق بالمدرسة اللاهوتية. وفي الإسكندرية تعرّف أكليمندس إلى العلّامة الشهير بنتينوس عميد المدرسة اللاهوتية. فخلب عقله وارتاحت نفسه إليه. وما لبث أن انتسب إلى مدرسته. ولم يمض وقت يسير حتى أصبح اليد اليمنى لمعلّمه في كل شيء. ورُسم كاهنًا في الإسكندرية. ولما توفي بنتينوس في أواخر القرن الثاني أُسندت إدارة المدرسة إلى أكليمندس فعمل بدأب ونشاط على متابعة رسالة معلّمه. وهو أول دارس مسيحي يحاول أن يبرر التفسير الرمزي المجازي ويطبقه[٣٤]. وقد توصّل بفضل درايته وسداد رأيه إلى مدّ جسر التقارب بين الفلسفة الهلّينية من جهة والمسيحية من جهة أخرى. ثم تولى اكليمندس الإسكندري العمادة. لكنه ترك مصر بسبب الاضطهادات القاسية المرّة بسبب الإمبراطور الروماني سبتيميوس ساويرس. ومكث عند ألكسندر تلميذه والذي أصبح فيما بعد الجالس على كرسي أسقفية أورشليم. ويقول كوستين Quasten إنه مات في أرشليم ٢١٥م. مع أن بونيفانوس يقول إنه رجع إلى مصر ومات سنة ٢١٧م[٣٥]. وقد تتلمذ على يديه العلامة الكبير أوريجانوس. الذي أثرى المدرسة بمنهجه. وألكسندر أسقف أورشليم.

coptic-books.blogspot.com

العلّامة أوريجانوس Origen

وُلد أوريجانوس في الإسكندرية من والدين مسيحيّين تقيين سنة ١٨٥م. ونشأ منذ طفولته على حبّ المطالعة. كان يتصف بالولع في حب قراءة الكتاب المقدّس. فكان والده يطلب منه أن يحفظ كلّ يوم قسمًا يحدّده له. يؤدّي عنه حسابًا عند المساء. كما كان ينحني على صدره بينما يكون نائمًا ويُقبله لأنه يعتبره «هيكلًا ممتازًا للروح القدس. معتبرًا نفسه أنه تبارك بذريّة صالحة»[٣٦]

يعتبر أوريجانوس ابن **مصر** الأصيل. وُلد في **الإسكندرية**. ومات في قيصرية. ويُعَد معلمًا من أعظم معلمي الكنيسة في كل العصور. اقتحم التاريخ. فكان لغز التاريخ الكنسي. فما من مرء عمل ماعمله من صلاح. وما من رجل أُتهم بأنه فعل شرًا هذا مقداره مثله. كان مجرد ذكر اسمه يثير الإخلاص في أسمى صوره. كما يثير الحقد في أدنى دركاته[٣٧].

كان أبوه ليونيدس روماني الجنسية. من أشراف عائلات الإسكندرية. يقال أنه كان مدرسًا للأدب اليوناني. بل كان أيضًا مسيحيًا متعمق الإيمان. علم ليونيدس أوريجانوس الابن الأكبر لسبعة إخوه. الأدب اليوناني والدراسات الكتابية المسيحية[٣٨]. وقد عاصر أوريجانوس الاضطهاد الذي أثاره سبتيموس ساويرس (Septimus Severus)[٣٩]. وقد ألقى الحاكم القبض على والده ليونيدس ووضعه في السجن.

أما أوريجانوس الذي لم يكن بعد قد بلغ السابعة عشر من عمره فكان

coptic-books.blogspot.com

يتوق أن يقتفي مصير والده في الاستشهاد. وفي اللحظة الحاسمة منعته أمه من تحقيق رغبته بإخفاء كل ملابسه حتى يلتزم البقاء في المنزل ليرعى شئون إخوته الستة. فأرسل إلى أبيه يحثه على الاستشهاد. قائلًا له : «احذر أن تغير قلبك بسببنا». قام بعد موت أبيه كمعلم بتدريس الأدب الأغريقي لمساعدة الأسرة في نفس الوقت أكمل تعليمه. فقد درس الفلسفة والأدب بيد أمنيوس سكاس (Ammonius Saccas) المؤسس الحقيقي للفلسفة الأفلاطونية[٤٠]. كما أنه درس على يد معلمه أكليمندس وتشرب من روحه.

بسبب الاضطهاد. تُركت مدرسة الإسكندرية بلا معلم. ورحيل القديس أكليمندس. عين ديمتريوس بطريرك الكنيسة. أوريجانوس رئيسًا للمدرسة وهو بعد في الثامنة عشرة من عمره.

لم يهدأ في أن يعلم تلاميذه تبعية المسيح حتى لو قادهم للاستشهاد. فربى الكثيرين في هذا الاتجاه. وحالما هدأت موجة الاضطهاد أخذ في تنظيم المدرسة. وجعل الدراسة تتضمن علوم النحو والمنطق والبلاغة والحساب والهندسة والفلك والموسيقى. وجعل هذه العلوم مقدمة لدراسة الفلسفة. وكانت كل هذه الدراسات مقدمة للدراسة المثلى وهي دراسة الأسفار الإلهية. لأن دراسة كل هذه الفروع - في نظره - تهدف لمساعدة الدارس على فهم العلوم المقدسة[٤١].

لكن لم تطول فترة الاستقرار كثيرًا. فقد قضت الظروف أن يغادر أوريجانوس الإسكندرية. عندما اعتلى عرش الامبراطورية الرومانية كاركلا بعد وفاة سبتيموس ساويرس. الذي هادن في بداية حكمه شعب

coptic-books.blogspot.com

الإسكندرية إعجابًا منه بالإسكندر مؤسسها. ولكن لم تدم المهادنة طويلًا لأن الإسكندريين استخفوا به واحتقروه لما كان عليه من ضعف خِلقي. فأراد أن ينتقم منهم باقتحام الكنائس والبيوت ويهلك كل من وُجد فيها(٤٢).

ومرة أخرى ذهب أوريجانوس إلى اليونان، بتوجيه من البابا ديمتريوس لمواجهة البدع هناك. وبعد أن أنهى مهمته، مر وهو في طريقه إلى فلسطين، فرسمه ألكسندر أسقف أورشليم وثيوقتيستوس أسقف قصيرية كاهنًا.

غير أن هذه الرسامة أغضبت البابا ديمتريوس، واعتبر هذه الرسامة تعديا على سلطته وحقوقه.فجمع مجمعه ووقع الحرم على أوريجانوس. من ذلك الوقت بدأ سوء التفاهم بين أرويجانوس والبابا ديمتريوس. من هنا لم يشأ أوريجانوس أن يبقى في الإسكندرية فعاد واستوطن قيصرية فلسطين حيث قضى بقية حياته هناك.

ترك أرويجانوس الإسكندرية إلى فلسطين، ليخدم هناك، وقد حثه أسقف قيصرية على إنشاء مدرسة للاهوت هناك، يعلم فيها الكتاب المقدس. ورأسها قرابة عشرين عامًا حتى يوم مماته.

لقد عانى هذا الرجل أقسى المعاناة في حياته، فقد بدأ في مقتبل عمره بالاضطهاد في الإسكندرية من سبتيموس ساويرس، وقد حصد من وراء ذلك الاضطهاد استشهاد والده.وفي آخر أيامه يواجه اضطهادًا آخر في فلسطين، الذي قام به ديسيوس(٤٣) Decian، الذي أمر جنوده بإلقاء القبض على أرويجانوس ووضعه في السجن.

وكتب المؤرخ يوسابيوس عن المعاناة التي ذاقها أوريجانوس في سياق

coptic-books.blogspot.com

حديثه عن استشهاد القديسين إسكندر وباسيليوس أسقف أنطاكية. يقول: «يصعب على الكاتب الماهر وصف ما عاناه أوريجانوس واحتمله بصبر وفرح والآم مبرحة وعذاب شديد أثناء هذا الاضطهاد .... ولكنه لم يُبد ضجرًا ولا أظهر مللًا. وعندما قدموه للحكم عليه بالموت ... سعى القاضي في تأخير مدته. ليس لينجي أوريجانوس منه. بل ليطيل عذابه بإطالة أيام حياته»[٤٤].

تجلت بطولة هذا الرجل من شبابه حتى مماته. في عزيمته وإيمانه وتضحيته في سبيل خدمة سيده ما يزيد عن الأربعين عامًا. حفظته عناية الله. فخرج من السجن. ليسجل التاريخ للأجيال فضيلة الثبات التي امتاز بها أوريجانوس.

تتلمذ على يديه الكثيرون في مدرسة قيصرية فلسطين. القديس غريغوريوس العجائبي الذي أصبح أسقفًا فيما بعد على قيصرية الجديدة. وأيضًا أخيه أثنيودورس الذي صار أسقفًا على تلك البلاد[٤٥].

ولم يترك بصماته على قادة الكنيسة في حياته فقط. بل بعد مماته أيضًا.فإن القرن الثالث والرابع الميلادي يفيضان بتلاميذه. ومن أبرزهم: يوسابيوس القيصري أبو التاريخ الكنسي. وديديموس الضرير مدير مدرسة الإسكندرية (٣٤٦-٣٩٨م). بمفيليوس أحد قساوسة قيصرية أورشليم. باسيليوس الكبير كاتب القداس. غريغوريوس النزينزي. وغريغريوس أسقف نصيص أخو باسيليوس الكبير.

ويذكر جيروم في ترجمته اللاتينية لكتاب «الروح القدس» الذي وضعه

coptic-books.blogspot.com

ديديموس الضرير مدير مدرسة الإسكندرية: « إن فلسفة إمبروز أسقف ميلان وأغسطينوس (كبير معلمي الكنيسة اللاتينية). لم تكن إلا مقتبسة من التعاليم الجيدة التي نادى بها أوريجانوس الفيلسوف الإسكندري العظيم[٤٦]. وأيضًا كان من بين هؤلاء التلاميذ جميعًا أثناسيوس الرسولي، بابا الإسكندرية العشرين، وواضع أول قانون للإيمان (القانون الأثناسيوسي).

في كتابها قصة الكنيسة القبطية الجزء الأول، تقول إيريس حبيب المصري عن أثناسيوس: «لم يكتف هذا البابا الإسكندري الجليل بالمصادقة على كل ما كتبه أوريجانوس، لكنه استعان بمؤلفاته في مجمع نيقية لتدعيم دستور الإيمان الذي وضعه ذلك المجمع المقدس، فهو قد ساق إلى آباء هذا المجمع المسكوني أمثلة عديدة من أقوال أوريجانوس»[٤٧].

كتب أوريجانوس في الدفاع عن المسيحية كثيرًا، ولكن أعظم ما يميزه هو دراسته المستفيضة في الكتب المقدسة. فقد كتب ستة آلاف تفسير للكتاب المقدس. وله كتابان من أهم الكتب التي استعان بها المفسرون من بعده. وأول كتاب له هو الهاكسابلا «Hexapla» وهو أعظم ما استطاع أن يعمله شخص واحد بمفرده في كل العصور. فقد كتب كل الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد في ستة أعمدة متقابلة، أربعة منها عبرية واثنان يونانية. أما الكتاب الثاني فهو المبادئ «De principle» درس فيه إلى جانب نظامه اللاهوتي، درس مبادئ الكتاب المقدس وتفسيره[٤٨].

كتب كتاب «دفاع عن المسيحية» في ثلاثة مجلدات كبيرة يرد على فيلسوف اسمه كلسس الأبيقوري، وقد استطاع أن يقنع كلسس فقبل الإيمان

coptic-books.blogspot.com

المسيحي، وألف فيها كتبًا دفاعية. وكان يرد على أمونيوس السقاص[٤٩]. كان أوريجانوس كاتبًا خصبًا وعميقًا. يقول فرار مقتبسًا قول أحد العلماء عن أوريجانوس: «إن كتبه التفسيرية كانت المثل الأعلى، والمصدر الغني لكل المفسرين اليونانيين واللاتين (الكنيسة الشرقية، والغربية) من بعده»[٥٠]

لقد كان أوريجانوس أول وأعظم من شكَّل العقل المسيحي للكنيسة في الشرق والغرب، كما رأينا في دراستنا له، من خلال حياته التقوية وكتاباته الثرية والعميقة، تاركًا تراثًا ضخمًا من تفاسير الكتاب المقدس، مقدمًا منهجه الرمزي في التفسير[٥١]. فقد كرَّس حياته كلها لهذا العمل، حتى نسب هذا المنهج التفسيري لمدرسة الإسكندرية ولأوريجانوس.

أثناسيوس الرسولي Athanasius

في الحقيقة إننا نقترب من دراسة نموذج متفرد من الشخصيات التاريخية التي شكَّلت مسار الكنيسة بصفة عامة وحياة المسيحيين بصفة خاصة، إنها شخصيةالقديس العظيم أثناسيوس،الذي قال عنه القديس إيرونيموس (جيروم) : «لولا أثناسيوس لأصبح العالم كله أريوسيًا»[٥٢].

فهو البطل المجاهد الذي تفرد بسماته الشخصية التي ميزته عن الكثيرين عبر التاريخ. رجل الصلاة والعلاقة الحميمة مع الله، بجانب أنه كان رجل المجتمع الذي دافع عن الحق الإلهي، لقد تحدى أقوى وأعظم القوات الأرضية في وقته غير واضع حسابًا للنفي أو الموت. ولم يعرف الفشل أواليأس طريقهما إلى قلبه فقد امتلأ قلبه بالمسيح ابن الله، ففاض غيرة وحماسة

coptic-books.blogspot.com

له. ولذلك أصبحت نفسه غير ثمينة عنده[٥٣]. مُنح ألقابًا عديدة منها أنه لُقِّب بالنبي، أثناسيوس الرسولي، حامي الإيمان القويم، التلميذ الثالث عشر. كما أطلق عليه الأب متى المسكين لقب عظيم الأساقفة فيقول: «كانت كنيسة الإسكندرية أم كنائس العالم». وبهذا يكون أسقفها هو عظيم الأساقفة بلا منازع»[٥٤]. أما القديس باسيليوس فيطلق عليه «أسقف الأساقفة». والقديس غريغوريوس النزيزى يقول إن رأس كنيسة الإسكندرية هو رأس العالم[٥٥].

نشأة أثناسيوس

لا نعرف بالتحديد متى كانت ولادته؟ بل يرجح أنه وُلد في حدود ما بين عام ٢٧٩م- ٢٩٦م. وكذلك لا نعرف أين وُلد؟ هل وُلد في صعيد مصر أم في الإسكندرية؟ فالبعض يعتقد أنه ربما وُلد في مكان ما بقرب مدينة الإسكندرية، مما يفسّر أُلفته بآباء البرية وتعلقه بمثالهم. ويبدو أنه كان قبطيًا أي مسيحيًا أكثر مما كان يونانيًا أي وثنيًا. فقد أشار القُدامى إلى السمرة غير العاجية لبشرته، وأنه كان يقرأ ويكتب ويعظ بالقبطية[٥٦]. وآخرون يعتقدون أن أثناسيوس وُلد سنة ٢٩٦م، في مدينة الإسكندرية نفسها من أبوين مصريين وثنيين كانا معتبرين لكثرة غناهما وشريف نسبهما[٥٧]. مات والده وهو صغير السن، ورغم أن أمه امرأة وثنية إلا أنها أرسلته إلى مدرسة مسيحية اعتقادًا منها بأنها أصلح له[٥٨]. أما رواية أخرى تحكي أن أمه أتت به بعد وفاة والده إلى البابا الكسندروس فعلمهما أصول الدين المسيحي، وعمدهما ففرقا كل مالهما على المساكين ومكثا عند البابا البطريرك[٥٩]. أما فريق ثالث يعتقد أن القديس أثناسيوس وُلد بصعيد مصر حوالى عام

coptic-books.blogspot.com

٢٧٩ م.[١٠] ولم يذكر المؤرخون اسميّ والديه. ولكنها كانا مسيحيين تقيين عاشا بالصعيد بالقرب من أخميم[١١]. وكان يتعلم في صباه صنعة كأهل ذلك الزمان وعادة أهل مصر وربما كانت هذه الصنعة هي البناء. ثم رحلت الأسرة إلى الإسكندرية واستقروا هناك. وكانت الإسكندرية مدينة وثنية في ذلك الوقت وتربى في هذه المدينة طبقًا للإشارة التي وردت في رسالة للإمبراطور قسطينوس فيكتور سنة ٣٤٥م للقديس أثناسيوس وهو في منفاه يأمره بالعودة إلى الإسكندرية وطنه[١٢]. أما الأب بسام آشجي في كتابته عن القديس أثناسيوس في مجلة التعليم المسيحي بحلب يقول: إنه وُلد في صعيد مصر حوالي سنة ٢٩٦م من أبوين مسيحيّين فقيرين. كان والده كاهنًا. علّم ابنه روح التقوى والاتضاع. عاش طفولته في مدينة أخيم ويرجح أنه كان يمارس مهنة البناء[١٣].

تعليم أثناسيوس

التحق أثناسيوس بمدرسة الإسكندرية اللاهوتية الشهيرة، وتلقى تعليمه فيها، وتردد على البرية حيث تتلمذ على يد القديس أنطونيوس الكبير. كما يشهد هو نفسه قائلًا: «لقد رأيت أنطونيوس مرارًا وتعلّمت منه لأنني لازمته زمنًا طويلًا وسكبت ماءً على يديه». وأنهى أثناسيوس دروسه اللاهوتية والفلسفة والبلاغة والشعر وعلم القانون الروماني سنة ٣١٣م. ألّف كتابين: «ضد الوثنيين» و«تجسد الكلمة» وهو لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره. فلفت انتباه أسقفه الكسندروس لحدة ذكائه وسعة إمكاناته. فاهتم بمتابعته عن كثب. فرسمه شماسًا عام ٣١٩م. ثم رئيسًا للشمامسة وجعله البطريرك أمين سرّه (سكرتيرًا). وبادر معه إلى ترتيب

coptic-books.blogspot.com

أمور الكنيسة التي خرجت من مرحلة اضطهاد الإمبراطور دقلاديانوس، ورافقه إلى مجمع نيقية عام ٣٢٥م لمواجهة بدعة آريوس[١٤].

لما توفى البطريرك ألكسندروس سنة ٣٢٨م، خلفه تلقائيًّا تلميذه أثناسيوس، فرُسم أسقفًا على الإسكندرية على يد العديد من الأساقفة وكان عمره لا يتجاوز الثانية والثلاثين، فكان البطريرك العشرون على كرسي الإسكندرية[١٥]. حاول أريوس بعد حرمه أن يرجع ثانية إلى الإسكندرية وقدم للملك قسطنطين خطابًا مملوءًا بعبارات ملتبسة تأثر بها الملك وطلب من أثناسيوس البابا الجديد إعادته، فرفض البابا قبوله لما في ذلك من مخالفة لقرار المجمع المسكوني. فقام الأريوسيون بإلصاق بعض التهم المشينة لعزله عن الكرسي البابوي[١٦].

خدمة أثناسيوس

بدأت رحلة الخدمة في حياة أثناسيوس طويلة وشاقة مع أتباع آريوس والآريوسيّة، فتعرّض أثناسيوس للقسوة والأكاذيب والوشايات والنفي إلى أبعد الأماكن، إذ إنه قضى ما يزيد على الثمانية عشرة سنة في المنفى من فترة أسقفيته التي دامت خمسًا وأربعين سنة (٣٢٨م-٣٧٣م)[١٧]. فقد قام أولًا بمواجهة الآريوسية على عهد الإمبراطور قسطنطين (٣٢٨م-٣٣٧م). والتي كانت منتشرة انتشارًا واسعًا. فقد قاوم بعض الكهنة وعلى رأسهم، كاهن يدعى ميلاتيوس ويوحنا أرتف، لم يوافقوا على تنصيب أثناسيوس أسقفًا، وتدخل الأباطرة في الشأن الكنسي، في المقاومة ضد الأسقف الجديد. وإن يوسابيوس أسقف نيقوميدية كان يعتبر أثناسيوس خصمًا له،

coptic-books.blogspot.com

ويجب التخلص منه لينشر الآريوسية. كما أنه كان متأكدًا من أن ارتقاء أثناسيوس للأسقفية يعني القضاء على الآريوسية.لهذا فقد عمل على إثارة الفتن بين أثناسيوس وبين بعض الكهنة المصريين. فقد اتهموه باطلًا عند الإمبراطور قسطنطين بأنه يساعد البابا فيلومينس الثائر على الحكومة، وفرض الضرائب على المؤمنين. وأنه قد أمر بكسر أوانٍ مقدسة وهو كأس الأفخارستيا الذي كان يستعمله الكاهن أسخيراس وهدم مذبحه. وأنه قتل أحد الأساقفة المصريين المعارضين لسياسته وهو الأسقف أرسانيوس (Arsenuos). وأنه اغتصب راهبة أيضًا[٦٨].

رغم كل تلك الإتهامات إلا أنهم لم يستطيعوا أن يقدموا دليلًا على أية تهمة من هذه التهم. ولما لم تثبت حجة واحدة على اتهاماتهم أرادوا أن يتهموه تهمة تعسفية عند قسطنطين كانوا يعلمون أنها ستكون وسيلة حقيقة لخلعه من كرسي الأسقفية وهي أنه هدد بمنع تصدير قمح الإسكندرية إلى القسطنطينية[٦٩]. ومنع تأدية ضريبة الحنطة إلى القسطنطينية[٧٠]. الأمر الذي أغاظ الإمبراطور. فنفاه إلى تريف بفرنسا لمدة ١٨ شهرًا. وبتوقع قرار مجمع صور بشلح الأسقف أثناسيوس ونفيه. فإن الأريوسيين أصدروا قرارًا بعودة أريوس إلى الإسكندرية في غياب البابا المنفي، فعاد أريوس تحت حراسة مشددة لكن ثورة الشعب ضده ألزمت الوالي أن يطالب بسحبه ورده إلى القسطنطينية مرة أخرى. فأقيم حفل تنصيب آريوس بطريركًا في كنيسة أورشليم، لكن فرحة التنصيب لم تدم طويلًا[٧١].

وبعد تنصيبه، دخل أريوس القسطنطينية مع جماعة من أتباعه. وفيما كان يجوب شوارع القسطنطينية شعر بألم شديد في بطنه.فترك أتباعه

coptic-books.blogspot.com

ودخل أحد المراحيض العامة حيث اندلقت أحشائه وانطرح على الأرض ومات في الحال. بعد حوالي عام إذ كان قسطنطين على فراش الموت أوصى بعودة البابا أثناسيوس إلى كرسيه. وبالفعل عاد أثناسيوس إلى الإسكندرية بعد سنتين[٧٢].

كان للإمبراطور قسطنطين ثلاثة أبناء، فقسمت المملكة بينهم، فتولى ابنه قسطنطين الثاني الحكم على الغرب. وقسطنديوس حكم الشرق، والأخ الثالث قسطنس فحكم البرية وجزءًا من أفريقيا. ولقد كان قسطنطين الثاني وقسطنس أرثوذكسيين (يؤمنون بقانون الإيمان النيقوي). أما قسطنديوس فكان أريوسيًا[٧٣].

لما علم الأريوسيون بوصول أثناسيوس إلى الإسكندرية اضطربوا وبدأوا في تدبير المكايد والمؤامرات مرة ثانية، لإقصائه في أقرب وقت ممكن. فعقدوا مجمعًا في أنطاكية عام ٣٣٩ م، في عهد الإمبراطور قسطندس الثاني (٣٣٧م- ٣٦١م). وأصدر المجمع قرارًا بعزل البابا أثناسيوس عن كرسي كنيسة الإسكندرية، واختار المجمع شخصًا من أتباع يوسابيوس اسمه يستوس، وكان كاهنًا محرومًا وأقامه رئيس أساقفة على مدينة الإسكندرية. ولكن ثبت لهم عدم صلاحية يستوس فنصبوا غريغوريوس الكبادوكي الذي دخل الإسكندرية بالقوة وبمعاونة الجيش. فاضطر القديس أثناسيوس أن يهرب إلى روما ليحظى بحماية البابا يوليوس فرحب به واستقبله خير استقبال، وعقد مجمعًا ألغى فيه قرارات مجمع أنطاكية. وقد رجع أثناسيوس بعد غياب طال إلى سبع سنوات[٧٤].

coptic-books.blogspot.com

تغيرت الخريطة السياسية والدينية بعد قتل الإمبراطور قسطندس حاكم مصر في سنة ٣٥٠م، وأصبح قسطنديوس - الآريوسي التوجه - الإمبراطور الوحيد على الشرق والغرب.

ولما توفى البابا سنة ٣٥٠م وأصبح الإمبراطور الآريوسي هو الآمر الوحيد عقد مجمعَين في آرل بفرنسا سنة ٣٥٣م، وفي ميلانو بإيطاليا سنة ٣٥٥م وأجبر فيهما الأساقفة الغربيين على توقيع حكم النفي على أثناسيوس، مخيرًا إياهم بين النفي للجميع أو التوقيع على القرار[٧٥]. رفض البعض التوقيع على القرار مثل أسقف روما ليباريوس الذي خلف الأسقف يوليوس، لكن الأغلبية العظمى وقَّعت تحت التهديد.وبذلك يكون أثناسيوس قد نُفى للمرة الثالثة، لكنه لم يقبل أثناسيوس قرار الإمبراطور، وشعر أنه ليس من حق الحاكم أن يتدخل في الأمور الدينية التي لا يفهم فيها شيئًا، فثارت ثورة الإمبراطور ضد أثناسيوس وأرسل قوة عسكرية مكونة من خمسة آلاف جندي مسلحين للقبض على الأسقف وقيادته إلى المنفى[٧٦]. اختطفه بعض الرهبان لنجاته من السطو المسلح إلى صحراوات طيبة - في صعيد مصر – وهو موطن للرهبان الذين استقبلوه بالطاعة الفطرية، كما استقبله العديد من اتباع أنطون وباخوم باعتباره أبيهم الروحى أثناء اختفائه هذه السنوات الست (٣٣٥م – ٣٦١م). وظل أثناسيوس في عزلته هذه حتى انتهت حياة قسطنطيوس[٧٧].

وبموت قسطنطيوس صار يوليانوس Flavius Claudius Julianus إمبراطورًا على الغرب والشرق، وقد كان مسيحيًا ثم أنكرها منذ شبابه وعاد إلى الوثنية، واشتهر في التاريخ باسم يوليانوس الجاحد.

coptic-books.blogspot.com

وأُعلن في الإسكندرية خبر تولي يوليانوس مقاليد الإمبراطورية سنة ٣٦١م. ويقول الأب متى المسكين[٧٨] تهلل كل وثنيي الإسكندرية واعتبروها فرصتهم. فكان أول عمل عملوه أن قاموا على الأسقف الأريوسى الدخيل جورج الكبادوكى الذي لم يمض على وصوله للإسكندرية أكثر من شهر. وأخرجوه خارج الكنيسة وقتلوه في ٢ ديسمبر سنة ٣٦١م. بعد أن جلس يوليانوس على كرسي الإمبراطورية الرومانية أصدر أمرًا برجوع الأساقفة الذين نفاهم الإمبراطور السابق قسطنطيوس، ولم يكن ذلك توقيرًا منه للكنيسة ومحبة لها لأنه كان يحمل الكراهية ضد المسيحية، ولكن احتقارًا منه للمناقشات التى دارت بين هؤلاء الأساقفة (الجليليين حسب تعبيره) وإمعانًا في الاستهزاء بقرارات الإمبراطور سلفه[٧٩]

فرجع البابا أثناسيوس، بعد ست سنوات إلى الإسكندرية ومعه لوسيفر أسقف كلاريس بسردينيا، ويوسابيوس أسقف فرشللى بإيطاليا اللذان كانا منفيين في صعيد مصر[٨٠].

عقد البابا مجمعًا بالإسكندرية عام ٣٦٢ بعد قرار يوليانوس، ودعي «مجمع القديسين والمعترفين»، إذ كان جميعهم قد حضروا من النفي أو نالوا عذابات، لكن لم يدم الحال طويلًا، فقد شعر **يوليانوس** بخطورة البابا أثناسيوس على الوثنية فبعث لوالي الإسكندرية يقول بأن الأمر بعودة المنفيين إلى بلادهم لا إلى كراسيهم، آمرًا إياه بطرد أثناسيوس خارج مصر. فاضطر البابا إلى الاختفاء في مقبرة أبيه ٦ شهور[٨١]. وقد مات الإمبراطور يوليانوس في يونيه ٣٦٣م[٨٢].

coptic-books.blogspot.com

قتل الإمبراطور **يوليانوس** في حربه مع الفرس[٨٣]. وتولى جوفيانوس عرش الإمبراطورية الرومانية. كان جوفيانوس أمينا لعقيدة نيقية، موقرًا للإيمان بالمسيح في ضوء مفهوم «الهوموؤوسيون» وأول أمر أصدره بمجرد عودته لأنطاكية هو عودة الأساقفة المنفيين في أيام يوليانوس أو قسطنطيوس، وأمر بإلغاء مراسيم الدولة للعبادة الوثنية التى أمر بها الإمبراطور يوليانوس. كما أرسل خطابًا خاصًا وديًا وتشجيعيًا للقديس أثناسيوس يدعوه فيه للعودة إلى كرسيه وتدبير شئون الكنيسة[٨٤].

رجع البابا إلى الإسكندرية حيث عقد مجمعًا فيه كتب خطابًا يحوي قانون الإيمان النيقوي. أرسل جوفيانوس خطابًا آخر بلغة رقيقة ومهذبة إلى أثناسيوس يدعوه لزيارته والإقامة في القصر الإمبراطوري بعضًا من الوقت، وبالفعل لبى أثناسيوس الدعوة. إلا أن جوفيانوس لم يقض وقتًا طويلًا في الحكم فقد مات سنة ٣٦٥م، وتولى سدة حكم الإمبراطورية في الغرب، فالنتينان Flavius Valentinianu، وسلم أخاه فالنس Flavius Valens الشرق[٨٥].

تولي فالنس إدارة شئون الشرق، وكان فالنس أريوسيًا وذلك لأنه تعمد على يدي إفدوكسيوس أسقف القسطنطينية الأريوسي.وقد أصدر فالنس حال توليه عرش الإمبراطورية الشرقية قرارًا ينفي فيه كل الأساقفة الذين سبق أن نفاهم قسطنديوس، كما أنه أعطى أمرًا خاصًا بأن هذا القرار ينطبق أيضًا على أثناسيوس فلا بد من نفيه. نُفي البابا أثناسيوس وهذه المرة تكون المرة الخامسة، غير أن البعض يقولون إن هذه المرة قتل الملك خلالها ثلاثين أسقفًا من الموالين لأثناسيوس. ولما رأى الإمبراطور صلابة الأقباط قرر رفع الاضطهاد

coptic-books.blogspot.com

عنهم وإعادة أثناسيوس إلى كرسيه سنة ٣٦٨م[٨٦]. أما الدكتور الخضري فيقول: إن البابا أثناسيوس اختار مخبئًا أكثر قربًا من مدينة الإسكندرية ومعد بوسائل الراحة والرفاهية أكثر من المرات السابقة. فلم يذهب إلى الصحراء بل اختبأ في فيلا أحد أصدقائه في ضواحي الإسكندرية حيث قضى فيها حوالي سنة.ثم يكمل الدكتور الخضري روايته قائلًا: لا نعلم بالضبط الظروف التي دفعت شعب الإسكندرية في أول فبراير ٣٦٦م للذهاب إلى مكان مخبئه والهتاف بحياته وتأييده. وأمام هذا الأمر اضطر الإمبراطور إلى أن يسمح له باستئناف عمله الرعوي في مدينة الإسكندرية[٨٧].

لقد دامت رئاسة القديس أثناسيوس ٤٦ سنة. قضى منها ١٧ عامًا في النفي. ويمكن أن نلخصها في السطور الأتية[٨٨]:

في عهد قسطنطين (٣٣٥ – ٣٣٧ م) في تريف.

في عهد قسطندس (٣٣٩ – ٣٤٦ م) حيث زار روما.

في عهد قسطنطيوس (٣٥٦ – ٣٦٢ م) حيث عاش في براري مصر.

في عهد يوليانوس (٣٦٢ – ٣٦٣ م) حيث عاش في براري مصر.

في عهد فالنس (٣٦٥ – ٣٦٦ م) حيث عاش في براري مصر.

بعد دراسة حياة القديس أثناسيوس[٨٩]. نرى كيف شكل هذا العملاق فكر الكنيسة. وكيف استخدمه الله بقوة في تشكيل العقل المسيحي الذي نحياه اليوم. فقد أثرى الكنيسة بتعاليمه اللاهوتية والروحية. فقد كان قديسًا ومعلمًا ولاهوتيًا لا يقارن ... فصارت كتاباته دستورًا وتعليمًا

coptic-books.blogspot.com

ومنهجًا ناطقًا للكنيسة الشرقية والغربية إلى الآن.

لقد قدم أثناسيوس كل ما كان لديه من قوة روحية، وإمكانية عقلية. ولعل قارئ التاريخ يقدر أن يعرف من خلال رحلة حياة هذا القديس والمعلم والقائد الآليات والظروف التي عاشها، والذي تفاعل وكون من خلال استخدامه لها التاريخ العظيم الذي نحياه في وقتنا الحاضر.

فماذا يمثل لنا تاريخ هذا الرجل؟ وماذا تمثل لنا دراسة شخصيته وجهاده، والظروف التي أحاطت به والمكايد والوشايات التي أُلصقت بخدمته؟ إنها حياة بطل بكل المقاييس، البطل الذي عاش أغلب حياته في سلسلة لا تنقطع من الصراع، ولم يعرف فترات السلام الخارجى في خدمته إلا القليل النادر، لكنه لم يتنازل عن أن يعيش بطلًا روحيًا ولاهوتيًا أصيلًا رغم أنه عانى في سبيل الإيمان أهوالًا ومتاعب، واجتاز شدائد وضغوطًا عصرته، ولكنها لم تستطع أن تصيب روحه بالجفاف..... فصمد أمامها صمودًا عجيبًا. لم يتخل عن رؤيته وأيضًا لم يتوار أن يعيش مبادئ سيده. فمع أنه لم يكن له أن يسند رأسه إلا أنه كان أمينًا في إرساليته حتى تقابل مع سيده. ويصفه الأنبا إغريغوريوس فيقول:[٩٠] كانت حياته وتعليمه مبنيان على تلامس مباشر مع الذات الإلهية، وإشراق واضح في القلب نتيجة لهذا التلامس، لذلك كانت أقوال أثناسيوس في الإلهيات أقوالًا مضيئة بنور من الله أشرق على قلبه فأضاء وأنار، بل احترق فأنار...

وجاءت رسائله الفصحية السنوية البليغة (رسائل اعتاد البابوات إرسالها للرعية) تكشف لا عن نفس مُرَّة من أجل مقاومة الكثيرين

coptic-books.blogspot.com

والمستمرة له. بل عن اعتزاز حي بالجهاد المستمر مع رجاء صادق في التمتع بالغلبة في المسيح لا تنقطع. آمن القديس أثناسيوس برسالته واختبر سيده اختبارًا منقطع النظير.فما عاشه وما خدمه كان يعمل عمل المسيح باسم المسيح ولحساب المسيح. لهذا لم يدخل اليأس قط إلى قلبه. ولم يحمل روح الفشل بل روح الغلبة والنصرة.قيل له : «العالم كله ضدك يا أثناسيوس ! «وكانت إجابته التلقائية النابعة من خبراته اليومية. «وأنا ضد العالم». لم يكن هذا عن كبرياء أو تشامخ. وإنما عن يقين في إمكانيات الله العاملة فيه[٩١].

علاوة على حياته الداخلية فقد كان رائدًا في وحدة الكنيسة الشرقية. فقد ارتبطت الكنيسة المصرية مع كنيسة أنطاكية برباط الإخوة في الإيمان وكانت العلاقات بينهما في قمة ازدهارها في أيامه[٩٢]. فلم يتنازل أثناسيوس عن أن يعيش قائدًا لفكر الكنيسة وعقيدتها. لا لمصر بل لكنيسة الرب في كل العالم. في سبيل انتصار قانون الإيمان النيقوي. وقد التقى بسيده قبل أن يرى اليوم الذي قبل فيه مجمع القسطنطينية ٣٨١م قانون الإيمان النيقوي[٩٣].

يجدر بنا أن نقول إنه قد تشبعت حياة أثناسيوس وفكره ومصطلحاته. كتلميذ لسيده في إرساليته يقدم الحق الإلهي. ولمدرسة الإسكندرية اللاهوتية في فكره يصف التجسد بأنه سر وأنه يفوق العقل. ويعلو على الفهم والإدراك والمعرفة. وما إليها من ألفاظ تنم عن تقوى حقيقية. وكثيرًا ما كان يقول في تعليمه عن التجسد ويصف الاتحاد بين اللاهوت والناسوت بأنه اتحاد لا يوصف أو يفوق الوصف أو لا يمكن إحرازه أو لا يعبر

coptic-books.blogspot.com

عنه أو لا ينطق به أو لا يسبر غوره أو أقدس من أن يُذكر(٩٤)...... وبما في ذلك تعبير «المساوي في الجوهر» النيقوي. متأثّرًا بمدرسة الإسكندرية. التي كانت ولم تزل إلى أيام أثناسيوس وبعده مشبعة من فكر أوريجانوس في طُرق البحث والشرح والتحليل. وفي الوقت ذاته كان يصحّح ويقوّم أفكار سابقيه على ضوء الوحي المقدس في الإنجيل؛ فحاول الذهاب من «اللوجوس» الفلسفة إلى «اللوجوس» إنجيل يوحنا. ومن إله الفلاسفة إلى الله المعلن في المسيح يسوع(٩٥).

إن حياة أثناسيوس قصة سجلتها الأحداث من قصص التاريخ. ورواها الرواة بآلياتها وخلفياتها الدينية والتاريخية والبيئية التي صاغت القصة. فوصلت إلينا لنتعلم من منها ونفحص الزمن بإيجابيات ظروفه وسلبياته وكيف يمكن لنا من خلال هذه المعرفة أن نكتب تاريخًا.فهل تتعلم الكنيسة أن تقتفي خطوات سابقيها فتضيف للتاريخ تاريخًا أو تغير التاريخ ليكون تاريخًا جديدًا؟

كيرلس عمود الدين Cyril

لا نعلم عن حياته الكثير وخصوصًا في سنواته المبكرة الأولى. يعتقد كثير من المؤرخين أن كيرلس وُلد في مدينة الإسكندرية(٩٦). ولكن يصعب تحديد تاريخ ميلاد كيرلس. ولذا يعتقد المؤرخون أن سنة ميلاده كانت بين سنتي ٣٧٥ و٣٨٠م(٩٧). عاش جدّاه الغنيّان التقيّان في ممفيس في مدينة أركاديا (حاليًا ميت رهينة جنوب الجيزة). ولما ماتا اهتمّت مربية أثيوبية

coptic-books.blogspot.com

وثنية، ولكنها كانت بقلبها محبة للمسيحية، اهتمت بالطفلين: ثاوفيلوس وأخته الأصغر منه والدة القديس كيرلس[٩٨].

أما الدكتور حنا الخضري فيقول إن المؤرخ يوحنا الذي عاش في القرن السابع وكان حسب الظن أسقفًا لمدينة نقيوس (Nikiou) يعتقد أن أم كيرلس التي يجهل التاريخ اسمها، قد تزوجت برجل من مدينة المحلة الكبرى، وهناك وُلد كيرلس[٩٩].

نال كيرلس قسطًا وافرًا من العلوم الكلاسيكية واللاهوتية في مدرسة الإسكندرية، حيث كانت الإسكندرية مركزًا عظيمًا للتعليم كما نعلم. هذا بجانب ما تمتع به من تعاليم على يديّ خاله ثاوفيلوس الذي اهتم اهتمامًا خاصًا بتربية وتعليم وتثقيف الطفل فالشاب فالرجل كيرلس[١٠٠]. ألحقه خاله بالمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية لدراسة العلوم الفلسفية التي تعينه على الدفاع عن المسيحية ضد الهراطقة والمبتدعين، فتمكن من دراسة جميع العلوم الدينية والفلسفية، فشبّ على معرفة العلوم الدينية والشغف بقراءة الكتب المقدسة وأقوال الآباء وسيرهم. وتهذب بكل العناية الفائقة منذ الصغر وحتى تخرجه. وبعد أن قضى في البرية خمس سنوات أرسله البابا « ثاوفيلوس» إلى الأب سرابيون الأسقف، فازداد حكمة وعلمًا وتدرب على التقوى[١٠١].

وبعد ذلك أعاده الأسقف إلى الإسكندرية، ففرح به خاله كثيرًا ورسمه شماسًا فكاهنًا.وطلب منه أن يساعده في خدمة الوعظ والرعاية، وكاتبًا له. وقد أعجب به الشعب وبعلمه، ومن هنا بدأ خاله في إعداده بطريقة

coptic-books.blogspot.com

جدية لأن يكون بطريرك المستقبل.

ويعتبر الدكتور الخضري أن هذا الرجل واحدًا من سحابة الشهود العظيمة. فقد حاول أن يقدم شهادة حية لامعة عن سيده، وأن يدافع بكل ما أوتى من قوة ومعرفة ودراسة عن تعاليمه، وعن إيمانه في شخص الرب يسوع المسيح. فكيرلس كان وافر العلم واسع الاطلاع وثابت الفكر.فقد حارب الآريوسية، حارب نسطور وتعاليمه، فأهم مشكلة واجهها البابا كيرلس كانت بدعة نسطور بطريرك القسطنطينية الذي نادى بأن في السيد المسيح أقنومين وشخصين وطبيعتين، فهو حين يصنع المعجزات يكون ابن الله وحين يتألم ويجوع ويعطش ويصلب ويموت يكون ابن مريم. ثم أنه قاوم الوثنية في كتاباته ضد كتابات الإمبراطور يوليانوس[١٠٢] المرتد[١٠٣].

واعتبرته الكنيسة اليونانية حجة في المسائل المتعلقة بشخص الرب يسوع المسيح، ولقبه إنستاس السيناوي نسبة إلى سيناء بلقب خاتم الآباء. أما الكنيسة القبطية فقد لقبته ألقابًا عديدة منها عمود الدين، عمود الإيمان، عمود النار المنير، الأسد الجرئ، أثناسيوس الثاني، كوكب الرأي المستقيم، وقد لقبه البابا ليون الثالث عشر بلقب معلم الكنيسة. على أن بعض منافسيه لقبوه بألقاب كثيرة مثل القاسي، العنيد، فرعون مصر الطاغية، المتجبر[١٠٤].

ويجدر بنا أن نؤكد على ما سجله القس حنا الخضري أن كيرلس كان عالمًا ومعلمًا مقتدرًا، كله حماس وحيوية وغيرة على انتشار ملكوت الله لكن غيرته وحماسه قاده في بعض الإحيان إلى التطرف والتعصب[١٠٥].

coptic-books.blogspot.com

تنصيب كيرلس بطريركًا للإسكندرية

كان البابا ثاوفيلوس خال كيرلس من أشد البطاركة صلابة في قيادة الكنيسة[١٠٦]. وقد تزامنت قيادته للكنيسة المصرية مع حكم الإمبراطور ثيودسيوس البيزنطي The East Roman Emperor Theodosius. كان اضطهاد الوثنيين للكنيسة ملازمًا لها منذ أن بدأت. وكتب التاريخ مليئة بكل أنواع العنف والقتل والتشريد للكنيسة حتى بعد أن أصبح الغالبية العظمى من المسيحيين. فكانوا يخطفون المسيحيين ويقدمونهم ذبائح للأوثان. وقد استمرت أعمالهم لمدة قرون طويله.

أما في أيام حكم هذا الإمبراطور البيزنطي تغير نظام الوثنيين الذين أذاقوا المسيحيين ويلات القتل والاضطهاد وتبدل الأمر عندما أصدر الإمبراطور ثيودوسيوس مرسومًا اعتبر فيه أن المسيحية هي دين البلاد الرسمي. ولكن قبل حكم هذا الإمبراطور كانت الأريوسية تسيطر على مقاليد أمور ولايات الإمبراطورية وكان الأباطرة أريوسيين وكذلك الأساقفة وكان أتباع الأريوسية في الكنيسة قد أدخلوا نظام الاضطهاد والتعذيب وحتى القتل ضد الوثنيين. الأمر الذي لا تسمح به المسيحية. ولم يحدث منذ أن وضع الرسل اللبنة الأولى للكنيسة. ولا سمعنا أو قرأنا أن المسيحيين في مصر قتلوا إنسانًا وثنيًا أو عذبوه[١٠٧].

أفرز المجتمع المصري في قيادة الأريوسيين الروحيين والسياسيين العنف والقتل والاضطهاد. وقد شكلت هذه الإفرازات المجتمع المدني والاتجاه الديني أي المجتمع كله. فورث الأرثوذكس أتباع الإيمان النيقوي وقلدوهم. فأصبحوا

coptic-books.blogspot.com

يميلون أيضًا إلى اضطهاد كل من يخالفهم في العقيدة أو الرأي[١٠٨].

وتقول مسز بوتشر: «وكان الرهبان أكثر الناس شرًا في هذا المضمار وقد تعدى شرورهم الحد وعم إثمهم كل مكان خصوصًا في مصر فأصبحوا فيها جيشًا نافذ الرأى، وكانوا يسيرون حفاة الأقدام حتى أنهم تشبهوا بجماعة من الثوار ولكنهم كانوا جهلاء حمقى ولم يتسلحوا بسلاح العلم والمعرفة كما في الأزمان السالفة. فسقطوا في هاوية الشر والفساد. حتى أنه وصل الأمر أن أنعدم عندهم وجود الرابط الطبيعى الذي يربط الإنسان عن ارتكاب المعاصى ثم زاد عصيانهم وتحجرت أفكارهم واضطربت فلم يكونوا يطيعون آدميًا سوى رؤساء أديرتهم». أخذ هؤلاء الرهبان في تقويض الهياكل والتماثيل الوثنية (الصغيرة) في كل أنحاء البلاد وكان ذلك ضد الأمر الإمبراطورى بالحفاظ على هذه المعابد. ويقول الملكيون (الروم): وكان نشاط البطريرك السكندري البابا ثاوفيلوس الثالث والعشرون بدأ يتسع إذ أخذ على عاتقه هدم الهياكل والتماثيل الوثنية. كان المسيحيون في ذلك العصر يعتقدون بأنهم يقدمون خدمة عظيمة لإلههم. إذ ينتظمون جماعات جماعات وينطلقون لهدم هياكل الآلهة الوثنية. وكان الوثنيون يطلقون عليهم لقب «العصابات السوداء»[١٠٩].

لم يكن هدم الهياكل الوثنية والتخريب في مصر فقط ولكن في أنحاء العالم وخاصة الإمبراطورية البيزنطية الشرقية.ففي سنة ٣٩٣م. أصدر الإمبراطور ثيودسيوس أمرًا بحماية مجامع اليهود.ولكنه ترك هياكل الوثنيين التى كانت آية في الرونق والبهاء وتحفة في الفنون للتخريب على أيدي الرهبان يتصرفون فيها كما شاءوا. وتعلق بتشر على أن ذلك تم: «بأمر

coptic-books.blogspot.com

الإمبراطور ثيودسيوس بناء على طلب البابا ثاوفيلوس، وكانت النتيجة أنه لم يبق حجر على حجر لم ينقض من هيكل سيرابيس الذي كان يُعد من أجمل الأعمال الهندسية في مدينة الإسكندرية (١١٠).

غير أن بوتشر كانت متوازنة في حكمها على ثاوفيلوس حيث قالت: «وإذا قلنا أن أعمال البابا ثاوفيلوس البطريرك الثالث والعشرين هذه كانت منشأ الاضطرابات، فلنا أن نقول أيضًا أن الوثنيين أنفسهم أجهزوا على ما بقي لهم من الرفعة والمجد وجروا أنفسهم وعقيدتهم للحضيض (١١١).

كان العداء بين الوثنيين والمسيحيين، وكانت القوة المدنيّة طوّع أوامرهم وكان الوثنيون هم أصحاب النفوذ وقاموا يدافعون عن عقيدتهم الوثنية التى كانوا فيها يذبحون البشر من المسيحيين، وكان بعض الوثنيين من الرجال الأبطال الذين كان بعضهم من أفراد الجيش قد أعدوا للحرب والقتال فكانوا يسخرون بالإمبراطور والبطريرك معًا.

وفي ظل الاضطرابات والشغب لم تكن السلطة الحاكمة راضية على ثاوفيلوس، وكان الجو العام متوتراً ومشحونًا، والكنيسة تمر بأقسى الظروف من توتر سياسي وشحن ديني وقلاقل اجتماعية.ومن هنا لم يكن الجو العام مهيئًا لانتخاب البطريرك الجديد كيرلس، ابن أخت ثاوفيلوس، بالإجماع.

عندما توفي ثاوفيلوس في ١٥ أكتوبر ٤١٢م، كانت الأنظار متجهة إلى شخص آخر غير كيرلس، وهو تيموثاوس رئيس الشمامسة الذي كانت تؤيده السلطات الحاكمة. لأن السلطات وبعضًا من غير المؤيدين لكيرلس كانوا يخشون من أن يتبع كيرلس سياسة خاله في إدارة الكنيسة وفي موقفه

coptic-books.blogspot.com

ضد الحاكم. ورغم المعارضة الشديدة التي كانت تؤدي إلى فتنة، إلا أن انتخاب كيرلس بطريركًا كان في ١٨ أكتوبر ٤١٢م، أي بعد ثلاث أيام من وفاة البابا ثاوفيلوس[١١٢]. وقد نُصب كيرلس البطريرك الرابع والعشرون، في **١٧ أكتوبر** ٤١٤م[١١٣]. ونستنتج من هذا أن حياة الأسقف بدأت وسط اضطراب وعدم اتفاق الرأي مما كان ينم عن نذير بحالة من العنف والغيرة المتأججة[١١٤].

سمات كيرلس الشخصية

نحن لا نستطيع أن ننتزع الشخصية التي نقوم بدراستها من إطار العصر الذي عاشت فيه والبيئة والمحيط الذي نشأت الشخصية وتربت فيه. فكما عرفنا أن كيرلس تربى على يدي خاله ثاوفيلوس. فقد كان ثاوفيلوس طموحًا ذا نشاط عملي متسع[١١٥]. يرى البعض أنه كان رجلًا تقيًا روحيًا دارسًا متعمقًا، وسياسيًا محنكًا، يراه آخرون أنه كان رجلًا دارسًا ومتعمقًا فعلًا، إلا أنه كان صارمًا قاسيًا ومحبًا للشغب[١١٦]. أما فريق ثالث فيرى أن تعليمه الروحاني (كان من خلال رسائله الفصحية وكتاباته القليلة التي وصلت إلينا) قليل القيمة وغير واضح وكان ذا صبغة عاطفية في رسائله، وعظاته كانت شديدة العنف[١١٧]. ربما كل فريق عنده جانب من الصواب في تحليلة لشخصية ثاوفيلوس، لكن الكل يتفق على أن ثاوفيلوس تعهد كيرلس بعناية خاصة وهو الذي قام بتربيته وتعليمه وتثقيفه وإعداده للوصول إلى هذا الموقع وهذه الخدمة[١١٨]. ويرجح كوستين Questine أن كيرلس قد درس أولًا في مدرسة بندسن وأوريجانوس الشهيرة في ذلك العصر، ثم انطلق إلى أثينا، حيث تتلمذ على يد العالم المشهور ليبانوس[١١٩]. أما نحن والكنيسة القبطية فنعتقد فعلًا أنه درس في مدرسة الإسكندرية وتثقف بعلومها

coptic-books.blogspot.com

اللاهوتية والفلسفية. كما أنه قضى خمس سنوات في دير القديس مقار في البرية فتتلمذ هناك على يد شيخ فاضل اسمه صرابامون وقرأ له سائر الكتب الكنسية وأقوال الآباء (وخاصة كتابات القديس أثناسيوس الذي أعجب بها كل الإعجاب)، وروض عقله بممارسة أعمال التقوى والفضيلة مدة من الزمان.ثم بعد أن قضى في البرية خمس سنوات أرسله البابا ثاوفيلوس إلى الأب سرابيون الأسقف الفاضل فازداد حكمة وعلمًا وتدرب على التقوى والفضيلة[١٢٠]. ويجدر بنا أن نقول إن البابا كيرلس الرابع والعشرين الذي أطلق عليه معلم الحياة الروحية قد ختم عصر الآباء الذهبي. بل وأيضًا جنى حصاد ثماره الوفيرة. العصر الذي بدأ تاريخه القديس أثناسيوس ٣٢٨م. واستمر أكثر من قرن من الزمان ظهر فيه عشرات الشخصيات المباركة في الكنيسة الشرقية (كنيسة الإسكندرية ممثَّلة في القديس أثناسيوس. كنيسة أنطاكية ممثَّلة في القديس يوحنا ذهبي الفم. وكنيسة أورشليم ممثَّلة العلامة جيروم «إيرينيموس». الذين كتب معظمهم باليونانية مناضلين من أجل الإيمان وشرحه وتوضيحه[١٢١].

جلس البطريرك كيرلس على كرسي كنيسة الإسكندرية. في الوقت الذي فيه كانت الإسكندرية مليئة بالهراطقة الذين تقووا بسبب تظاهرهم بالعبادة الشاقة. حيث اختاروا لهم أسقفًا. وأيضًا كانت المدينة مليئة باليهود الذين كانت لهم اليد الطائلة والنفوذ. حيث إن الرشوة جعلت لهم مكانة عند الولاة والقضاة[١٢٢]. علاوة على أن انتخابه كان ضد رغبة السلطة الحاكمة كما سبق وذكرنا. وقيل عن الحاكم إنه كان خاضعًا لنفوذ فيلسوفة مصرية وثنية اسمها هيباتيا. والتي اجتذبت الشباب والعلماء

coptic-books.blogspot.com

والفلاسفة من كل أنحاء العالم[١٢٣].

كان كيرلس في ريعان شبابه، فلم يكن قد تجاوز الرابعة أو الخامسة والثلاثين من عمره، وكان مملوءًا بالحماسة والغيرة على انتشار ملكوت الله، في ظل الواقع الذي الذي نراه واضحًا. كميراث وحمل ثقيل وضع على عاتق الشاب كيرلس.

وقد قادته غيرته وحماسه، في بعض الأحيان، إلى التطرف والتعصب. ونرى هذا واضحًا في مواقفه ضد معارضيه في الرأي والعقيدة.ونحن ندرس التاريخ هل لنا أن نضع في الاعتبار سمات كيرلس الشخصية وتفاعلها مع الواقع الملغَّم بالأحداث الشائكة، والتعددية الدينية، والثقافية والاجتماعية. فكما رأينا من قبل أن حياة الأسقف بدأت وسط اضطراب وعدم اتفاق الرأي، والمجتمع المتنوع الاتجاهات على كل الأصعدة، مما كان ينم عن نذير بحالة من العنف والغيرة المتأججة.وحالة التوتر وعدم الاستقرار هذه التي كانت تمر بها الكنيسة في الداخل والخارج، فرضت نوعًا خاصًا من التعامل والقيادة الذي جعل كيرلس يقود الكنيسة بشدة وحزم! ويبدو أن كيرلس اتبَّع سياسة خاله في إدارة الكنيسة داخليًا وخارجيًا. فقد ورث عن خاله ثاوفيلوس بعض السمات الشخصية مثل القسوة والشدة، والعناد. وفي محاولة التعامل بسمات شخصيتة فقد جلبت له متاعب كثيرة[١٢٤]، وترك وراءه نقدًا حادًا لم نكن نود أن يكون في شخصية عظيمة مثل كيرلس معلم الحياة الروحية، الشخصية التي ساهمت في تكوين تاريخ الكنيسة وعقيدتها.

بدأ البابا يمارس أعمال خدمته وسلطته بتعامل حاسم وصارم في عدة

coptic-books.blogspot.com

محاور كالآتي:

كان تحت إمرته جيش من الأتباع المكرسين عرفوا باسم «البارابولاني» «Parabolani»، أي الذين كرسوا حياتهم لخدمة أهداف الكنيسة، ووجههم لهداية البلقين من الوثنيين الذين اعتنقوا مبادئ الفلسفة الأفلاطونية الحديثة في الإسكندرية.

موقفه من النوفاسيين

النوفاسيون هم جماعة منعزلة من أصل روماني، وهم أتباع نوفاسيانوس الذي عاصر الإمبراطور الروماني ديسيوس، عندما بدأ ديسيوس اضطهاده العنيف ضد الكنيسة، لم يحتمل عدد كبير من المسيحيين الاضطهاد فأسرعوا وقدموا ذبائح للإمبراطور ليأخذوا الشهادات التي تعفيهم من الاضطهاد[١٢٥]. وبعد أن هدأت الاضطهادات نسبيًا رجع بعض من المرتدين عن الإيمان إلى الكنيسة، فعارض رجوعهم وكان ينادي بسياسة عدم التساهل مع الذين يريدون الرجوع إلى المسيحية بعد ارتدادهم، وعلّم بأن الذين أنكروا المسيح لا قبول ولا مكان لهم في الكنيسة الطاهرة مهما كانت توبتهم وندمهم على الخطية[١٢٦].

هاجم البابا النوفاسيين Novatianists واضطهدهم اضطهادًا عظيمًا، قام بإغلاق كنائسهم ومصادرة أوانيهم المقدسة، وطاردهم حتى هربوا جميعًا من الإسكندرية، واستولى على الكنيسة وممتلكاتها،كما أنه طرد أسقفهم وجرده من جميع أملاكه ومقتنياته وأخذ منه ذخائره التي كانت تحت يده[١٢٧].

coptic-books.blogspot.com

والكاتب يؤيد تمامًا ما قاله الدكتور حنا الخضري وهو «إننا نؤيد ونقبل تعليم كيرلس في قبول التائبين بعد ارتدادهم، ونرفض تعاليم نوفاسيوس، ولكننا لا نقبل بأي حال من الأحوال موقف كيرلس في استخدامه القوة والعنف ضد هذه الجماعة، لأن مسيحنا ليس مسيح عنف. ولا يسمح لأتباعه بالاستيلاء على ممتلكات الناس أو أن يستخدموا السيف والقوة في فرض عقيدتهم وتعاليمهم، بل أرسلهم ومازال يرسلهم لكي يكونوا خدامًا مبشرين بالمحبة والسلام»[١٢٨].

موقفه من اليهود

كانت العلاقات بين المسيحيين واليهود سيئة للغاية، وتبادل الهجمات من الطرفين كانت شرسة. فاليهود كانوا يبغضون البابا كيرلس بغضًا شديدًا، فذات ليلة أشاع اليهود أن النار اشتعلت في كنيسة القديس اسكندر، فقام المسيحيون، عن بكرة أبيهم بناء على هذا الخبر، هرعًا لإطفاء النار، فانتهز اليهود الفرصة للهجوم عليهم بصورة وحشية وقتلهم. ولما اتضح الأمر في الصباح قامت قومة المسيحيين وعزموا على الانتقام من اليهود، ولما لم يقدر البابا أن يمنعهم، أصدر قرارًا بخروج اليهود من الإسكندرية. فطردوهم واستولوا على أملاكهم، وهدموا كل مجامعهم واستولوا عليها وما فيها، وحولوها إلى كنائس[١٢٩]. وهذه الحادثة كانت بداية النهاية لليهود في الإسكندرية[١٣٠].

علاقته بالسلطة الحاكمة

استمر موقف الحاكم البيزنطي أورست Oreste مع كيرلس سيئًا كما

coptic-books.blogspot.com

محاور كالآتي:

كان تحت إمرته جيش من الأتباع المكرسين عرفوا باسم «البارابولاني» «Parabolani»، أي الذين كرسوا حياتهم لخدمة أهداف الكنيسة، ووجههم لهداية البلقين من الوثنيين الذين اعتنقوا مبادئ الفلسفة الأفلاطونية الحديثة في الإسكندرية.

موقفه من النوفاسيين

النوفاسيون هم جماعة منعزلة من أصل روماني. وهم أتباع نوفاسيانوس الذي عاصر الإمبراطور الروماني ديسيوس. عندما بدأ ديسيوس اضطهاده العنيف ضد الكنيسة، لم يحتمل عدد كبير من المسيحيين الاضطهاد فأسرعوا وقدموا ذبائح للإمبراطور ليأخذوا الشهادات التي تعفيهم من الاضطهاد[١٢٥]. وبعد أن هدأت الاضطهادات نسبيًا رجع بعض من المرتدين عن الإيمان إلى الكنيسة. فعارض رجوعهم وكان ينادي بسياسة عدم التساهل مع الذين يريدون الرجوع إلى المسيحية بعد ارتدادهم، وعلّم بأن الذين أنكروا المسيح لا قبول ولا مكان لهم في الكنيسة الطاهرة مهما كانت توبتهم وندمهم على الخطية[١٢٦].

هاجم البابا النوفاسيين Novatianists واضطهدهم اضطهادًا عظيمًا. قام بإغلاق كنائسهم ومصادرة أوانيهم المقدسة. وطاردهم حتى هربوا جميعًا من الإسكندرية. واستولى على الكنيسة ممتلكاتها.كما أنه طرد أسقفهم وجرده من جميع أملاكه ومقتنياته وأخذ منه ذخائره التي كانت تحت يده[١٢٧].

coptic-books.blogspot.com

والكاتب يؤيد تمامًا ما قاله الدكتور حنا الخضري وهو «إننا نؤيد ونقبل تعليم كيرلس في قبول التائبين بعد ارتدادهم، ونرفض تعاليم نوفاسيوس. ولكننا لا نقبل بأي حال من الأحوال موقف كيرلس في استخدامه القوة والعنف ضد هذه الجماعة، لأن مسيحنا ليس مسيح عنف، ولا يسمح لأتباعه بالاستيلاء على ممتلكات الناس أو أن يستخدموا السيف والقوة في فرض عقيدتهم وتعاليمهم، بل أرسلهم ومازال يرسلهم لكي يكونوا خدامًا مبشرين بالمحبة والسلام»(١٢٨).

موقفه من اليهود

كانت العلاقات بين المسيحيين واليهود سيئة للغاية، وتبادل الهجمات من الطرفين كانت شرسة. فاليهود كانوا يبغضون البابا كيرلس بغضًا شديدًا، فذات ليلة أشاع اليهود أن النار اشتعلت في كنيسة القديس اسكندر، فقام المسيحيون، عن بكرة أبيهم بناء على هذا الخبر، هرعًا لإطفاء النار. فانتهز اليهود الفرصة للهجوم عليهم بصورة وحشية وقتلهم. ولما اتضح الأمر في الصباح قامت قومة المسيحيين وعزموا على الانتقام من اليهود، ولما لم يقدر البابا أن يمنعهم، أصدر قرارًا بخروج اليهود من الإسكندرية. فطردوهم واستولوا على أملاكهم، وهدموا كل مجامعهم واستولوا عليها وما فيها، وحولوها إلى كنائس(١٢٩). وهذه الحادثة كانت بداية النهاية لليهود في الإسكندرية(١٣٠).

علاقته بالسلطة الحاكمة

استمر موقف الحاكم البيزنطي أورست Oreste مع كيرلس سيئًا كما

coptic-books.blogspot.com

كان مع ثاوفيلوس. وكان أورست يفضل أن تيموثاوس رئيس الشمامسة يكون بطريركًا بدلًا من كيرلس. والذي زاد من حدة التوتر وسوء العلاقات هو تزايد سلطان ونفوذ البابا كيرلس. بل وصل الحد ليس فقط حقد الحاكم على البابا بل صراع مباشر نتج بين البابا وأورست الحاكم[١٣١] نتيجة أحداث الشغب والقتل، وإصدار قرار طرد اليهود من الإسكندرية[١٣٢].

حاول كيرلس إصلاح الأمور مع الحاكم، إلا أن أورست رفض بكبرياء وتعالٍ، ورغم إن كيرلس تدخل لدى الإمبراطور ليدافع عن قرار طرد اليهود من الإسكندرية، إلا أن هذا لم يجدِ نفعًا في العلاقة. وعندما سمع الرهبان، الأتباع المكرسين لخدمة أهداف الكنيسة، بخبر سوء التفاهم هذا وموقف الازدراء الذي يقفه الحاكم من كيرلس، ثارت ثورتهم للدفاع عن كرامة البطريرك. فجاء حوالي خمسمائة راهب من الصحراء وانتظروا مرور عربة أورست الحاكم. ولما رأوه صاحوا بصوت عالٍ وهم يقولون «الكافر، عابد الأوثان». وقد رماه أحد الرهبان بحجر فسقط الحاكم غارقًا في دمائه[١٣٣].

علاقته باغتيال هيباتيا

هيباتيا سيدة مصرية ذات جمال فاتن وخطيبة مفوهة، وفيلسوفة، كانت معلمة الفلسفة بمدرسة الإسكندرية، ورئيسة الجامعة. كانت تجتذب بفضل ذهنها المتقد وعلمها الغزير وتواضعها الجم أعدادًا هائلة من المريدين والتلاميذ. كانت صديقة للحاكم البيزنطي أورست، وقام حشد من الغوغاء والرهبان بالاعتداء على حياتها والإجهاز عليها بوحشية بسبب علاقتها الحميمة بهذا الحاكم المسئول الوثني عن إدارة شئون مدينة الإسكندرية.

coptic-books.blogspot.com

ويروي المؤرخ سقراط كيف انتزعها المعتدون من عربتها وجروها وجردوها من ملابسها وذبحوها ذبح الشاة ثم قاموا بحرق جسدها قطعة قطعة[١٣٤].

يقول القس منسى إن حادثة اغتيال الفيلسوفة هيباتيا قد وقعت في وقت الشغب ضد اليهود وقرار إجلاءهم من الإسكندرية، حيث غدر بها بعض الطائشين بدون تروٍ وبدون علم البابا كيرلس مطلقًا[١٣٥]. ويضيف الدكتور حنا الخضري قائلًا: «أن الذين قاموا بهذا العمل الوحشي غير المسيحي جماعة من الطائشين، الذين اعتقدوا أن الفيلسوفة الوثنية صديقة الحاكم، هي التي تقف عقبة في تحقيق السلام بين أورست الحاكم وبين كيرلس البطريرك، وخاصة أن هذه الفيلسوفة كان لها تأثير كبير جدًا، ليس فقط على الحاكم بل على الأوساط المثقفة التي كانت تعيش بينها»[١٣٦].

ومن المهم جدًا لا أن ندافع أو نبقي الشبهة التي أشيعت عن كيرلس عمود الدين من التهمة التي لصقت به كونه بطريرك الإسكندرية، لكن المهم هو معرفة الظروف التي أحاطت بالحادث، وإفرازات المجتمع التي نتجت عن عوامل متداخلة بين المجتمع والكنيسة. وقد حلل الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه دراسات أدبية مقارنة، عوامل الصراع ورسم صورة المجتمع سياسيًا واجتماعيًا ودينيًا فقال: «عاشت هيباتيا في فترة كان الصراع بين المسيحية والوثنية على وشك نهايته... وهو صراع أدى إلى مآس فكرية واجتماعية أصابت كثير من المسيحيين باليأس من الإصلاح فضاقوا بآفات مجتمعهم، وألفوا في الصحراء المتاخمة للإسكندرية الأديرة الأولى للرهبنة أول ما عرفتها المسيحية. تلاطمت الاتجاهات المتصارعة بين الوثنية اليونانية المختلطة ببقايا العقائد المصرية القديمة، واليهود الذين استوطنوا

coptic-books.blogspot.com

في الإسكندرية منذ أسسها الإسكندر الأكبر ٣٣١ ق. م. والمسيحية التي انتشرت بقوة في جو تسوده الاضطرابات وصنوف الخلاف القاسية والمعارك الدامية.

فكان عصر هيباتيا حافلًا بالمتناقضات وبصور جمة للكفاح: فإلى جانب جامعة الإسكندرية مأوى الأرستقراطية الفكرية، نرى سلطان العقيدة مسيطرًا على نفوس الجماهير... وبالعقلية الفلسفية الحرة السمحة المحلقة في أعلى الأجواء الفلسفية تقترن روح التعصب الأعمى المستبد بالدهماء... وفي ذلك المجتمع كان التكالب على المادة من الأغنياء يقوم جنبًا إلى جنب مع الزهد والعزوف عن الدنيا عند الرهبان في صحاري وادي النيل ... كما كان الفقر المدقع يجاور ثراء القصور الفاحش»[١٣٧].

يرى كاتب هذه السطور، رغم كل السمات التي اتسم بها كيرلس عمود الدين من شدة وحسم لكنه يستبعد أن يكون البابا كيرلس كان محرضًا لمثل هذه الشنيعة التي تعتبر وصمة عار في صدر الكنيسة الأولى، وجريمة اغتيال للعلم، لكن ما حدث هو نتيجة طبيعية لإفرازات مجتمع متصارع أنتجت جماعات غوغائية بلا عقل ولا ضبط للنفس، حركتها الانفعالات واستخدمتها الظروف الاجتماعية والسياسية والدينية عندما كانت في أسوأ حالاتها.

موقفه من القديس يوحنا ذهبي الفم

كان الشاب كيرلس في حوالي الخامسة والعشرين من عمره، عندما اصطحبه خاله ثاوفيلوس معه لحضور مجمع البلوطة بالقرب من مدينة خلقدونية سنة ٤٠٣م. وقد رأى بعينيه وسمع بأذنيه ما كان يدور ويتقرر ضد

coptic-books.blogspot.com

القديس يوحنا ذهبي الفم في مأساة محاكمته. القديس العظيم والواعظ المفوه. وفي هذا المجمع تم نفيه.

أما قصة هذا النفي[١٣٨]، فيقول عنها الدكتور لورير في كتاب تاريخ الكنيسة الجزء الثالث إن لها عدة أسباب: أولها. هو أسلوب يوحنا في الحديث كان حادًا وصريحًا. فمن الطبيعي جدًا أن يوجد من يكرهونه. ومعظمهم كانوا أقوياء. كالإمبراطورة إدوكسيا Eudoxia زوجة الإمبراطور أركاديوس Arcadius[١٣٩]. التي كانت في أول الأمر تقدر وتكرم القديس يوحنا. لكنها استاءت منه بسبب الملاحظات التي أبدها يوحنا منتقدًا طريقة حياتها المبذرة. مما دعاها على تأليب الأساقفة عليه.

ثانيًا: هو أن الأسقف ثاوفيلوس اتهم يوحنا بالهرطقة الإوريجانية. وهذه كانت جزءًا من حملة كان يقودها أبيفانيوس أسقف سلاميس في قبرص، منتقدًا الذين اتبعوا طريقة أوريجانوس المجازية لتفسير الكتاب المقدس. رغم إن يوحنا نفسه لم يكن يستخدم مثل هذه الطريقة. لكنه ارتبط بها لأنه كان يأوي أربعة رهبان من مصر فروا من ثاوفيلوس لأنه اتهمهم بالأوريجانية. كانت كل الأجواء مهيئة ضد القديس يوحنا. ومن أقوى العوامل التي اتخذها أسقف الإسكندرية لمواجهة هرطقة يوحنا. فظاهريًا كانت ليدافع عن معاملته للرهبان الأربعة. لكن عمليًا لكي يهاجم رئيس أساقفة القسطنطينية. يوحنا.

كان من السهل أن يحصل ثاوفيلوس على أصوات كافية لقرار عزل القديس يوحنا. وذلك لأن يوحنا وأساقفته رفضوا حضور المجلس في قصر

coptic-books.blogspot.com

البلوط. وبسبب شهرة يوحنا، كان قرار المجلس ممكن أن يكون حبرًا على ورق، لولا تخل الإمبراطورة أيدوكسيا الغاضبة على يوحنا، وقامت كوسيلة ضغط لإقناع زوجها الإمبراطور بالتصديق على القرار[١٤٠].

في بداية عهده كبطريرك كان البابا كيرلس متأثرًا بالقضية التي ثارت بين خاله البابا ثاوفيلوس وبين القديس يوحنا ذهبي الفم، فعكف على دراسة هذه القضية وهو يعرف أن خاله كان قد ندم على إصداره حكم النفي على ذهبي الفم، وظهر ندمه هذا في آخر حديث له قبيل انتقاله من هذا العالم.

وأخيرًا بإرشاد الروح القدس قام بإلغاء الحرْم الذي كان قد أصدره البطريرك ثاوفيلوس ضد القديس يوحنا الذهبي الفم، كما قام بتكريم القديس يوحنا ذهبي الفم والاعتراف بفضله أمام الجميع، وأشاد بمؤلفاته الكثيرة ذات القيمة العظيمة، كما أنه أثناء قيام البابا كيرلس بتدوين قداس القديس مرقس الرسول دوَّن اسم القديس ذهبي الفم في قائمة أسماء القديسين الذين يُذكَرون فيه، وهكذا وضع البابا كيرلس حدًا نهائيًا لهذه القضية.

من هنا يأتي السؤال هل كان كيرلس مقتنعًا بالقرار الذي أصدره المجمع في حق يوحنا فم الذهب؟ أم بسبب ندم خاله على القرار؟ وما هي الصورة التي ارتسمت في ذاكرته وهو في إدارة جلسات مجلس ديني، والدوافع التي ساعدت على اتخاذ قرارات روحية وإدارية للكنيسة، وما هو الصدى الذي تردد في أذنيه ولازال باقيًا وهو في موقع القيادة؟هل قرار إعادة ذكر اسم يوحنا في القداس، كان اقتناعًا من كيرلس عمود الدين داخليًا ببراءته؟[١٤١] وإذا كان هكذا لماذا تأخر القرار زمنًا طويلًا يصل إلى اثني عشر سنة بعد جلوسه على

coptic-books.blogspot.com

كرسي إسكندرية. هل خضوعًا للقرارات العامة؟ أم تقديرًا لخاله ثيؤفيلوس.

لقد ظل البابا كيرلس متمسكًا بحكم مجمع البلوطة ضد يوحنا، فلم يذكر اسمه في قائمة الآباء الذين كانت تُذكر أسماؤهم في صلاة القداس، وبالرغم من تدخل أتيكيوس أسقف القسطنطينية بخصوص هذا الأمر، فإن كيرلس رفض وضع اسم يوحنا على القائمة، وقال إن يوحنا حُكم عليه في مجمع رسمي، فلا يمكن الرجوع في هذا الأمر حتى سنة ٤١٧م. التي قرر فيها إعادة اسم يوحنا إلى قائمة الآباء[١٤٢].

في نهاية الدراسة عن كنيسة الإسكندرية ومعرفة قادتها الإجلاء فإنه يجدر بنا أن نقول إن الكنيسة اليوم تدين لمدرسة الإسكندريّة وقادتها في مجمل تعابيرها ومصطلحاتها العقائديّة واللاهوتيّة التي ابتكرها بنوع خاص العلامة أوريجانوس كما رأينا، واستعملها بمرونة القديس أثناسيوس الإسكندري المحرّك الأهم لمجمع نقية (سنة ٣٢٥م). وسار على منوالها كيرلس عمود الدين[١٤٣].

بعد هذه الدراسة المستفيضة عن مدرسة الإسكندرية، إذًا فحاجتنا هنا هي أن نلقي الضوء بدراسة متأنية على مدرسة أنطاكية وقادتها كما فعلنا مع مدرسة الإسكندرية وقادتها.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

هوامش الفصل الثالث

(١) هلال شحات سيفين، كنيسة الإسكندرية، كنيسة الشهيد مارجرجس بأرمنت الحيط. على الرابط www.mark2010.ahlamontade.net

(٢) عزيز، فهيم، القس، علم التفسير. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٦، ٤٨..

(٣) المصري، إريس حبيب. قصة الكنيسة القبطية. الإسكندرية: كنيسة مارجرجس باسبورتنج، ج١٩٨٨،١م،٣٦ و٣٧..

(٤) المسيحية عبر تاريخها في المشرق، نشوء الفكر المسيحي: الفكر اللاهوتي في مدرسة الإسكندرية، القمص تادرس يعقوب ملطي، ١٢٣..

(٥) لوقا، ملاك، الأقباط النشأة والصراع. القاهرة: مكتبة المحبة، ٢٠٠٠م، ٨٠و ٨١..

(٦) لوقا، ملاك، الأقباط النشأة والصراع. القاهرة: مكتبة المحبة، ٢٠٠٠م، ٧٨ و ٧٩. .

(٧) دراسات في آباء الكنيسة، إعداد أحد رهبان برية القديس مقاريوس، (القاهرة: دار مجلة مرقس بشبرا، ٢٠٠٠)، ١٥٦ - ١٥٨..

(٨) لوقا، ملاك، الأقباط النشأة والصراع. القاهرة: مكتبة المحبة، ٢٠٠٠م، ٧٩.

(٩) المسيحية عبر تاريخها في المشرق. نشوء الفكر المسيحي، القمص تادرس يعقوب ملطي،١١٨..

(١٠) دراسات في آباء الكنيسة، ١٥٦..

(١١) يوحنا، منسى، القس، تاريخ الكنيسة القبطية، ٢٥..

(١٢) لوقا، ملاك، الأقباط النشأة والصراع. القاهرة: مكتبة المحبة، ٢٠٠٠م، ٧٧ و ٧٨..

coptic-books.blogspot.com

(١٣) عبد الحميد. رأفت. الفكر المصري في العصر المسيحي. تجده على النت تحت هذا العنوان. وعلى موقع الهيئة العامة للإستعلام.مجلة مصر العدد ٤٣. ٢٠٠٧م..

(١٤) غربال. شفيق محمد. تكوين تاريخ مصر. ١٥. .

(١٥) المطران كيرلّس سليم بسُترس - الأب حنّا الفاخوري - الأب جوزيف العَبسي البولِسيّ. تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة. المكتبة البولسيّة. جونية ٢٠٠١..

(١٦) ملطي. تادرس يعقوب. القمص. آباء مدرسة إسكندرية الأولون. ١٩٨٠ م. ٣٣ ..

(١٧) ملطي. تادرس يعقوب. الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والروحانية. نسخة تحضيرية. ١٩٨٧م. ٢٦..

(١٨) المطران كيرلس سليم بسترس. تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة. المرجع السابق..

(١٩) يوحنا. منسى. تاريخ الكنيسة القبطية. القاهرة: مكتبة المحبة. ١٩٨٣. ٢٥..

(٢٠) المسيحية عبر تاريخها في المشرق. الفصل الرابع. نشوء الفكر المسيحي.١٣٤..

(٢١) الخصري. حنا. تاريخ الفكر المسيحي. ج١. ٤٥٩..

(٢٢) الخصري. حنا. تاريخ الفكر المسيحي. ج١. ٤٥٩ – ٤٦١..

(٢٣) المصري. إيريس حبيب. قصة الكنيسة القبطية.٣٩- ٤١..

(٢٤) موقع كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي. القس - الإسكندرية – مصر. تحت عنوان: بنتنيوس القديس العلامة: http://St-Takla.org.

(٢٥) ملطي. تادرس يعقوب. الكنيسة الأرثوذكسية والروحانية. طبعة تحضيرية-١٩٨٧م. ٢٦..

coptic-books.blogspot.com

(٢٦) دراسات في آباء الكنيسة. إعداد أحد رهبان برية القديس مقاريوس. ١٩٩٩م. ١٧٠. .

(٢٧) موقع كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي. المرجع السابق..

(٢٨) منسى. يوحنا. تاريخ الكنيسة القبطية. القاهرة: مكتبة المحبة. ١٩٨٣م. ٢٧.

(٢٩) ملطي. تادرس يعقوب. الكنيسة الأرثوذكسية والروحانية. ٢٧..

(٣٠) لوريمر. جون. تاريخ الكنيسة. القاهرة: دار الثقافة. ١٩٨٥. ٤٩ و ٥٠..

(٣١) الخضري. حنا. جرجس. تاريخ الفكر المسيحي. ج١. ٥٠٠..

(٣٢) موقع كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي. القس - الإسكندرية – مصر. تحت عنوان: أكليمنضس. http://St-Takla.org.

(٣٣) الخصري. حنا. تاريخ الكنيسة المرجع السابق. ٥٠٠و ٥٠٠١..

(٣٤) عزيز. فهيم. علم التفسير.١٩٨٦. ٤٩. .

(٣٥) الخصري. حنا.تاريخ الفكر المسيحي. ج١. ٥٠٢..

(٣٦) آشجي. بسام. الأب. جمعية التعليم المسيحي بحلب. أباء كنيسة إسكندرية..

(٣٧) حبيب المصري. إيريس. قصة الكنيسة الأرثوذكسية. ٥٧.

(38)www.religionfacts.com/christianity/people/origen.htm. Origen of Alexandria(C.185254-AD) Life, works, andThought...

(٣٩) ليكيوس سبتموس ساويرس. من أصل أفريقي. رحلت العائلة إلى إيطاليا لا يُعرف الكثير عن والده. أما سبتيموس فقد ذهب إلى روما وهو في عمر الثامنة عشر. تعين عضوا بمجلس الشيوخ من مركيوس أرليوس سنة ١٧٥ م. وأصبح أمبراطور روما في ١٩٥ م..

(٤٠) موقع كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي. القس - الإسكندرية – مصر. تحت عنوان: العلامة أوريجينوس. http://St-Takla.org.

(٤١) المصري. إيريس حبيب. قصة الكنيسة القبطية. ٦٠. نقلاً عن

coptic-books.blogspot.com

«أوريجانوس عبقري المسيحية» بالفرنسية. لجان دانييلو ٣٠ – ٣٣..

(٤٢) المرجع السابق. ٦٠ – ٦٢.

(٤٣) بعد أن عاشت الكنيسة حالة من السلام بعد موت كاركلا. الذي أمر بالصلب أو الطرح للوحوش الضارية. كل مسيحي يعارض الحكومة في أي أمر وقام من بعده اضطهاد عنيف في سنة ٢٥٠م. في عهد ديسيوس. فقد كان ديسيوس يعتقد أن المسيحية ستضعف مملكته. وأن الرجوع للديانات القديمة سيعيد القوة إلى روما. ولكي يسحق المسيحية ويمحوها. طلب من كل مواطن أن يحصل على شهادة من الحاكم المحلي بأنه قدم محرقة للإمبراطور. وقد وجدت شهادة مثل هذه في مصر. يمكن الرجوع إلى كتاب مواقف من الكنيسة.بقلم رولاند بينتون. وترجمة القس عبد النور ميخائيل. القاهرة: دار الثقافة. ١٩٧٨م..

(٤٤) المرجع السابق. ١٠١و١٠٠. نقلاً عن القس منسى يوحنا. تاريخ الكنيسة القبطية. ٤١..

(٤٥) لوقا. ملاك. الأقباط النشأة والصراع. القاهرة: مكتبة أنجيليوس. ٢٠٠٠م. ٩٨ و٩٩.

(٤٦) المصري. إيريس حبيب. قصة الكنيسة القبطية. ٧١ و٧٢..

(٤٧) المصري. إيريس حبيب. قصة الكنيسة القبطية الجزء الأول. ٧٣ و ٧٤.يمكن الرجوع إلى هذه الصفحات لمعرفة المزيد من أقوال أوريجانوس عن المسيح الأزلي..

(٤٨) عزيز. فهيم. الدكتور. علم التفسير. ٥٢..

(٤٩) مقال للأنبا غرغوريوس. ٢٥ يناير ١٩٨٤م. نقلاً عن مقال لروبير الفارس. روزاليوسف. أبريل ٢٠٠٩م.

(٥٠) عزيز. فهيم. الدكتور. علم التفسير. المرجع السابق. ٥٥..

(٥١) التفسير الرمزي أو المجازي. وهو التفسير الروحي الذي لا يهتم كثيرًا

coptic-books.blogspot.com

بالمعنى التاريخي الظاهري. شرح كلمة الله بطريقة روحية وإعلان ما تحمله من أعماق داخلية وراء الرموز.فقد يرى أصحاب هذا التفسير أن الكتاب مكتوب في ألغاز ومجاز ورموز. فهناك بعض الجمل والكلمات التي لا يمكن أن تؤخذ حرفيًا وإلا شوهت المعنى.ولكي تتضح الفكرة فمثلاً فسر أكليمندس السكندري لوحي الشريعة على أنهما الكون، وسارة وهاجر يعنيان الحكمة الإلهية والفلسفة الكاذبة. وأن زوجة لوط تعني الالتصاق بالأرضيات أو الشر أو النجاسة.

(٥٢) .www.copticwave.com/patrology/patrologyfa-ther8.htm دراسات في أباء الكنيسة

(٥٣) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج١، ٦٦٣، ٦٦٤.

(٥٤) موسوعة تاريخ أقباط مصر، الرجوع إلى كتاب حقبة مضيئة فى تاريخ مصر، ٦٦ – ٧٠.

(٥٥) Dean stanley, op. cit., p. 231. موسوعة تاريخ أقباط مصر، عن المرجع.

www.orthodoxonline.org منتدى الشبيبة الأرثوذكسية، القديس أثناسيوس الكبير، (سيرته، وكتاباته)

(٥٦) يوحنا، منسى، تاريخ الكنيسة القبطية، ١١٦.

(٥٧) المصري، إريس حبيب، قصة الكنيسة الأرثوزكسية، ٢٠٦.

(٥٨) كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القس - الإسكندرية –مصر، تاريخ البطاركة في الكنيسة الإرثوزكسية، البابا .http://St-Takla.org

أثناسيوس الأول، الرسولي.الرواية كما ذكرت في السنكسار.

(٥٩) موسوعة الأقباط، نشأة أثناسيوس، الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - كنيسة علم ولاهوت - طبعة تحضيرية ١٩٨٦ م - القمص تادرس يعقوب ملطي، ٦٧.

coptic-books.blogspot.com

(٦٠) موسوعة تاريخ الأقباط. نقلا عن كتاب حقبة مضيئة في تاريخ مصر. بمناسبة مرور ١٦ قرنًا على نياحة القديس أثناسيوس الرسولي البابا العشرون. ٢٩٦ – ٢٧٣م. سيرته. ودفاعه عن الإيمان عند الأريوسيين. ولاهوته. بقلم الأب الروحاني متى المسكين. ط٢. ٢٠٠٢،٥٦

(٦١) موسوعة تاريخ الأقباط. نقلا عن كتاب حقبة مضيئة في تاريخ مصر. بمناسبة مرور ١٦ قرنًا على نياحة القديس أثناسيوس الرسولي البابا المرجع السابق.

(٦٢) آشجي. بسام. الأب. جمعية التعليم المسيحي بحلب. آباء الكنيسة الشرقية. مرجع دراسته. أثناسيوس الكبير. منشورات النور. ٢٠.

(٦٣) كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القس - الإسكندرية –مصر. تاريخ البطاركة في الكنيسة الأرثوذكسية. المرجع السابق.

(٦٤) أشجي. بسام. المرجع السابق.

(٦٥) كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القس - الإسكندرية –مصر. مرجع سابق. http://St-Takla.org

(٦٦) . www.copticwave.com/patrology/patrologyfather8.htm دراسات في أباء الكنيسة

(٦٧) موسوعة أقباط مصر. من السنكسار. نياحة البابا أثناسيوس رقم ٢٠.

(٦٨) الخضري. حنا. تاريخ الفكر المسيحي. ج١. ١٤٢ – ١٤٨.

(٦٩) أشجي بسام. جمعية التعليم المسيحي بحلب. أباء كنيسة الإسكندرية.

(٧٠) الخضري. حنا. تاريخ الفكر المسيحي. ج١. ١٤٨ و ١٤٩.

(٧١) www.copticwave.com/patrology/patrologyfather8.htm دراسات في أباء الكنيسة

coptic-books.blogspot.com

(٧٢) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج١، ٦٥٠.

(٧٣) دراسات في آباء الكنيسة.

(٧٤) الشبكة الأرثوذكسية العربية الأنطاكية، أنت تسأل وقدس الشماس الأب اسبيرو جبيور يجيب.

(٧٥) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج١، ٦٥٦.

(٧٦) أثناسيوس، بابا الإسكندرية. موسوعة ويكبيديا الحرة.

(٧٧) موسوعة تاريخ الأقباط، من كتاب الأب متى المسكين، حقبة مضيئة في تاريخ مصر، ٢٧٠.

(٧٨) D.C.B. Athanas p. 197. كتاب موسوعة تاريخ الأقباط،موت الإمبراطور قسطنطينوس،

(٧٩) موسوعة ويكبيديا الحرة، تحت عنوان أثناسيوس..

(٨٠) موسوعة تاريخ أقباط مصر، كتاب حقبة مضيئة في تاريخ مصر،٣١٥.

(٨١) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج١، ٦٦٢

(٨٢) كنيسة تكلا هيمانوت الحبشي القس - الإسكندرية -مصر

(٨٣) Socrates III,24 موسوعة تاريخ أقباط مصر، الإمبراطور جوفيان. .

(٨٤) كنيسة تكلا هيمانوت الحبشي القس - الإسكندرية -مصر

(٨٥) موسوعة تاريخ أقباط مصر،كتاب حقبة مضيئة في تاريخ مصر، ٣١٥.

(٨٦) .http://St-Takla.org كنيسة تكلا هيمانوت الحبشي القس - الإسكندرية -مصر ،

(٨٧) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج١، ٦٦٣.

(٨٨) http://St-Takla.org كنيسة تكلا هيمانوت الحبشي القس - الإسكندرية -مصر ،

(٨٩) هناك العديد من الكتابات القيمة التي تستفيض في دراسة حياة

coptic-books.blogspot.com

هذا القديس العظيم للمزيد يمكن الرجوع إليها. بعض منها كتاب حقبة مضيئة من تاريخ مصر للأب متى المسكين وهو مجلد يزيد عن ٨٠٠ صفحة. وكتاب تاريخ الفكر المسيحي للدكتور حنا الخضري. وأيضًا موسوعة تاريخ أقباط مصر على النت بنفس العنوان.

(٩٠) جريدة وطنى بتاريخ ٢٠٠٨/٦/٨م السنة ٥٠ العدد ٢٤٢٤ عن مقالة بعنوان [روحانية القديس أثناسيوس] للمتنيح الأنبا غريغوريوس

(٩١) الشبكة الأرثوذكسية العربية الأنطاكية. أنت تسأل وقدس الشماس الأب اسبيرو جبيور يجيب.

(٩٢) موسوعة أقباط مصر. تحت عنوان مجمع الإسكندرية ٣٦٥م. دعي مجمع القديسين والمعترفين.

(٩٣) الخضري. حنا. تاريخ الفكر المسيحي. ج١. ٦٦٤.

(٩٤) جريدة وطنى بتاريخ ٢٠٠٨/٦/٨م السنة ٥٠ العدد ٢٤٢٤ عن مقالة بعنوان [روحانية القديس أثناسيوس] للمتنيح الأنبا غريغوريوس.

(٩٥) أشجي بسام. جمعية التعليم المسيحي بحلب. أباء كنيسة الإسكندرية.

(٩٦) الخضرى. حنا . تاريخ الفكر المسيحي. ج٢. ٢٦.

(٩٧) روبير الفارس. روزاليوسف. أبريل ٢٠٠٩م.نقلا عن السنكسار.

(٩٨) دراسات في أباء الكنيسة www.copticwave.com/patrology/patrologyfather8.htm.

(٩٩) الخضرى. حنا. تاريخ الفكر المسيحي. ج٢. ٢٦. من كتاب The Chronicle of John Bishop of Nikiu, p. 436,476.

(١٠٠) الخضرى. حنا. تاريخ القكر المسيحي. المرجع السابق. ٢٧.

(١٠١) موسوعة أقباط مصر. السنكسار القبطى - تحت يوم ٣ أبيب - في مثل هذا اليوم من سنة ١٦٠ ش (٢٧ يونية سنة ٤٤٤ م) تنيح الأب العظيم عمود الدين ومصباح الكنيسة الأرثوذكسية القديس كيرلس

coptic-books.blogspot.com

الأول البابا الإسكندري والبطريرك الرابع والعشرون.

(١٠٢) والد يوليانوس في النصف الثاني من سنة ٣٣١ في ميسية على الدانوب. ابن يوليوس ابن قسطنديوس الأول كلوروس. وهو أخو غالوس لأبيه كما أن والده يوليوس أخا **قسطنطين الأول** لأبيه. جاء يوليانوس إلى عرش المملكة الرومانية عام ٣٦١. وهو من سلالة قسطنطين الملك المؤمن غير أن يوليانوس أنكر المسيحية وحاول أن يعيد إحياء الوثنية وساد الظلم والقسوة في عصره واضطهد المسيحيين وخاصة الرهبان. (من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، تحت عنوان يوليانوس المرتد)

(١٠٣) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٣، ٢٤و ٢٨.

(١٠٤) المرجع السابق.٢٤ و ٢٥ و ٢٩.

(١٠٥) الخضري، حنا تاريخ الفكر المسيحي، ج٢٩.٣ و٣٠.

(١٠٦) ثيؤدور هول باترك، تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ترجمة أرشيدياكون ميخائيل مكسي إسكندر. القاهرة: مكتبة المحبة، ٣٠.

(١٠٧) موسوعة أقباط مصر، الرهبان والوثنية، الآريوسيين والانتقام من الوثنيين.

(١٠٨) موسوعة أقباط مصر، تحت عنوان الرهبان والوثنية، الآريوسيين والإنتقام من الوثنيين. من تاريخ الأباء البطاركة للأنبا يوساب أسقف فوه من آباء القرن ١٢ أعده للنشر للباحثين والمهتمين بالدراسات القبطية الراهب القس صموئيل السرياني والأستاذ نبيه كامل

(١٠٩) موسوعة أقباط مصر، المرجع السابق.

(١١٠) المرجع السابق.

(١١١) موسوعة أقباط مصر، من كتاب تاريخ البطاركة، سيرة الأباء البطاركة، ساويرس ابن المقفع أسقف الأشمونين، ج١، أعده الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها، النعام للطباعة والتوريدات، ١٩٩٩م.

coptic-books.blogspot.com

(١١٢) دراسات في آباء الكنيسة، أحد رهبان برية القديس مقاريوس، : القاهرة، دار مجلة مرقص، ٢٠٠٠م، ٤٥٥.

(١١٣) ويكبيديا الموسوعة الحرة، كيرلس الكبير.

(١١٤) دراسات في آباء الكنيسة، أحد رهبان برية القديس مقاريوس، ٤٥٥.

(١١٥) دراسات في آباء الكنيسة، أحد رهبان برية القديس مقاريوس،، ٤٤٨.

(١١٦) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٣، ٢٦ و ٢٧.

(١١٧) دراسات في آباء الكنيسة، أحد رهبان برية القديس مقاريوس، : القاهرة، دار مجلة مرقص، ٢٠٠٠م، ٤٤٨ .

(١١٨) المصري، إيريس حبيب، قصة الكنيسة القبطية، ج١، الإسكندرية: مطبعة الكرنك، ط ٦، ١٩٨٨م، ٤٢٢.

(١١٩) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٣، ٢٧.

(١٢٠) موسوعة تاريخ أقباط مصر السنكسار القبطى، تحت عنوان، تنيح الأب العظيم عمود الدين ومصباح الكنيسة الأرثوذكسية القديس كيرلس الأول البابا الإسكندري والبطريرك الرابع والعشرون

(١٢١) دراسات في آباء الكنيسة، أحد رهبان برية القديس مقاريوس، ٢٠٠٠م، ٤٥٦.

(١٢٢) يوحنا، منسى، القس، تاريخ الكنيسة القبطية، القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٨٣م،٢١٤.

(١٢٣) دراسات في آباء الكنيسة، أحد رهبان برية القديس مقاريوس، ٢٠٠٠م، ٤٥٣.

(١٢٤) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٣، ٣٠.

(١٢٥) لوريمر، جون، تاريخ الكنيسة الجزء الثاني، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٥م، ٨٠.

coptic-books.blogspot.com

(١٢٦) سوريال عطية، عزيز.تاريخ المسيحية الشرقية. (القاهرة: مكتبة المحبة.) ٢٠٠٥م. ٣٨.

(١٢٧) يوحنا، منسى، تاريخ الكنيسة القبطية، ٢١٥.

(١٢٨) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٣، ٣٢.

(١٢٩) يوحنا، منسى، تاريخ الكنيسة، ٢١٥.

(١٣٠) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٣، ٣٢.

(١٣١) عزيز عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ٣٨.

(١٣٢) يوحنا، منسى، تاريخ الكنيسة القبطية، ٢١٥.

(١٣٣) الخضري، ج٣، ٣٤.

(١٣٤) عوض، رمسيس، د. الهرطقة في الغرب، القاهرة:: سينا للنشر، بيروت: الانتشار العربي، ١٩٩٧م، ٩٩.

(١٣٥) يوحنا، منسى، ٢١٥.

(١٣٦) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٣، ٣٤.

(١٣٧) هلال محمد غنيمي، د. دراسات أدبية مقارنة، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة، ١٩٨٥، ١٠٧ و١٠٨.

(١٣٨) حكم النفي كان يعني الإعدام حيث اعتاد الأباطرة أن يدفعوا الأساقفة المنفيين للمشي مسافات طويلة لمكان نفيهم فى البرد والحر بدون وجبات غذائية تقوتهم حتى يسقطوا فاقدي الوعي ويخوروا ويموتوا فى الطريق. (القمص تادرس يعقوب ملطى، أقوال الآباء (علم الباترولوجي، سنة ١٩٨٠م).

(١٣٩) كان الإمبراطور أركاديوس إمبراطورًا على الجزء الشرقى فيما يُعرف بالإمبراطورية البيزنطية الشرقية، بينما كان هناك أخوه أنوريوس إمبراطورًا على الغرب والتى تعرف بالإمبراطورية الرومانية الغربية وكان الأمبراطور أركاديوس ضعيف الشخصية مستسلم Hounrius لإرادة زوجته التي كانت جريئة وسياسية في تعاملاتها، لكنها كانت شرسة

coptic-books.blogspot.com

الأخلاق، محبة للنتقام سودت تاريخها بطردها ونفيها للقديس يوحنا، بتأليب الأساقفة عليه. (موسوعة تاريخ أقباط مصر، الإمبراطور إركاديوس ٣٩٥ – ٤٠٨م.).

(١٤٠) لوريمر، جون، تاريخ الكنيسة الجزء الثالث، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٨٨، ١٨ و١٨٤.

(١٤١) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٣، ٢٨.

(١٤٢) المرجع السابق ، ٣٥.

(١٤٣) جمعية التعليم المسيحي بحلب، آباء كنيسة الإسكندرية، المرجع السابق.

coptic-books.blogspot.com

الفصل الرابع

مدرسة أنطاكية

قادة مدرسة أنطاكية

لوقيانوس Locion

ديودوريوس الطرسوسي

ثيودوريوس الموبسيوستي

يوحنا ذهبي الفم

نسطوريوس

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

مدرسة أنطاكية

تقع مدينة أنطاكية في شمالي سوريا وسط سهل خصب في الحوض الأدنى لنهر العاصي[١] على بُعد قليل من مصبه. بناها خليفة الإسكندر المقدوني القائد اليوناني سلوقس نيكاتور، مؤسس الدولة السلوقية. كانت مركزًا ثقافيًا مشعًا للثقافة اليونانية، ومن ثمّ المسيحية. اشتهرت بمدرستها الفلسفية، فقد علّم فيها الفيلسوف والعالم نومينوس في القرن الثاني الميلادي، ودرس فيها الفيلسوف أفلوطين في القرن الثالث الميلادي، بعد مجيئه من الإسكندرية، في جيش الرومان لمحاربة الفرس[٢].

احتلت أنطاكية المكانة الثالثة بعد روما والإسكندرية وكانت مركز الحاكم العام لكل آسيا الصغرى والبلاد التابعة لها. وقد اشتهرت أيضًا بوجود مدرسة للبلاغة كان على رأسها واحد من أشهر المعلمين يُدعى ليبانيوس الذي كان خطيب المدينة في كل مناسبة مهمة[٣].

أسس المسيحيون في أنطاكية في القرون الأولى مدرسة لاهوتية على غرار المدرسة اللاهوتية في الإسكندرية، وقد تطورت هذه المدرسة[٤]. غير أن مدرسة أنطاكية لم تكن مدرسة بالمعنى المفهوم كمدرسة الإسكندرية، لها مبان خاصة تقدم فيها الدروس والمحاضرات، لكن فقط تيارًا خاصًا للدراسات اللاهوتية التي ارتبطت باسم أنطاكية. بدأ نشاط هذه المدرسة لوقيانوس Locion الشهيد (٢٥٠ – ٣١٣م) الذي صحح الترجمة السبعينية

coptic-books.blogspot.com

بحسب النص العبري[٥]. ودورثيوس. وقد أسسا مدرسة علمية لاهوتية في أنطاكية (٢٩٠م) فعكفا على دراسة العهد القديم والعهد الجديد. وفسرا الشروحات اللغوية والتاريخية بخلاف أكليمندس وأوريجانوس اللذان فسرا الكتاب المقدس بالمعنى الرمزي والتأويل بالتفكير العميق في حل المسائل العقائدية[٦].

لقد كان في أنطاكية، منذ قبل دخول المسيحية، مدرسة فلسفية للوثنيين. وكان بعض الأساقفة الأوائل لأنطاكية ذوي نشاط بارز في هذا المجال الأدبي الثقافي أمثال ثاوفيلس الأنطاكي مات سنة ١٨١م. وسيرابيون مات ٢٠٩م. وهذا ما يؤكد بأن أساقفة أنطاكية كانوا يعطون أهمية كبرى للتعليم اللاهوتي العالي للكهنة. فكان للمدرسة منهج دراسي منظم. وذلك كان في فترة السلام تحت حكم دقلديانوس ٣٠٣م - ٣١١م. وبالتالي نعرف أن مدرسة أنطاكية أحدث عهدًا من مدرسة الإسكندرية بقرن من الزمان على الأقل[٧].

تميّزت مدرسة أنطاكية اللاهوتيّة بميزات كثيرة منها اعتماد منهج أرسطو في التفكير والاستدلال والتفسير.فمدرسة أنطاكية على عكس مدرسة الإسكندريّة الأفلاطونيّة، لم تعتمد المنهج الرمزيّ «Allegory» في التأويل، بل اجتهدت على التفسير الحرفي التاريخي، وعلى الاستدلالات المنطقيّة والواقعيّة، ولكنّها لم تلقَ رواجًا وسلطة بالقياس مع منافستها مدرسة الإسكندريّة، رغم أن آباءها لمعوا بشكل كبير، وصُنِّف العديد منهم في لائحة «العصر الذهبيّ للآباء»[٨]. إلا أن كنيسة أنطاكية تميزت بالحضور القوي للثقافة السريانية. فأنطاكية كانت موضع انصهار بين

coptic-books.blogspot.com

عناصر ثقافية مختلفة، أبرزها إلى جانب اليوناني العنصر الآرامي المتمثل خصوصًا باللغة السريانية، وهي أهم فروع العائلة اللغوية الآرامية. والأكيد أن السريانية، شهدت انتشارًا واسعًا في مدينة أنطاكية ذاتها عبر القرون الأولى رغم الطابع الهلّيني الذي كان يغلب على أوساط المثقفين في المدينة.

تعتبر «مدرسة أنطاكيّة» مدرسة وجوديّة الفكر، لا تنطلق في أنثروبولوجيّتها من عالم المُثُل الأفلاطونيّ بالتركيز على قيمة «النفس» في الإنسان؛ بل تركّز على واقعيّة الإنسان ككيان موَحّد. ولا تركّز في نظرتها وإيمانها، على ألوهيّة المسيح فقط، بل على إنسانيّته الفيّاضة[٩].

ويغلب على المدرسة منهج الواقعية في تفسير الكتاب المقدس بالمعنى الحرفي، وبوجوب البساطة والوضوح في فهم المسائل العقائدية. لذا فإن مدرسة أنطاكية تصر على إنسانية يسوع، لكن من غير الفصل بين ناسوته ولاهوت الكلمة، ولا بين إنسانيتنا نحن التي تستمد جوهرها منه.

وإن كانت مدرسة أنطاكية حديثة إذ أنها نشأت بعد قرن من الزمان من عمر مدرسة الإسكندرية اللاهوتية. أما عن أنطاكية كمدينة فلم تكن أقل شأنًا من مدينة الإسكندرية التي كانت تربط بين الحضارات الشرقية والإغريقية، وعندما دخلتها المسيحية شرع أباء الكنيسة في مقاومة الوثنية والهرطقات التي أصبحت خطرًا محدقًا بالمبادئ المسيحية. لذلك تأسست هذه المدرسة لغرض تثقيف أباء الكنيسة ومساعدتهم على البحث والاطلاع في المجال الفكري للرد عليها[١٠].

ويقول أحد رهبان دير القديس مقاريوس كاتب كتاب دراسات في آباء

coptic-books.blogspot.com

الكنيسة، إن مدرسة أنطاكية كانت تشبه إلى حد كبير المدارس الفلسفية القديمة، فيما عدا أنها كانت تشرح الكتاب المقدس بدل مؤلفات هوميروس وأفلاطون. فحيثما كان يظهر معلم لاهوتي جديد كان التلاميذ يتوافدون إليه ويحيطون به ويكونون معه المدرسة اللاهوتية. لذلك لم يستطع المؤرخون أن يجدوا ثمة حلقة وصل تاريخية بين مدرسة لوقيانوس ومدرسة ديودورس التي تعلم فيها ذهبي الفم[11]. ربما يكون هذا الراهب على حق في وجهة نظر ما لكن ليس في كل الحقيقة حيث سنتعرض لدراسة حياة لوقيانوس وديودورس وكيف يكون الربط بينهما معًا.

قادة مدرسة أنطاكية

أما قادة المدرسة فينقسمون إلى مجموعتين مثل مدرسة الإسكندرية، في القرون الثلاثة الأولى وأهم هؤلاء والذين سوف ندرس عن حياتهم وأفكارهم هم: لوقيانوس مؤسس المدرسة، ديودوريوس الطرسوسي، والمجموعة الثانية القرن الرابع: ديودورس الموبسيوستي، ويوحنا ذهبي الفم، ونسطوريوس.

لوقيانوس Locion

نشأ لوقيانوس في مدينة أنطاكية، ويرجح البعض أنه من مدينة سُمَساط Samosata السورية، الواقعة على شاطئ الفرات من الجهة الغربية. تلقى في شبابه العلوم الدنيوية، وكان أبواه تقيين، درباه منذ نعومة أظافره على العبادة. انتقلا من هذا العالم ولم يكن لوقيانوس قد بلغ سوى إثنتي عشر سنة.وبعد موت والده وزع ما لديه على الفقراء وارتحل إلى مدينة

coptic-books.blogspot.com

الرها Edessa، تتلمذ على يد معلم كبير هو مكاريوس. بين حياة الهدوء والخدمة أصبح خبيرًا عظيمًا في فن الفلسفة والبلاغة، وقد أعد نفسه لدراسة الكتب المقدسة، إذ كان مقتنعًا أن واجبه ككاهن يحتم عليه أن يكرس وقته ونفسه بالكامل لخدمة الله والناس(١٢).

التهب قلب لوقيانوس بمحبة الله، وكان يزهد كل شيء في العالم. يأكل مرة واحدة كل يوم عند الغروب، وأحيانًا كان يصوم سبعة أيام متوالية بلا طعام ولا شراب. وكان يقضي فترات طويلة صامتًا، يختلي مع الله. وإذا تحدث مع أحد كان حديثه حول الكتاب المقدس.يقال عنه إنه كان من أوائل من خرجوا إلى حياة النسك في أنطاكية. طعامه كان يقتصر على الخبز اليابس والبقول. ولا يقرب النار في فصل الشتاء مهما كان البرد قارسًا، وقد اعتاد أن يستغرق في الصلوات الطويلة باكيًا خطاياه. وقد قال عنه القديس أثناسيوس الإسكندري إنه كان «ناسكًا كبيرًا»(١٣).

ولما عاد إلى أنطاكية رُسم كاهنًا، ويعود له الفضل في إنشاء المدرسة الأنطاكية، التي كانت تتبع أسلوب التفسير الحرفي، مقابل مدرسة الإسكندرية التي كانت تتبع الأسلوب المجازي. ومن الأمور التي تستحق التقدير أنه كان ينفق على نفسه من النسخ حيث اتسم بالخط الجميل وسرعة الكتابة.

لعبت مدرسة لوقيانوس دورًا هامًا في العقيدة المسيحية، كما خرجت عددًا من الشخصيات التاريخية المرتبطة بأنطاكية، مثل ديودورس، يوحنا فم الذهب، ثيودورس المبسيوستي، وثيؤدريت أسقف قورش Cyrrhus في سوريا،

coptic-books.blogspot.com

وهو لاهوتي ومؤرخ معروف[١٤].

وقد أضحى لوقيانوس أحد أكبر المعلمين في الكنيسة. وإليه يعود الفضل في التدقيق في نصوص العهد القديم وترجمتها من اللغة العبرية إلى اليونانية. فقد قام بتصحيح الترجمة السبعينية فاستبدل بعض الكلمات الغامضة، بما اعتبره أدق وأوضح منها. كما استعاض عن الضمير في بعض الأحيان بالأسماء التي يشير إليها هذا الضمير.

ويقول القديس جيروم «إيرونيموس»: عن لوقيانوس، بأنه كان رجلًا صاحب عقلية متقدة الذكاء، ومتعمقًا في دراسة وتفسير الكتاب المقدس[١٥]. ويصف ترجمة الكتاب المقدس من العبرية إلى اليونانية بيد لوقيانوس بأنها كانت عظيمة القيمة، دقيقة، سلسة وأنها انتشرت بين القسطنطينية وأنطاكية. يقول القديس ألكسندروس بطريرك الإسكندرية إن القديس لوقيانوس تأثر لفترة طويلة ببولس الساموساطي الهرطوقي الذي أدين في إنطاكية عام ٢٦٩م، فحُرِم من شركة الكنيسة لفترة. ولكن من المؤكد أنه مات في الشركة، وهذا يتضح من بقايا جواب كتبه للكنيسة في إنطاكية[١٦]. فيرى البعض أن استشهاد لوقيانوس عام ٣١٢م غسل ذنوبه ورفعه إلى مرتبة الشهداء القديسين[١٧].

لوقيانوس والاضطهاد

عندما اشتد الاضطهاد أيام الإمبراطور مكسيميانوس قُبض على لوقيانوس وسيق إلى مدينة نيقوميدية (العاصمة الشرقية للإمبراطورية قبل بناء القسطنطينية). يُقال إنه قد تمكن أثناء الطريق من هداية أربعين

coptic-books.blogspot.com

من العسكر قضى أكثرهم شهيدًا في سبيل الإيمان. وفي نيقوميدية عومل لوقيانوس أسوأ معاملة. وقد لعب دورًا كبيرًا في تشديد المسيحيين وحملهم على التمسك بإيمانهم بالمسيح. وبأمر من الإمبرطور خُنق في الحبس، وأُلقي جثمانه في البحر. إلا أن أحد تلاميذه، ويدعى غليكاريوس، تمكن من أخذ الجثمان. وقد كان يوم استشهاده في السابع من شهر كانون الثاني من عام ٣١٢م[١٨].

ويُذكر أن بعض المصادر القديمة والحديثة حاولت إلصاق تهمة الهرطقة بالقديس لوقيانوس باعتباره أبًا للآريوسية أو تلميذاً لبولس السُّمَيْساطي المُدان في مجمع أنطاكية علم ٢٦٩م.

ولكن الثابت أن لوقيانوس رقد في كنف الكنيسة الأرثوذكسية. وقد قال عنه القديس أثناسيوس الإسكندري إنّه قديس كبير وشهيد عظيم. وفي عظة ألقاها القديس يوحنا الذهبي الفم عن القديس لوقيانوس وصف لأبرز ما عاناه هذا القديس الشهيد في نيقوميدية. وقد جاء في العظة ما يلي : «... تُرك القديس طويلًا دون أن يحضر له جلادوه أي طعام. ولمّا رأوا أنّه لم يتلاش، وضعوا أمامه لحومًا سبق أن قُدّمت للأوثان...ورغم أن التجربة كانت قاسية للغاية، فإن القديس الشهيد خرج منها منتصرًا...وإذ رأى عدو البشر أنّه لم يظفر بلوقيانوس، جرّه، من جديد، إلى المحاكمة .. وسعى إلى انهاكه بشتى الاستجوابات التي أُخضع لها ..لكن جواب القديس على كل الأسئلة التي طُرحت عليه كان: «أنا مسيحي». سألوه: «من أين أنت؟» فقال: «أنا مسيحي». «ما هي مهنتك؟» فأجاب: «أنا مسيحي». «من هي عائلتك ومن هم أقرباؤك؟» «أنا مسيحي». طبعًا، لم تكن تنقص

coptic-books.blogspot.com

لوقيانوس قوة البلاغة... لكنه كان يعرف جيدًا أنه بالإيمان يغلب لا بالبلاغة، وأن الدرب الأكيد ليس أن يعرف المرء لغة الكلام بل لغة المحبة . بهذا الجواب «أنا مسيحي» أكمل لوقيانوس سعيه»[١٩].

ديودوريوس الطرسوسي Diodorus of Tarsus

وُلد في إحدى السنوات العشرة الأولى من القرن الرابع في أنطاكية. وكان من عائلة ثرية ومثقفة، لذلك استطاع أن يذهب إلى بلاد اليونان ليدرس الفلسفة والعلوم الزمنية في أثينا. انخرط في سلك الرهبنة في دير بالقرب من أنطاكية وقضى هناك عشرة سنوات في الصلاة والتأمل والدرس العميق. تتلمذ على يديه يوحنا فم الذهب، وثيودوريوس الموبسيوستي. رسم قسًا في أنطاكية ثم أصبح أسقفًا في ٩٧٨م.[٢٠] كان عالمًا ومدافعًا قويًا عن الإيمان. وبفضل جهوده تأسست المدرسة التفسيرية الأنطاكية أي منهج التفكير للمدرسة. ولقد دافع ديودوريوس دفاعًا قويًا ضد الأريوسيين عن ألوهية المسيح وبنفس القوة عن ناسوت المسيح ضد أبوليناريوس[٢١].

عندما اعتلى يوليانوس الجاحد عرش الإمبراطورية كما سبق في دراستنا صب غضبه على المسيحيين، ولم يكتف بتعذيب المسيحيين، تطاول على المسيح وتعاليمه، فكتب كتابًا ونشره، منتقدًا فيه لاهوت المسيح وعبادته، معتبرًا إياه إنسانًا فلسطينيًا ومجرد إنسان، كما انتقد أن تُلقَّب مريم العذراء بأم الله. وبالتالي فقد كان ديودريوس يحارب في جبهتين الإمبراطور يوليانوس، والهرطقات التي انتشرت في أنطاكية[٢٢].

كان ديودوريوس يُعد عمودًا من الأعمدة القوية الراسخة، ورائد مدرسة

coptic-books.blogspot.com

تفسير الكتاب المقدس. وقائدًا مسموع الرأي من قادة الكنيسة. فقد كان مجادلًا متمرسًا في فلسفة أرسطو وعالمًا في اللغات. وفي الوقت نفسه كان متعمقًا في العقيدة. وكان مشهورًا بعلمه وقداسته. صمد بشجاعة أمام الآريوسيين[٢٣]. فُلقب ببطل الإيمان في المجمع الذي عُقد في القسطنطينية ٣٨١م. المجمع الذي أُعتمد فيه القانون النيقاوي[٢٤].

ظل هذا المعلم يتمتع بشهرة عظيمة في حياته ومماته. حتى وقع الصراع بين كيرلس عمود الدين ونسطور. لقد اعتقد كيرلس بعد خمسين سنة من وفاة ديوديوريوس أن النسطورية عميقة الجذور وبعيدة الأصول. وترجع إلى تعاليم ديودوريوس أسقف طرسوس. ولم يتردد أسقف الأسكندرية في إعلان هذا الأمر والكتابة ضد ديودوريوس. وقد استدعى الأمر فحص ودراسة تعاليمه. ثم أُصدر حكم ضد تعاليمه في مجمع القسطنطينية سنة ٤٩٩م. على أن المجمع الخامس الذي عُقد في القسطنطينية أيضًا سنة ٥٥٣م قد حكم ببرائته[٢٥]. أي بعد مايزيد عن خمسين سنة من الحكم ضد تعاليمه.

ثيودوريوس الموبسيوستي Theodore of Mopsuestia

وُلد ثيودوريوس في أنطاكية سنة ٣٥٠م. ونشأ في أسرة غنية جدًا ومشهورة وكان والده يحتل مركزًا مرموقًا. كان أخوه الكاهن بوليكرونيوس Polchronius الذي صار أسقفًا على مدينة أباموس Apamea. كما أن بائنويوس Paeanius الذي كان يحتل مركزًا حكوميًا هامًا في مدينة القسطنطينية كان ابن عمه[٢٦].

coptic-books.blogspot.com

درس الخطابة والأدب في أنطاكية على يدي الفيلسوف المشهور ليبانوس حيث التقى بالقديس يوحنا ذهبي الفم وصارا صديقين. وفي سنة ٣٦٩م التحق الاثنان بمدرسة ديودوريوس في دير بأنطاكية حيث عاشا في حياة نسكية وتكريس لدراسة الكتاب المقدس بالمنهج الأنطاكي الرافض للتفسير الرمزي لمدرسة إسكندرية. ويُعد ثيودوريوس من أبرز أعلام مدرسة أنطاكية التفسيرية إن لم يكن بالفعل أقدر عالم كتابي في تلك المدرسة. وقد خدم أسقفا لموبسيويستا Mopsuestia لمدة ست وثلاثين سنة[٢٧].

حياته في الدير

كان ثيودوريوس شابًا يافعًا غنيًا عمره لا يتجاوز العشرين عامًا. التقى بصديقه يوحنا الذي أثر في حياته تأثيرًا عميقًا لدرجة أنه ذهد في الحياة العالمية وأحب الخلوة وحياة الرهبنة. لذلك قرر كلاهما اتخاذ سلك الرهبنة.

كان ثيودوريوس زاهدًا في الحياة. حارًا في الصلاة. متعمقًا في الدرس والعلم والبحث وتقصي المعرفة. وبالرغم من جو النسك والتعبد والدرس فقد ضعف قلبه ومال إلى حب فتاة يهودية جميلة تدعى هرمون Hermoine، تعلق بها تعلقًا جنونيًا. وعندئذ ترك الدير وهجر حياة التقشف والرهبنة والزهد. وبدأ في دراسة القانون لكي يصير محاميًا ويتزوج من فتاة أحلامه. عندما عرف صديقه القديس يوحنا الذهبي الفم أسرع فأرسل إليه خطابين يحثه فيهما على الرجوع إلى حياته الأولى بالتوبة الصادقة. مُظهرًا له أن يأسه من مراحم الله هي لطمة على وجه السيد المسيح أكثر مرارة من سقوطه في حبه لهذه الفتاة وكسره لنذر الرهبنة. كانت الرسالتان في

coptic-books.blogspot.com

غاية القوة والبلاغة، وكان لهما وقع الصاعقة على نفسية الشاب المرهف الحس. عندئذ ترك الفتاة وعاد إلى الدير وحياة النسك والتقشف والدرس من جديد. وقضى بعدها في الدير عشر سنوات حوالي سنة ٣٦٩م ـ ٣٧٨م[٢٨].

رُسم ثيودوريوس كاهنًا في سنة ٣٨٣م، وكان تلميذًا مخلصًا لمعلمه دويودوريوس، وعاملًا نشيطًا في تعاليمه، وتطويرها ونشرها. نُصب أسقفًا لمويسيوبست في سنة ٣٩٢م لمدة ٣٦ سنة حتى مات في سنة ٤٢٨م. كانت تلاحقه شهرة عظيمة بسبب بلاغته وكتاباته. لكنه دين بعد وفاته كهرطوقي[٢٩].

فسر ثيودوريوس جميع الأسفار تقريبًا بطريقة تاريخية نقدية. يُعتبر أول من استخدم النقد الحرفي لحل مشاكل نصوص الكتاب. كما ضم تفسيره عددًا كبيرًا من المقالات العقيدية والجدلية، مما يظهر أنه قد انشغل بالأسئلة اللاهوتية التي سادت في عصره. إذ دين كهرطوقي بادت أغلب كتاباته حتى اُكتشفت بواسطة بعض الدارسين المحدثين[٣٠].

وكان فكره اللاهوتي عن شخص المسيح امتدادًا لفكر أستاذه ديودوروبوس الطرسوسي. وكان مهتمًا بالمحافظة على التمييز بين الطبيعتين الإلهية والبشرية في المسيح. وكانت تعاليمه التفسيرية والعقائدية حجة يرجع إليها المتنازعون والمتخالفون. واعتبره النساطرة المرجع والمعلم لهم. ويحتمل أن الجدال النسطوري كان بسببه أكثر من أي معلم آخر. وكثيرًا ما يُشك فيما إذا كان نسطور نفسه نسطوريًا. لكن لا يمكن الشك في أن ثيودوروبوس كان نسطوريًا قبل نسطور. وذلك لاتهامه بأنه يعلم بوجود

coptic-books.blogspot.com

شخصين في المسيح أحدهما إنساني والآخر إلهي. وهما يرتبطان باتحاد خارجي. ورغم كونه قد مات في سلام مقبولاً من الكنيسة بشكل عام إلا أنه بعد وفاته بعدة سنوات بدأت منازعات حول تعاليمه الكريستولوجية واستمرت لفترات طويلة حتى انعقد مجمع القسطنطينية الثالث عام ٥٥٣م وأصدر حرماناً ضد تعاليم ثيودوروس. بعد مرور ١٢٥ سنة على وفاته[٣١].

يوحنا فم الذهب John Chrysostom

وُلد يوحنا في أنطاكية بين عامي ٣٤٥م- ٣٥٥م من أب ذي شأن عظيم بين قومه. يدعى سكوندوس. كان سكوندوس قائداً في الجيش الروماني في سورية برتبة رفيعة عالية . ومن أم تنحدر من عائلة يونانية نبيلة. سرعان ما أصبحت أرملة بعد حوالي أربع سنوات من زواجها ولم يكن عمرها يتجاوز عشرين سنة. وكان عمر يوحنا أنذاك حوالي ثلاث سنوات[٣٢]. ووالدته اسمها «أنثوسا». ربّته التربية المسيحية اللائقة. وبسبب المركز الأدبي لها في المدينة. انضمَّ إلى مدرسة المعلِّم الفلسفي «ليبانوس» الذي كان وثنيًا. ونبغ في دراسته حتى أن المعلم الوثني ليبانوس. وهو على فراش الموت قال: «ما أعظم الأمهات عند المسيحيين. ولولا أن المسيحيين أخذوه مني لكان سيخلفني في مدرستي الفلسفية»[٣٣].

وقد تعلَّم يوحنا مهارات البلاغة اليونانية. وأحبَّ اللغة والأدب اليونانيَّيْن. كما درس الحقوق ومارس المحاماة لفترة شهورٍ قليلة. وعرف المسيح منذ الصغر. أصبح قارئاً في الكنيسة في سنة ٣٦٧. ودرس الفلسفة على يد انذورغاثيوس في أنطاكية أيضًا. وكان أكثر أصحابه المقربين باسيليوس الذي

coptic-books.blogspot.com

أصبح أسقف رفنية قريبًا من مصياف؛ وكلما تقدَّم في العمر، تعمَّق في المسيحية. وقد تتلمذ على يد المعلم اللاهوتي «ديودوريوس الطرسوسي»[٣٤].

لم يكن تأثير المعلم اللاهوتي ديودوريوس الطرسوسي وحده على يوحنا ذهبي الفم. فتأثير ديودوريوس كان في مجال دراسة الكتاب المقدس. لأن ديودوريوس كما سبق في دراستنا لشخصيته كان رائدًا في تفسير الكتاب المقدس، ولأنه قدم لتلاميذه مجموعة كبيرة من التفاسير لأكبر قدر من الأسفار. وقد اعتاد القديس يوحنا أن يقرأ الكتاب المقدس بصبر وتأن. متوقفًا عند كل كلمة وعند كل حرف. يتفحص المعاني. فأصبح من أحسن العارفين بالكتاب المقدس. وحفظ ذهبي الفم الكتاب المقدس عن ظهر قلب.

أما التأثير الروحي على فكر يوحنا فمصدرها كتابات باسليوس الكبير[٣٥]. وغريغوريوس النزينزي وغريغوريوس النيصي التي كانت تُنشر كل عام. وكانت معروفة في أنطاكية. وبالأخص لتلاميذ ديوديوريوس. فإن ديودوريوس نفسه كان وثيق الصلة والصداقة مع القديس باسيليوس الكبير. والآباء الكبادوكيين غريغوريوس النزينزي والنيصي (وهو أخو باسيليوس)[٣٦].

عاش يوحنا منذ طفوليته عيشة النسك. ثم صار ناسكًا حوالي عام ٣٧٥ م. ظل سنتين في سهرٍ دائم يحفظ الكتاب المقدس عن ظهر قلب. وقد تسبَّبت حياته النسكية الصارمة في أتعاب في معدته وكُلْيتيه.

رُسِمَ شماسًا سنة ٣٨١م بيد ميليتوس أسقف أنطاكية. ثم كاهنًا في مدينته في عام ٣٨٦م على يد فلافيوس الأول أسقف أنطاكية. واتخذ لحياته الكهنوتية توجهًا واضحًا وهو الوعظ والتعليم. وقد قال بهذا الخصوص:

coptic-books.blogspot.com

إن الوعظ أسمى كل التضحيات وأفضلها. وبإمكان رجل واحد أن يصلح شعبًا. وقد بقي في أنطاكية واعظًا لمدة اثنتي عشرة سنة. عرف بالتمام عقلية شعبه ودرس حالاته كلها فَوَعَظه بطريقة عصره وطرق بلاغته. نال فيها شهرة في تأثيره الروحي على النفوس(٣٧). نُصب يوحنا بطريركًا للقسطنطينية عام ٣٩٨ ليكون نموذجًا للأسقف الشاهد الذي لا يهاب الصعاب. فلم يكتف أن يشهد للرب من خلال خدمته للكلمة والأسرار. بل قرن الكلام بالعمل. وسوف نشرح عمله لاحقًا(٣٨).

لُقب يوحنا بطريرك القسطنطينية من سنة ٣٩٨م إلى سنة ٤٠٧م بـ «يوحنا الذهبي الفم أو يوحنا فم الذهب Chrysostom». وذلك اعترافًا بفصاحته وبلاغته وجمال أسلوبه وعبارته. وقوة كلماته. وتأثير عظاته معنى ومبنى. كما يوصف بكثير من الصفات فهو «واعظ المسكونة الأول» وهو الذي «صان عقله نقيًا من الأهواء». و«صار مماثلًا لله». بعدما امتُحن «بالتجارب كالذهب في النار» فهو «الآلة الملهمة من الله» و«العقل السماوي» و«عمق الحكمة» و«الكارز بالتوبة» و«نموذج المؤمنين» و«الملاك الأرضي والإنسان السماوي». وهو «خزانة أسرار الكتب». و«اللسان الذي بمحبة بشرية رسم لنا طرق التوبة المتنوعة». وهو أيضًا «أبو الأيتام والعون الكلي الحماسة للمظلومين. ومعطي البائسين. ومُطعِمَ الجياع. وإصلاح الخطاة. وطبيب النفوس. الحاذق الكلي المهارة». إضافة إلى لقب «معلّم الكنيسة» الذي أطلقته عليه الكنيسة الكاثوليكيّة(٣٩).

كان الذهبي الفم أبًا أكبر وأعمق لاهوتيًا. وكان شهمًا صادقًا لا يصمت تجاه المشاكل اللاهوتية. هكذا. كان موقفه من المدارس اللاهوتية المختلفة هو

coptic-books.blogspot.com

الانتقاء الصحيح، بينما تطابق بشكلٍ كاملٍ في تعابيره مع المسيرة الروحية لأثناسيوس الكبير والآباء الكبادوك[٤٠].

كان القديس ذهبي الفم يؤمن بمبادئ واضحة وهي كالآتي[٤١]:

- إن الإنجيل هو مصدر كل معرفة حقه، وكان يأخذه كأساس لكل معرفته الروحية.
- إن كل دراسة للإطار التاريخي للكتاب المقدس يجب أن تؤدي في النهاية إلى تعزيز المعنى الحقيقي الأصيل للآية.
- كان شغل ذهبي الفم الشاغل ليس هو صياغة العقيدة حول طبيعة المسيح، فهو لم يشارك فيها، ولم يهتم بالجادلات الأكاديمية اللاهوتية التي كانت موجودة قبل وأثناء حياته، بل بالأكثر كان اهتمامه هو تجديد قلوب الناس، وإضرام طاقاتهم الروحية والخُلقية، مثيرًا فيهم المحبة الطاهرة والرؤية الروحية الصافية.

تحديات تواجه ذهبي الفم

في أواخر العام ٣٩٧م توفى القديس نكتاريوس رئيس أساقفة القسطنطينية فأصدر الإمبراطور أركاديوس مرسومًا يقضي بتعيين يوحنا كاهن أنطاكية، رئيس أساقفة القسطنطينية فحالما تسلم عصا الرعاية انطلق في مواعظه النارية فاستقطب جموعًا غفيرة أخذت تتقاطر عليه لتسمعه بغيرة وحماس.

ثم بدأ القديس يوحنا ذهبي الفم رئيس الكرسي القسطنطيني عمله

coptic-books.blogspot.com

سريعًا في إصلاح أوضاع الكنيسة الإدارية وشرع بسن قوانين جديدة للآباء الكهنة وللرهبان، وحارب البدعة الأريوسية، ووبخ الأرستقراطيين.

بدأ البطريرك عمله سريعًا. لقد أراد أولًا أن يجعل القصر الأسقفي بيت راعي الشعب، لا قصرًا إمبراطوريًا. فأمر ببيع جميع الأواني الفضية والذهبية وتوزيع أثمانها على الفقراء، ثم باع السجاد وشيد بثمنه مستشفى للفقراء وباع المقاعد الحريرية والمغاطس الرخامية، وأقام بأثمانها مأوى للغرباء. باع المرايا واللوحات والأعمدة، وترك الجدران عارية، وأخيرًا باع السرير، والحرير، والمخمل والخشب النادر حيث كان ينام الأسقف نكتاريوس، وأتى بسرير من ألواح الخشب وبغطاء بسيط[٤٢]. ثم صرف الخدم والحشم، وأبقى معه فقط أحد الرهبان. وألغى الاستقبالات ومظاهر التبذير[٤٣].

لقد قاوم التبذير وتغير كل شيء في القصر الأسقفي، وبهذا خاب أمل الأرستقراطيين وبدأوا بالتذمر منه، وأصبحوا ألدّ أعدائه. من ناحية أخرى عمل كل ما في وسعه لإصلاح الشوائب في اجتماعات المؤمنين للصلاة. لذلك قام بتعزيز الترنيم الجماعي، الذي قال عنه: يقتلع النفس من الأرض ويحررها من رُبُطِ الجسد . وأيضًا عمل حتى يشترك الشعب كله في الصلاة[٤٤].

وكان طبيعيًا أن تؤدي عظاته وإجراءاته إلى تباين المواقف بشأنه. فالمتضررون من سياسة إصلاح أوضاع الكنيسة التي قام بها ذهبي الفم الجديدة وغير القابلين لمواعظه المتشددة كانوا كثيرين، أساقفة وكهنة وكثير من أبناء المجتمع المحلي.

coptic-books.blogspot.com

موقف البلاط الملكي من ذهبي الفم

استقبل الملك أركاديوس البطريرك الجديد بحرارة وفرح شديدَين. غير أن الإمبراطور لم يكن له التأثير على قرارات مستشاريه وحكومته. كما رحبت الإمبراطورة إيدوكسيا زوجته صاحبة النفوذ. وكانت تتوسم في يوحنا الكثير من الصفات وعاقدة عليه الكثير من الآمال.

كان ذهبي الفم يعرف كيف يقول كلمته في الوقت المناسب. وكيف يشيد بالأعمال التي تستحق التقدير. ففي إحدى الاحتفالات الدينية التي نظمها. وكان الاحتفال بمناسبة استلام رفات القديس فوكا أسقف سينوبي في بنطس. وقد حملت الإمبراطورة رفات القديس وطافت به الشوارع في موكب احتفالي مهيب في المساء. ففي العظة التي أعقبت الاحتفال لم يفُت الأسقف أن يشيد بهذا الفعل التقوي الذي فعلته الإمبراطورة.

غير أن الذهبي الفم لم يقبل ما أحدثته الإمبراطورة في حق أرملة. حيث اغتصبت الإمبراطورة حقلًا من هذه الأرملة. وطالبها القديس برده فلم تجبه. وفي يوم عيد الصليب إذ حضرت الإمبراطورة إلى الكنيسة. منعها فم الذهب من الدخول. غضبت الإمبراطورة وطلبت من الإمبراطور الانتقام لكرامتها.

كان على الأسقف أن يقف ضد الملك والإمبراطورة الطاغية الظالمة المستبدة. وكل أجهزة المملكة وسطوتها وقدرتها الساحقة .... وهذه المواجهة لم تتأخر ومما سرّع فيها تصرفاته وعظاته التي أدت إلى تباين المواقف بشأنه وكثر الحاسدون له والمنافقون ضده وخاصة بين صفوف الأغنياء وجماعة القصر الملكي.

coptic-books.blogspot.com

وقد توافقت رغبة الإمبراطورة في الانتقام من ذهبي الفم مع مكنونات قلب البابا ثاؤفيلوس ضد يوحنا حيث اتهمه بالهرطقة الأوريجانية، التي كانت بمثابة ستار لدوافع التشفي من يوحنا، بسبب إيواء يوحنا الإخوة الطوال[٤٥] وهم أربعة رهبان من مصر قد هربوا من الأسقف ثاوفيلوس.

في سنة ٤٠٣، عقد البابا الإسكندري ثاوفيلوس مجمعًا قرب القسطنطينية حَرَمَ فيه ذهبي الفم، مما أدَّى بالإمبراطور، بإيعاز من زوجته إدوكسيا، أن يأمر بنفيه إلى القوقاز في أرمينيا[٤٦].

وأثناء تحرك القديس يوحنا فم الذهب في طريقه للمنفى حدثت زلزلة هزت أرجاء القسطنطينية وأرعبت الحكام وذاب قلب الإمبراطورة إدوكسيا في داخلها وقد اعتبرت هذه الزلزلة كقول الأسقف والمؤرخ بالاديوس، «علامة غضب الرب الإله يحل عليها بسبب ظلمها للراعى الأمين».

فأسرعت الإمبراطورة إلى زوجها في مخدعه تطلب سرعة عودة يوحنا، وفي نفس الوقت كتبت بيدها رسالة تعتذر له عما حدث، أرسلتها مع أحد من خصيانها أسمه برسو Briso تترجاه أن يعود[٤٧].

وفي خريف عام ٤٠٣م أمر الإمبراطور أركاديوس بصناعة تمثال من الفضة للإمبراطورة إدوكسيا نُصب على عمود من البروفير، قائم على قاعدة مرتفعة حُفرت عليها وزُينت بنقوش جميلة، وأقيم هذا التمثال في أكبر ساحات المدينة بجوار كنيسة القديسة صوفيا (أكبر كنائس العالم القديم) بمحاذاة مجلس الشيوخ، وحدث أنه في حفل تنصيب التمثال أن حضر الشعب وامتلأت الساحة بالمجون والخلاعة وتحولت الساحة إلى مسارح

coptic-books.blogspot.com

وامتلأت بالراقصات الماجنات. فلم يطق القديس يوحنا الذهبي الفم هذه الأعمال الخاطئة بجانب الكنيسة فأخذ ينهي ويوبخ هذه الأعمال ويحرمها.

لم تتأسف الإمبراطورة على ما حدث بجانب الكنيسة بل إن ما سمعته فتح جراحها القديمة. ولم يتوقف القديس يوحنا الذهبي الفم عن التلميح عنها في عظاته وقد وقف يوم عيد يوحنا المعمدان وبدأ عظته بهذه الكلمات اللاذعة: «هوذا هيروديا تثور من جديد. إنها تعود فترقص. إنها تطلب رأس يوحنا من جديد في طبق».

وقد انتهى الأمر بسجنه في منطقة في جيورجيا. حيث مات في الطريق إلى السجن. بينما كان الجنود الذين ينقلونه يزحون فسقط منهم في الطريق وظلوا يجرُّونه وهو واقع على الأرض إلى أن لفظ أنفاسه قبل أن يصل إلى السجن. مات سنة ٤٠٧ م عن عمر يناهز الثمانية والخمسين عامًا تقريبًا.

أخيرًا يمكن أن نقول بكل ثقة إن الكاهن والفيلسوف والناسك الأنطاكي والبطريرك القسطنطيني قد ترك ميراثًا كنسيًا من الخطب والمقالات والعظات. لا زالت الكنيسة ومؤمنيها يغرفون منه ويعودون إليه لفهم كثير من الآيات الكتابية. كما يُعتبر مرجعًا آبائيًا لا غنى عنه لذا تكرّمه الكنيسة الجامعة وتعتبره أبًا مسكونيًا وقديسًا هامًا ومجاهدًا في سبيل الحق (٤٨).

بعد نياحته. طلب إينوسنت الأول بابا روما من الكنائس كلها أن تحل قانون حرمانه وتعترف بقداسته وإلاَّ سيقطع علاقاته وشركته معها. وقد اعترفت به كل الكنائس. كما اعترفت بقداسته الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بعد ١٠ سنوات من نياحته.

coptic-books.blogspot.com

نسطوريوس

يجدر بنا ونحن ندرس الحوارات الساخنة والحادة التي حددت مسار التاريخ بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة أنطاكية. في القرن الرابع أن ندرس شخصية نسطوريوس حتى يكون حوارنا ودراستنا شاملة وموضوعية بقدر الإمكان.

حياة نسطوريوس:

يعتقد بعض المؤرخين أن نسطوريوس كان من أصل جرماني. وآخرون أنه من أصل فارسي[٤٩]. أما النساطرة فيظنون أنه من أصل يوناني[٥٠]. وُلد عام ٣٨١م بمدينة مرعش في سوريا وتربى في أنطاكية وهناك ترهّب بدير أيروبيوس. الدير الذي تعلم فيه العمالقة والعلماء منهم ديوديوريوس الطرسوسي، وثيوديوريوس الموبسيوسي. يعتقد البعض أن نسطوريوس قد تتلمذ على يد المعلم والشيخ الأسقف ثيودوريوس الموبسيوستي، والبعض الآخر يستبعد هذا باعتبار أن نسطور ولد سنة ٣٨١م فإنه من الصعب يكون تلميذاً لثيوديوريوس الذي كان أسقفًا في سنة ٢٩١م. ورغم أنه لا يوجد ما يحسم ما إذا كان نسطوريوس تتلمذ على يدي ثيودوريوس أم لا، فإنه يمكننا القول إنه تأثر بشدة بتعاليم ثيودوريوس، لأن تعاليمهما متشابهة إلى حد كبير[٥١].

درس نسطوريوس اليونانية ومبادئ العلوم في مرعش ثم تشبع بمبادئ مدرسة أنطاكية اللاهوتية. رُسم شماسًا ثم قسًا في كاتدرائية

coptic-books.blogspot.com

أنطاكية[٥٢]. اشتهر بفصاحته وقوة عظاته وقد استدعاه الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني ليكون بطريركًا على كرسي القسطنطينية. وقد اختاره رئيس أساقفة أجنبيًا، أولًا بسبب فصاحته وقوة عظاته. وثانيًا لأن الأكليروس في القسطنطينية لم يتفقوا على تعيين أسقف محلي[٥٣].

شخصية نسطوريوس

تدور حول هذا الرجل علامات استفهام كثيرة. بل كان ولا يزال عند البعض موضع شك وشبهة. ورغم أن للتاريخ وجهتين نظر له. ولكل أصحاب رأي يتمسكون برأيهم دون تنازل، إلا أن الأمانة تقتضي أن نعيد الدراسة لهذه الشخصية. وإذا أردنا أن نقيّم هذا الرجل علينا أن نعرف شخصيته. وتعاليمه بطريقة محايدة، والوسط الذي عاش فيه والتيارات التعليمية والظروف الاجتماعية والسياسية التي واجهها. وماذا فعل كأسقف؟ ولماذا خُلع من منصبه ونفي خارج البلاد كهرطوقي؟

هذه الأسئلة تحتم علينا فحص ومعرفة تاريخ هذا الرجل. بل تحتم علينا أمانة البحث لا أن نبرئ الرجل من الشبهات التي دارت حوله. فليس هو هدف البحث ولا هدف كاتب هذه السطور. فدراسة التاريخ لا تسعى لتبرئة أو إدانة أحد.بل أن تكون الدراسة موضوعية وعادلة وبطريقة صحيحة لمعرفة ما له وما عليه. وهل الذين حرموه كانوا على حق؟ أم ظلم في الحكم عليه؟وهل كان له دور في الأحداث التي سُجّلت ضده؟ أم تجنى عليه الآخرون دون حق؟

اشتهر نسطوريوس جدًا قبل أن يكون أسقفًا. فقد كان واعظًا مفوهًا وخطيبًا قديرًا. استطاع بسلاسة أسلوبه وبمعرفته الكتابية أن يستحوذ

coptic-books.blogspot.com

على قلوب سامعيه. فأحب العديد من الناس هذا الرجل الغيور الشجاع الذي حاول ما في وسعه لإزالة جميع أشكال الهرطقة في الكنيسة. إلا أنه كان شديد الطباع، ومغرورًا. يصفه المؤرخ الكنسي سقراط الذي كان معاصرًا له بأنه كان شرسًا متكبرًا ومعجبًا بنفسه[٥٤].

عندما نُصِّب بطريركيًا على كرسي القسطنطينية، ألقى خطابًا على مسامع الإمبراطور والشعب مبينًا فيه خطته الدينية والسياسية. وقد قال مخاطبًا الإمبراطور «هبني بلادًا بدون هراطقة أمنحك السماء بديلًا. استأصل معي الهراطقة أقف بجانبك في محاربتك للفرس.»[٥٥] بعد خمسة أيام فقط من تنصيبه، قام بحملة مسعورة ضد كل الأحزاب والشيع الدينية وكان أول ضحاياه جماعة الآريوسيين، فقد حاول أن يهدم المكان الذي كان يجتمعون فيه.وهذا يذكرنا تمامًا بموقف بطريرك الإسكندرية كيرلس عمود الدين الذي حال توليه كرسي البابوية اضطهد جماعة النوفاسيين اضطهادًا عنيفًا، بل وغيرهم (ارجع لدراسة مواقف كيرلس عمود الدين).

كان نسطوريوس متقدًا بالحماس والغيرة على عمل الله، واتفق المؤرخون على أن نسطوريوس كان متعصبًا لا يتهاون ولا يلين مع الهراطقة. وله مقولة مشهورة حيث يقول فيها (إن هدفي في الحياة هو أن يمجد جميع من على الأرض اسم الله كما هو في السماء، وأما بالنسبة لنسطوريوس فليكن محرومًا) [٥٦]. حيث استطاع وبكل جدارة أن يحارب ويطرد جميع البدع التي ظهرت في زمانه، والتي شملت أتباع بولس السموساطي، والآريوسيين، والمقدونيين، والأبوليناريين، والنوفاتيين، والأقنوميين والفالنتينيين، والمونتانيين، والمركيونيين، والدوناتيين، والبولسيين والمانويين، والمكدونيين، ولم يستثن من

coptic-books.blogspot.com

هذا الاضطهاد إلا جماعة [٥٧] البلاجيين [٥٨] Pelagianism.

البيئة التي خدم فيها نسطوريوس كأسقف

بدأ نسطوريوس وبحسم في خطى الإصلاحات العامة داخل الكنيسة وخارجها، والتي سببت له المتاعب الكثيرة. فلم يقبل نسطوريوس العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة أنذاك، وعمل جاهدًا على إلغائها. منها الملاهي والمسارح والغناء والرقص، وطرد فرقة من الراقصين كانوا يرقصون عُراةً في الشوارع[٥٩]. وقد أرجع الرهبان الذين كانوا يعملون ككتَّاب في القصر الإمبراطوري إلى قلاياتهم بعدما كانوا يشربون ويأكلون ويخالطون عامة الشعب ووضع لهم شروطًا خاصة، وبسبب هذا كان معارضوه يزدادون يومًا بعد يوم، ليس فقط من عامة الشعب بل من آباء الكنيسة، وأيضًا من الأرستقراطيين[٦٠].

مواجهة الإمبراطورة بولخاري

كانت الإمبراطورة بولخاري ابنة الإمبراطور أركاديوس وأخت الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني قوية الشخصية، واسعة النفوذ تحب الشهرة والسلطة. كانت كثيرة المطالب، وكانت من الفتيات اللاتي ترد من الجميع أن يخضعوا لها ولسلطتها، وأن يقدموا لها الطاعة.

كانت بولخاري تدير شئون الكنيسة والإمبراطورية معًا، وقد اعتادت تناول طعام العشاء في قصر الأسقفية بعد اشتراكها في الأفخارستيا (التناول). على أن نسطور لم يقبل هذه العادة، فقام بمنع هذه العادة وإلغائها، مما أثار غضب الإكليروس والبلاط الإمبراطوي ضده.

coptic-books.blogspot.com

وبجلوس نسطوريوس على الكرسي القسطنطيني، وقوة شخصيته استطاع أن يجرد بلوخاري من نفوذها والعادات التي ألفت أن تفعلها في قصر الأسقفية، وتولى زمام أمور الكنيسة بدلًا منها، فأصبح شخصًا غير مرغوب فيه.

ويمكن أن نلخص[٦١] الأسباب التي دفعت الإمبراطورة بلوخاري أن تتربص له وتحاول إزاحته عن منصبه بل ونفيه خارج البلاد.

- كان نسطوريوس غريبًا عن القسطنطينية، ولم تكن بلوخاري تحتمل شخصًا غريبًا يديرُ الكنيسة.
- تجريدها من الصلاحيات الكنسية بعدما كانت تديرها بنفسها.
- منع الرهبان الذين كانوا يخدمونها ككتَّاب في القصر كما ذكرنا من قبل.
- كون نسطوريوس صديق يوحنا ذهبي الفم، ونحن نعلم أن بلوخاري هي ابنة ادوكسيا التي وبخها يوحنا عدة مرات، لذلك كرهت كل من كان له علاقة بيوحنا.
- أمر بأن تُمسح صورتها التي كانت قد رسمت على المذبح[٦٢]، كما أنه رفض علنًا أن يدير الطقس الديني الذي وضعوه من أجل بلوخاري، ففي هذا الطقس كانوا يقدمون الخدمة لها كما كانوا يفعلون للإمبراطور.
- كانت العلاقة بين نسطوريوس وكيرلس عمود الدين ملغومة لأسباب عقائدية وسياسية ليس مجالها الآن لكن سنشرحها في وقتها، مما

coptic-books.blogspot.com

جعلت الأخير أن يكتب رسائل إلى الإمبراطور ثيودسيوس الثاني، كما أرسل رسالة إلى زوجته الأمبراطورة أدوكسيا Eudocie وإلى بولخاري، ثم رسالتين إلى الأميرتين الشابتين أختا بولخاري أركادي Arcadie ثم مارين Marine. يقول الدكتور حنا الخضري إن كيرلس أسقف الإسكندرية كان يهدف من هذه الرسائل إلى كسب البلاط الإمبراطوري إلى جانبه. لكن النتيجة كانت عكسية، فإن الإمبراطور اعتبر أن الرسالة التي أرسلها كيرلس إلى بعض أفراد العائلة إنما تهدف إلى بث روح الإضطراب والنقسام بين أفراد عائلة الإمبراطور نفسه، وخاصة أن الرسائل كانت رسائل شخصية ونحن نعلم أن الإمبراطورة بولخاري كانت تقاوم نسطوريوس(١٣) بكل جهدها.

هذه الأسباب استطاعت بلوخاري وبمساعدة الكرسي الإسكندري أن تزيح نسطوريوس من منصبه البطريركي، من خلال مجامع كنسية، اعتبرها أغلب الآباء وأشهر المؤرخين المعاصرين، غير منصفة وغير عادلة(١٤).

أُرسل نسطوريوس إلى ديره الأول أوبريبيوس Euprepius وفي عام٤٣٥م نُفي إلى البتراء Petra في البادية العربية، وبعد ذلك نُفي نسطوريوس إلى مصر عام ٤٤٩م(١٥). وتشتت النساطرة (١٦) من بعده ولم يكن لهم شأن في الإمبراطورية الرومانية ولكنهم نشطوا في بلاد فارس وما بين النهرين (١٧).

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

هوامش الفصل الرابع

(١) نهرالعاصي هو نهر ينبع من لبنان ويمر في سوريا ليصب في البحر المتوسط. ينبع نهر العاصي من أعالي سهل البقاع في لبنان وليس له منبع وحيد بل ثلاث مجموعات من المنابع أهمها مجموعة منبع اللبوة وعين فليكة وراس بعلبك، ومجموعة منابع عين الزرقا وشواغير الهرمل من سفوح سلسلة جبال لبنان الغربية، ومجموعة منابع الزراعة قرب بلدة جوسية في شمال البقاع، حيث يدخل بعدها إلى الأراضي السورية ليشكل وادى العاصي المعروف في سوريا. يمر أولا في مدينة حمص وبعدها يمر في مدينة حماة حيث أقيمت عليه نواعير عملاقة هي الأكبر من نوعها في العالم وتنتشر على جنبات النهر البساتين والخضرة. يتجه النهر إلى الشمال ليصل مدينة أنطاكية في لواء اسكندرونة السوري والذي تحتله تركيا منذ ١٩٣٩م. (ويكيبديا الموسوعة الحرة).

(٢) http://www.airssforum. com مدرسة أنطاكية، حوار الحضارات..

(٣) زيّادة، جوزيف، الأب، جمعية التعليم المسيحي بحلب، يوحنا ذهبي الفم حياته وكتاباته..

(٤) دراسات في آباء الكنيسة، أحد رهبان برية القديس مقار، ٤١٠..

(٥) عزيز فهيم، القس، علم التفسير، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٦م، ٥٨.

(٦) آشجي، بسام، الأب، أباء الكنيسة، «آباء سورية»، جمعية التعليم المسيحي في حلب، تحت رابط..

(٧) دراسات في آباء الكنيسة، أحد رهبان برية القديس مقاريوس، ٤١١ و ٤١٢.

coptic-books.blogspot.com

(٨) آشجي، بسام، الأب، آباء الكنيسة، «آباء سورية»، المرجع السابق..

(٩) آشجي، بسام، الأب، آباء الكنيسة، «آباء سورية»، المرجع السابق.

(١٠) www.freesuryoyo.org

(١١) دراسات في آباء الكنيسة، أحد رهبان برية القديس مقاريوس، ٤١١ و ٤١٢..

(١٢) زيدان، يوسف، اللاهوت العربي وأصول العنف الديني، (نقلاً عن ياقوت الحمودي: معجم البلدان (جار صادر، بيروت) ٣: ٢٠٨). القاهرة: دار الشروق، ١١٠..

(١٣) كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القس - الإسكندرية – مصر، تحت عنوان لوقيانوس الأنطاكي..

(١٤) قاموس الأباء وقديسيها، لوسيان الأنطاكي الشهيد. .

(١٥) عطية، عزيز سوريال، تاريخ الكنيسة الشرقية، ١٥٠..

(١٦) زيدان، يوسف، (نقلاً عن رأفت عبد الحميد : الفكر المصري في العصر المسيحي (مكتبة الأسرة مصر) ٩٧)، ١١٣..

(١٧) www.st-takla.org/saiants/coptic-orthodox

(١٨) لوقيانوس_ الأنطاكي /orthodoxwiki.org.

(١٩) www.st-takla.org/saiants/coptic-orthodox.

(٢٠) Arab Antiochian Orthodox Network الشبكة الأرثوذكسية العربية الأنطاكية، 2006 – /2010..

(٢١) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٢، ٧٢..

coptic-books.blogspot.com

(٢٢) موسوعة تاريخ أقباط مصر. تحت عنوان هرطقة أبوليناريوس..

(٢٣) الخضري. حنا. تاريخ الفكر المسيحي. ج٢. ٧٣..

(٢٤) دراسات في آباء الكنيسة. أحد رهبان برية القديس مقاريوس. ٤٠٧ و ٤٠٨..

(٢٥) الخضري. حنا. تاريخ الفكر المسيحي. ج٢. ٧٣.

(٢٦) المرجع السابق. ٧٣ و ٧٤.

(٢٧) موسوعة تاريخ الأقباط. تحت عنوان مدرسة أنطاكية ومنشأ الفكر النسطوري..

(٢٨) موسوعة تاريخ أقباط مصر. المرجع السابق..

(٢٩) الخضري. حنا. تاريخ الفكر المسيحي. ج٢. ٩٠ – ٩٨..

(٣٠) المرجع السابق. ١٠٠..

(٣١) J. Quasten: Patrology, vol. 3, p. 401-42 موسوعة تاريخ أقباط مصر.

(٣٢) تاريخ أقباط مصر. المرجع السابق..

(٣٣) زيّارة. جوزيف. الأب. جمعية التعليم المسيحي. يوحنا الذهبي الفم. حياته وكتاباته.

(٣٤) نافذة على ما يجري في الكنائس الأرثوذكسية. احتفال الكنائس الأرثوذكسية بمرور ١٦٠٠ عام على نياحة القديس يوحنا ذهبي الفم. دير الأنبا مقار. مجلة مرقص..

(٣٥) آشجي. بسام. جمعية التعليم المسيحي. القديس يوحنا ذهبي الفم حياته وكتاباته..

coptic-books.blogspot.com

(٣٦) باسيليوس الكبير، أحد الأباء الكبادوكيين (قيصرية الكبادوك تقع الآن في أواسط تركيا، والتي تغطي ما يقرب من عشرة محافظات تركية الحالية، ويقال إن مسيحيي الكبادوك قديمًا هم أحد كنائس المقاطعات في الشتات التي في بطرس الأولى، لم يعد اسم كابادوكيا موجود على الخريطة اليوم)، ورغم أنه كان من أسرة غنية، إلا أنه عاش ناسكًا نشيطًا، ونموذجًا للعمل الاجتماعي، فقد تغلب باسيليوس على الظروف السيئة التي كانت تحيط به وبخدمته، فأسس مستشفيات في معظم مدن أبريشياته الواسعة، وقد كان مستشفى قيصرية الكبادوك الذي أنشأه القديس باسيليوس ضخمة جدًا لدرجة أن حاكم المدينة (وقد كان بخيلاً) كان يسخر منه». دراسات في الآباء، ٤٢٩.».شكّل فيما بعد باسيليوس، مع صديقه غريغوريوس النزينزي وأخيه غريغوريوس النيصي تيّارًا فكريًا لاهوتيًا جمع بين مدرسة أنطاكيّة الأرسطيّة ومدرسة الإسكندريّة الأفلاطونيّة (بسام آشجي)..

(٣٧) دراسات في آباء الكنيسة، أحد رهبان برية قديس أنبا مقار، ٤٠٨..

(٣٨) زنّارة، جوزيف، يوحنا ذهبي الفم حياته وكتاباته، جمعية التعليم المسيحية بحلب.

(٣٩) آشجي، بسام، أباء الكنيسة الشرقية، أباء سورية.

(٤٠) موسوعة تاريخ أقباط مصر، تاريخ حياة القديس يوحنا ذهبي الفم.

(٤١) يازجي، بولس، د. ، متروبوليت حلب والإسكندرون وتوابعهما، دراسة عن يوحنا ذهبي الفم وأنطاكية، في احتفالية مرور ١٦٠٠ -www.aleppor thodox.org.، دير راهبات البشارة ، حلب) عام على نياحة القديس ذهبي الفم (ترجمة عن الأصل اليوناني).

(٤٢) دراسات في آباء الكنيسة، أحد رهبان برية القديس مقاريوس، ٤٠٩ و٤١٠.

(٤٣) زنّارة، جوزيف، الأب، يوحنا ذهبي الفم، حياته وكتاباته، مرجع سابق.

coptic-books.blogspot.com

(٤٤) آشجي، بسام، مرجع سابق..

(٤٥) زيارة، المرجع السابق..

(٤٦) «الإخوة الطوال» أطلق عليهم هذا اللقب لما اتسموا به من طول فارع غير عادي، وكان أمونيوس أكبر إخوته سنًا مشكلة الإخوة الطوال كانت منطقة نتريا. «نتريا هى من أحد المناطق الموجودة فى وادى النطرون المناطق، وهم نتريا ـ القلالى ـ شهيت) ملتهبة بسبب «مشكلة الأوريجانية»، فقد رأى بعض الرهبان أن أوريجانوس قد أغنى المؤمنين بالفكر الروحي الذي يلهب فيهم روح التأمل، فعشق هؤلاء كتاباته وتحمسوا له، بينما رأى آخرون أنه قد أفسد بمنهجه الفكر الرهباني، فنزع عن الرهبان بساطتهم وشغلهم بأفكار عقلية عن التداريب الروحية التي تمس الحياة النسكية، هذا بجانب ما حمله أتباع أوريجانوس من أخطاء عقيدية أدت إلى حرمانهم وحرق كل كتب أوريجانوس. كان الإخوة الطوال متحمسين لأوريجانوس، الأمر الذي بسببه ضايقهم البابا ثاوفيلوس حتى طرد الأنبا ديسقوروس (أسقف المنيا) من إيبارشيته ومعه اخوته، فهربوا إلى فلسطين ومعهم مجموعة من الرهبان يقدرون بثمانين راهبًا، ووجدوا في قلب الأسقف يوحنا قلبًا مفتوحًا. كتب البابا ثاوفيلوس خطابًا مجمعيًا إلى ١٧ أسقفًا بفلسطين و١٥ أسقفًا بقبرص، يعلن فيها بوضوح موقف هؤلاء الرهبان وأخطاء كتابات أوريجينوس العقيدية. أُعجب القديس جيروم بموقف البابا ثاوفيلوس الحازم، بينما بعث أساقفة فلسطين للبابا رسالة يوضحون فيها أن ما جاء في رسالته عن أخطاء أوريجانوس، لا يقبلونها حتمًا وأنه لا وجود لها في فلسطين. إذ كان البابا ثاوفيلوس يلاحق الإخوة طوال القامة أينما حلوا لم يجدوا راحة فانطلقوا من بلد إلى بلد ومن أسقف إلى أسقف، وأخيرًا اضطروا إلى الالتجاء إلى القديس يوحنا الذهبي الفم بالقسطنطينية، أوائل عام ٤٠٢م. وإذ كان ذهبي الفم يعشق الحياة الرهبانية، ويحب رهبان مصر على وجه

coptic-books.blogspot.com

الخصوص أرسل إلى البابا ثاوفيلوس يطلب منه الصفح عن الإخوة طوال القامة، مدافعًا عنهم وعن العلاَّمة أوريجانوس، فأثار غضب البابا بدلاً من رضاه، خاصة وأنه عرف أن البطريرك قد سمح لهم بالشركة في العبادة العامة، فأرسل إليه رسالةً مملوءة جفاءً وتعنيفًا، واتهمه بتحريض الرهبان للتمرد عليه. كان لهذه المشكلة أثرها في محاكمة القديس يوحنا الذهبي الفم ونفيه. (كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي تحت عنوان أمنيوس، ويوحنا ذهبي الفم).

(٤٧) لورير، جون، تاريخ الكنيسة الجزء الثالث، القاهرة، دار الثقافة، ١٨،١٩٨٨ و١٨٤. www.bakhdida.com القديس يوحنا ذهبي الفم.

(٤٨) سفر، بولس المطران، احتفالية القديس يوحنا ذهبي الفم، يوحنا ذهبي الفم وشهاداته اليوم..

(٤٩) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٢،١٥٣.

(٥٠) بوتشر، أديث، لويزا، تاريخ الكنيسة المصرية، ترجمة ميخائيل مكسي، القاهرة: مكتبة المحبة، ٢٠٠٤م، ٧٣..

(٥١) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٢، ١٥٥. www.ankawa.com الشماس، نسطوريوسس ايشو، جورج.

(٥٢) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٢، ١٥٧و ١٥٨. www.ankawa.com الشماس، نسطوريوس ايشو، جورج.

(٥٣) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٢، ٣١..

(٥٤) س إشو، جورج، الشماس، نسطوريوس، مرجع سابق..

(٥٥) أسس هذه الجماعة بيلاجوس وهو من أصل أيرلندي ظهر في روما نحو سنة ٤٠٠م، عاش عيشة النسك والهدوء والتقوى وكانت حياته مثالاً يحتذى

coptic-books.blogspot.com

به في الترتيب وضبط النفس. آمن بيلاجيوس بأن الطبيعة البشرية يمكنها أن تبلغ ذورة الكمال لو أنها شاءت ذلك، ومارست إرادتها الحرة في سبيله. وهو يذهب إلى أن آدم أخطأ ولكن خطيته تخصه وحده فهي لم تنقل للجنس البشري من بعده، وكل إنسان مسئول مسئولية كاملة عن أفعاله. فهو لا يضع مكانة لصلب المسيح في الخلاص، ويهون من النعمة الإلهية في مغفرة الخطايا.

(٥٦) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٣، ١٥٩.

(٥٧) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي،ج٣، ١٥٩..

(٥٨) س إشو، جورج، مرجع سابق..

(٥٩) Dentta 77 ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تحت عنوان.

(٦٠) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي،، ج٢، ١٥٩..

(٦١) المرجع السابق، ٢٠٨ و ٢٢٧ و ٢٢٩.

(٦٢) ويكبيديا، الموسوعة الحرة، نسطوريوس..

(٦٣) بيشوي، الأنبا، كتاب وثائقي عن كنيسة المشرق الآشورية النسطورية، تاريخها وحاضرها، وعقائدها، ٧٥..

(٦٤) النساطرة هم:الآشوريون الآن والكلدان المتفرعون منهم..

(٦٥) المسيحية عبر تاريخها في المشرق، ٢٣٧..

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل الخامس

العلاقة بين مدرسة الإسكندرية ومدرسة أنطاكية

منهج الإسكندرية ومنهج أنطاكية

اللاهوت الشرقي

اللاهوت الصوفي

خلفيات حددت العلاقة بين كنيسة إسكندريّة وأنطاكية

آريوس

أبوليناريوس

علاقة أبوليناريوس بالقديس أثناسيوس

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

العلاقة بين مدرسة الإسكندرية ومدرسة أنطاكية

يؤكد دارسو التاريخ أن علاقة الإسكندرية بأنطاكية كان يغلب عليها طابع التعاون والتنسيق الروحي والإداري ووحدة الفكر والاتجاه حتى القرن الرابع الميلادي. خلال تلك القرون تزعمت الإسكندرية الفكر المسيحي مدة من الزمن ثم شاطرتها أنطاكية في هذه الزعامة، وكان لكل كنيسة منهجها الفكري في التعليم المسيحي ولكل منها اصطلاحاتها في التعبير، وكثيرًا ما خالف الاصطلاح التعبيري في إحدى المدرستين في تأدية المعنى الواحد[١]. وقد سبق في دراستنا لحياة القديس أثناسيوس الرسولي ووجدنا أنه كان يربط كنيسة الإسكندرية رباط الإخوّة في الإيمان مع كنيسة أنطاكية. وكانت العلاقات بينهما في قمة ازدهارها في أيامه[٢].

ولكي نتعرف أكثر على أحداث العلاقة بين الكنيستين علينا أن نتعرف على اللاهوت الذي شكل حياة رواد كنيسة الإسكندرية، وصاغ طريقة تفكيرهم الروحي، وأيضًا كنيسة أنطاكية قادتها ومنهجها. فكما رأينا من دراسة قادة مدرسة الإسكندرية فقد كان منهج الإسكندرية باتجاهها الفلسفي والتفسير المجازي «الرمزيّ» لدراسة الكتاب المقدس، من ناحية[٣] والنظرة الصوفية من ناحية أخرى[٤]. فكان تفكير لاهوتيي مدرسة الإسكندرية متركزًا بالأكثر على لاهوت المسيح مع توكيد حقيقة الاتحاد بين لاهوت المسيح اتحادًا تامًا. وقد عرفوا هذا الاتحاد بأنه اتحاد سرى ولا يمكن إدراكه.

coptic-books.blogspot.com

فالطابع العام الذي أصبح يميز الاتجاه الفكري في الإسكندرية ومدرستها هو النظرة الصوفية. أما منهج مدرسة أنطاكية فهو التفسير التاريخيّ الواقعيّ. فقد اتجهت المدرسة ناحية التحليل للفصول الكتابية مستعينة بعلم اللغة والقواعد والتاريخ الذي كان اتجاهًا عقليًا ومنطقيًا[٥]. وبذلك انطلق تفكيرها من يسوع التاريخيّ، معبرة في ذلك عن لاهوت التجسّد.

إن الاختلاف في طريقة التعبير عن الإيمان، أو اختلاف منهجية تفكير كل مدرسة، لا يعني اختلافهما في موضوع الإيمان أوجوهره. فالإيمان واحد والمفاهيم واحدة، لكن مُعبّر عنها بشكلين مختلفين. فالمدرستان كانتا متفقتان على إقرار إيمانهما: أن المسيح إله كاما، وإنسان كامل أيضًا.

إذًا ما هو منهج كل مدرسة حتى ندرك سر الاختلاف؟

منهج الإسكندرية ومنهج أنطاكية

المنهج هو طريقة التفكير والبحث المنظم في مجالات الحياة والفكر والإيمان (العقيدة). ولأن دراستنا تختص بمنهج مدارس لاهوتية - مدرسة الإسكندرية وأنطاكية فإننا سنتناول جذور طريقة التفكير اللاهوتي التي كانت لكل مدرسة مع شرح البيئة والمحيط الذي شكّل عقلية ومنهجية كل مدرسة. كلمة لاهوت هي الكلمة اليونانيةثيولوجيا Θεολογια وهي تتكون من مقطعين Θεοσ و λογια الأولى وهي الله والثانية الكلام. فتأتي بمعنى الكلام عن الله. وهناك فرق بين مفهوم الثيولوجيا في المفهوم المسيحي، ومفهوم الثيولوجيا في الفلسفة.فالثيولوجيا في الفكر الوثني هو الحديث عن الكون وشئون الحياة في إطار الأساطير وخرافات الحوريات

coptic-books.blogspot.com

(Nymphs). أما اللاهوت في المسيحية ليس القصص الشعبية، إنما الإعلان عن الله الذي يقدمه الله.

عندما تخطت البشرية مرحلة الأساطير واتجهت جهود العقل الإنساني إلى البحث الموضوعي العقلي، ظهرت المدارس الفلسفية في الشرق. وكانت بداية دور العقل في التمييز الذي بدأه أرسطو بين ما كتبه الشعراء الوثنيون من أساطير وروايات عن العالم والإنسان وما يفكر فيه الفلاسفة. لذلك اعتبر أرسطو أن الفلاسفة «Philosophers» هم طبقة مميزة من اللاهوتيين، فهم دعاة لنظريات متكاملة عقلية لا علاقة لها مع الأساطير. أما الكلام عن الله فلم ينشأ في الفلسفة بشكل عقلي منظم قبل أفلاطون، فهو أول من استخدم كلمة ثيولوجيا، وأول من استخلص مبادئ سامية عن الله وعن الكون من الأساطير، وتقديم فكر متكامل عن الله وعن الكون، قائم على البحث العقلي في إطار فلسفي دقيق. ولكن نشوء التصوف على يد أفلوطين هو الذي حول البحث العقلي الفلسفي إلى بحث صوفي عقلاني. وقد استقر هذا التفكير الصوفي العقلاني في وجدان الكنيسة الشرقية، وهذا ما سوف نشرحه لاحقًا.

أما أرسطو فهو أول من فصل اللاهوت عن الفلسفة، وكانت الفلسفة هي المعرفة غير الحسية التي تؤدي إلى معرفة الله. وتطور هذا الفكر حتى زينون الرواقي ٣٣٤ ـ ٢٦٤ ق.م. الذي قسَّم موضوعات المعرفة أو الفلسفة إلى المنطق Logic وعلم الأخلاق Ethics، وعلوم الطبيعة Physics. ومن بعده فيلسوف يدعى كلينثيس Cleanthes قسَّم علوم الطبيعة إلى الطبيعة واللاهوت. أما الفلاسفة اليونان فقد أدخلوا الفصل بين الأخلاق واللاهوت.

coptic-books.blogspot.com

وطرح الفلاسفة اليونانيون برنامج البحث في إطار التراث اليوناني. وما استقر في الفلسفة من نظريات عن الله والكون والإنسان ساهمت بشكل واضح في تطور الوعي الديني.

وبانتشار الثقافة اليونانية في الحضارة الهلّينية انتشر أيضا الفكر المنطقي. الذي يبحث ويحلل ويلاحظ ويستنتج ويجرّد ليفهم معضلات الحياة بكل أبعادها وهذه هي الفلسفة. وقد استقر هذا التفكير في وجدان وعقل الكنيسة الغربية. والتي تضم مدرسة أنطاكية.

دخل إلى المسيحية كثير من الوثنيين الذين حملوا معهم ثقافة العصر والاتجاهات الوثنية السائدة. كان لهؤلاء رصيد ضخم من التفاسير عن الله والكون والإنسان ورثوها عن الفلسفة اليونانية. وبالذات الأفلاطونية الحديثة. كان فكر الأفلاطونية عن المادة قد ذاع وكان الوجود في الجسد هو علاقة سقوط الإنسان من العالم الروّحي الطاهر إلى عالم المادة الدنس. فكانت المادة أساسية في وجود الشر. عالم المادة هو عالم الشر. بينما عالم الروح هو عالم الصفاء والنقاء. وكان من الحتمي إزاء هذه الثنائية أن تظهر فكرة الخير عالم الروح. الشر عالم المادة.

إزاء هذا التقسيم كان من المنطقي البحث عن مصدر الشر ومصدر الخير. ولذلك اتجه خط التقسيم إلى الله نفسه حيث اعتبر هؤلاء المثقفون بأن هناك إلهًا للخير وآخر للشر. ولما كان هناك تفاوت واضح بين العهد القديم والعهد الجديد. حيث يمثل العهد الجديد كمال الإعلان الإلهي ويمثل العهد القديم البدايات. فكان من المنطقي أيضًا أن يتجه التقسيم إلى أن

coptic-books.blogspot.com

يكون العهد القديم وهو يتحدث عن خلق العالم (المادة) هو كتاب إله الشر الذي خلق العالم المادي المنظور الشرير. بينما يصبح العهد الجديد كتاب إله الخير الذي جاء بالحرية والانعتاق من سلطان المادة. ولما كان العهد الجديد يتحدث عن التجسد. بل ويشير إلى العهد القديم في أجزاء كثيرة فقد كان من الحتمي أيضًا أن يتم حذف هذه الأجزاء[٦].

دخلت إلى المسيحية جماعة الغنوسيين[٧] وقد التحفت الغنوسية بل واكتست بالفلسفة الأفلاطونية. فأصبح الخلاص عندها ليس هو الإيمان بل المعرفة.فالخلاص هو معرفة أسرار الكون وأسرار إله الشر والابتعاد عنها. وبفكرها هذا فقد رفضت كغيرها قبول اتحاد الأبدية مع الزمان. وعدم القدرة على الإيمان بتدخل الله المباشر في خلاص البشر. ومن هنا بفكرهم الفلسفي عزلوا الله عن التاريخ برفض تجسد المسيح. أي الله أخذ صورة بشر. ورفضوا الواقع الملموس في المسيح. بتروا التاريخ بترًا. والمقصود بالتاريخ هنا هو ربط النبوة بالحدث. (نبوات العهد القديم)وهو الربط الذي لا يتم في عقل الإنسان وفكره. بل في الواقع الحي. فالغنوسية تقدم مخلصًا بدون التجسد (المسيح). وأن الروح يمنح المعرفة عوضًا عن الدعوة للإيمان.

تدارك الآباء أن أهم ما يشكل البنية المسيحية هو الإعلان الإلهي المرحلي في العهد القديم. ثم الإعلان الكامل في العهد الجديد في يسوع المسيح. وأن الخلاص بالإيمان بشخص المسيح المتجسد وليس بالمعرفة. فاللاهوت المسيحي هو التأمل في أقوال الله كما جاءت في العهد القديم إلى أن جاء الله نفسه وتجسد في العهد الجديد. فأعلن بحضوره وبتجسده وبكلماته عن ذاته. فإعلان الله ليس للكون ولكن للإنسان. واستمر الآباء بالفكر والاختبار.

coptic-books.blogspot.com

اتخذت الكنيسة الشرقية [٨] من بيئتها الثقافية وتعبيراتها الفلسفية. لكن لم يكن مفهومها للثيولوجيا هو المفهوم الفلسفي للكلمة. والفرق يتضح في الفكر الشرقي فقد عمَدَت الكنيسة فكر أفلوطين الذي حوّل البحث العقلي الفلسفي إلى بحث صوفي عقلاني.

إذًا فاللاهوت الشرقي هو نتاج فكر شعوب القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية القديمة والتي آمنت بالمسيح يسوع. فعبّرت عن إيمانها المسيحي وما يتضمّن من عقائد مسيحية بحسب ثقافاتها المتنوعة وبأسلوبها المتميز.

اللاهوت الشرقي

إن مفهوم اللاهوت بالنسبة للآباء اليونان كأوريجانوس ويوحنا فم الذهب والآباء الكبادوك مثل باسيليوس وغريغوريوس النيصي وغريغوريوس النزينزي، لم يكن استنتاجًا عقلانيًا. بل لاهوت تأملي. رؤية مختبرة من قِبل قديسين. وتستمد هذه الرؤية من كلام الله المعلن في الكتاب المقدس. فاللاهوتي الحقيقي هو من رأى واختبر محتوى لاهوته. وهذا الاختبار ليس فقط عمل عقلي بل أيضا مشاعر وأحاسيس باتصال مع الواقع الإلهي «عيون الروح». ففي الشرق لا يوجد فرق واضح بين اللاهوت والصوفية. بين الإيمان العام والخبرة الشخصية. فالروحانية والعقائد الصوفية واللاهوت. غير منفصلة بل مرتبطة بحياة الكنيسة. والغاية النهائية هي الاتحاد مع الله أو التأله. فلاهوت الشرق هو لاهوت صوفي. ويستلزم هذا الفكر معرفة اللاهوت الصوفي.

coptic-books.blogspot.com

اللاهوت الصوفي

ظهر كتيب صغير لكنه ثمين القيمة بعنوان اللاهوت السري (Mystical Theology) لشخص يدعى ديونيسيوس الأريوباغي[٩]. هو شخص مجهول. قيل عنه إنه ديونيسيوس السكندري (القرن الثالث). وقيل إنه تلميذ بولس الرسول. هذا الكتيب هام جدًا ويعبر عن روح الكنيسة الشرقية وعن منهجها اللاهوتي. فديونسيوس يقدم اتجاهين متميزتين للاهوت الشرقي[١٠]. اتجاه إيجابي والآخر سلبي.

فالإيجابي، يؤكد ويعلن Cataphatic، أما السلبي يرفض Apophatic. الأول يقودنا إلى بعض المعارف عن الله. أما الثاني يوصلنا إلى الجهل الشامل. وهي الطريقة الوحيدة الملائمة لله غير الممكن معرفته بطبيعته. لأن المعرفة الإنسانية تتعامل مع الكائنات أي على مستوى الوجود المخلوق. وكل المعارف موضوعها ما هو موجود. أما الله فهو أسمى من كل ما هو موجود[١١].

إن الاتجاه الإيجابي يؤكد أن ما يعرفه الإنسان هو قليل وبلا قيمة ويحتاج دائمًا إلى أن يُراجَع. لأن الله فوق الإدراك. ولذلك لكي نقترب من الله علينا أن ننكر ما في فكرنا من صور عن الله ومن تشبيهات وخيالات ومحتويات تمنع عنا تصور الله بشكل واضح.

للاقتراب منه يجب نفي كل ما هو أدنى منه أي كل ما هو موجود حتى نقطة الوصول إلى الجهل، ومن خلال الجهل تُضيء معرفة مَن هو فوق كل المواضيع المعرفية المكنة. وهكذا تصبح المعرفة خبرة لقاء مع الإله

coptic-books.blogspot.com

الشخصي في الوحي. إن اللاهوت السلبي تصاعدي وهو طريق الاتحاد الصوفي مع الله، الذي لا يمكن معرفة طبيعته.

أما اللاهوت الإيجابي فهو تنازلي «رؤيوي» فيه يظهر لنا الله في خليقته. حيث ينزل الله إلينا من خلال قدراته وأعماله التي تظهره. ولقد كان الظهور الأكبر والأكمل لله في العالم في تجسد الكلمة[١٢].

إن هدف اللاهوت ليس المعرفة بل الوحدة مع الله (التأله). لذلك هذا اللاهوت لا يمكن أن يكون أبدًا لاهوتا محددًا بتعابير مجردة، بل بالأحرى لاهوت تأملي، يرفع الأرواح نحو حقائق تتعدى الفهم. وحتى عقائد الكنيسة التي تبدو غالبا للعقل البشري تحت أشكال تحديدية رسمية لا تستطيع شرح كل مضمون السر. لكن الغاية منها ليس توضيح العقائد بشكل عقلي، لكن أن نغير أنفسنا. حتى نستطيع الوصول لتأمل الحقائق المكشوفة لنا، ونرتفع لله، متحدين معه كل بحسب مقاسه[١٣].

فطريقة التفكير عند الكنيسة الشرقية لا تتلاقى مع منطق التفكير عند مدرسة أنطاكية المدرسة الغربية، حيث الفكر المنطقي الذي يبحث ويحلل ويلاحظ ويستنتج ويجرّد ليفهم معضلات الحياة بكل أبعادها، والتي لم تستطع مدرسة أنطاكية أن تخلق لنفسها منهجًا غير منهج الفلسفة. ولم تستطع أن تدخل إلا من أبواب البحث الفلسفي: في الإله، في الأخلاق، في الروح وفي المعرفة... إلخ. وهذه الأبواب، هي التي تبحث في ما يكوّن البعد الروحي، وتفرز القِيَم[١٤].

coptic-books.blogspot.com

خلفيات حددت العلاقة بين كنيستي إسكندرية وأنطاكية:

منذ القرن الميلادي الأول والكنيسة تواجه تيارات كثيرة وعنيفة تمس إيمانها، وخاصة في موضوع إيمانها الذي تعلنه كل أسفار العهد الجديد أن يسوع الإنسان، هو ابن الله وكلمة الله الكائن منذ الأزل. رغم أن الكنيسة قد آمنت بالمسيح كرب وسيد على الحياة، الله الذي اقترب إلى البشر وعاش بينهم، وتدخل بصورة واقعية وملموسة لحياتهم. فيسوع عند الكنيسة هو إله وإنسان في آن واحد. لكن واجهت الكنيسة ضرورة معرفة والإحاطة بسر يسوع المسيح الإنسان والإله وتحديد أبعاد إنسانيته وألوهيته، وكيف اتحد الإنسان الإله في شخص واحد. هذا هو السؤال الذي احتارت فيه العقول، وقد حاول آباء الكنيسة تقديم إجابات في فهم سر التجسد الإلهي «..السِّرِّ الَّذِي كَانَ مَكْتُومًا فِي الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَلكِنْ ظَهَرَ الآنَ» (رو ١٦: ٢٥، ٢٦). فكتبوا مقالات كثيرة وعلموا في جميع كنائس الشرق والغرب، وتبين للبعض أن تعاليم البعض الآخر حول المسيح يسوع قد حادت عن الإيمان القويم فاتُهموا بالهرطقة. وقد انحرف البعض عن المسار الصحيح، وسقط كثير من عمالقة الفكر، رغم إخلاصهم، وغيرتهم الروحية، وخان بعضًا منهم التعبير في فهمهم لهذا السر، وعجزوا عن استيعاب أبعاد تداخل الأبدية مع الزمان، واتحاد الإنسان مع الله. ولحسم الموقف وإعلان إيمان الكنيسة القويم من خلال فقد مجامع مسكونية. ولكي تحدد الكنيسة عقيدتها أدخلت في العقائد الإيمانية ألفاظا فلسفية استقتها من الفلسفة اليونانية التي سادت العصر في ذلك الوقت[١٥].

إلا أن الاتجاهات الفكرية والتيارات الفلسفية والخلافات حول شرح الألفاظ والمفاهيم الفلسفية اليونانية - أفلوطين، أرسطو - كانت سببًا في معظم

coptic-books.blogspot.com

الخلافات في فهم مفردات الفلسفة اليونانيّة التي تعبر عن طبيعة المسيح أو مفهوم الأقنوم. فكل مدرسة كان لها مفرداتها التي عبرت من خلالها عن إيمانها بالمسيح، وعن طبيعته. إلا أن الأمر الواضح والثابت هو أن المدرستين كانتا متفقتين على إقرار إيمان واحد وأساسي وهو: أن المسيح إله كامل، وإنسان كامل أيضًا. أما الاختلاف فكان في طريقة التعبير عن هذا الإيمان.

وهكذا فإن قادة المدرستين علّموا تعليمًا مستقيمًا ولكن بمناهج مختلفة وبانتقاء عبارات معينة قضت باستعمالها ظروفهم الخصوصية. فالمصريون الإسكندريون انتقوا العبارات التي أوضحت كمال اللاهوت حذرًا من بدعة آريوس. كما سبق وذكرنا أن تفكير لاهوتيى مدرسة الإسكندرية كان متركزًا بالأكثـــر في لاهوت المسيح مع توكيد حقيقة الاتحاد بين لاهوت المسيح اتحادًا تامًا.وقد عرفوا هذا الاتحاد بأنه اتحاد سرى ولا يمكن إدراكـــــه. وبعضهم نظر إلى الطبيعة الإلهية بنوع خصوصي فقال الكلمة الذي صار جسدًا وما عنى بذلك سوى الاتحاد الحقيقي بين لاهوت الكلمة وناسوته وأن الإله المتأنس شخص واحد وليس اثنين لأن كلمة طبيعة عندهم بمعنى الشخص والأقنوم. ولكن أحدًا من لاهوتيي كنيسة الإسكندرية لم ينكر الطبيعتين بمعنى الجوهر اللاهوتي والعنصر البشري(١٦).

ونظرًا لامتداد بدعة آريوس ووجوب محاربتها كان كلام الإسكندريين في لاهوت المخلص أكثر من كلامهم في ناسوته. وهكذا فإنهم سموا مريم والدة الإله وقالوا إنها ولدت الكلمة المتجسد. وأنه تألم وصُلب - ويعرف العامة في مصر أن الإله لا يتألم ولا يموت كما أن الروح الإنسانية لا تتألم ولا تموت لأنها نفخة من الرب القدير.

coptic-books.blogspot.com

والأنطاكيون طلبوا إيضاح كمال الناسوت حذرًا من بدعة أبوليناريوس[١٧].
توخت مدرسة أنطاكية البساطة والإيضاح فميزت بين اللاهوت والناسوت في شخص المسيح الواحد. ومع أنها كانت تؤمن بأن المسيح واحد وليس اثنين فإنها كانت ترفض التعليم بالاتحاد الطبيعي وبالمزج بين الطبيعتين. حفظًا لكمال الطبيعة البشرية. التي زعم أبوليناريوس أنها كانت ناقصة. وكانت تنكر على الناسوت خواص اللاهوت. كالحضور في كل مكان والقدرة على كل شيء وما شاكل ذلك. كما أنها أنكرت على اللاهوت سمات الناسوت[١٨].

وليس بغريب في ذلك إن عرفنا أن المبتدع الأول نشر وعلّم بدعته في الإسكندرية أولًا. والمبتدع الثاني نشر وعلّم بدعته في أنطاكية أولًا. وكلاهما كانا قد استقيا تعليمهما وفكرهما من مدرسة أنطاكية المدرسة التي تنتمي إلى المدرسة الغربية.

من البداية كانت السمة العامة التي تتميز بها الكنائس الشرقية هي الوحدة كما سبقت الإشارة. ونؤكد مرارًا وتكرارًا لهذه الحقيقة دون ملل أو كلل. وهي أن الكنيسة عاشت بالفعل - أقصد الكنيسة وليس الكنائس - ردحًا من الزمان تحافظ على وحدتها لتبقى أمينة لوديعة الإيمان في مواجهة الانحرافات والهرطقات. ولكن هذه الوحدة[١٩] لا تنفي التعدد. والتعدد لا ينفي الوحدة. بل بالعكس بدون التعدد لا يمكن أن يكون هناك وحدة.

وكان الدليل على هذا أنها استمرت متحدة حتى مجمع أفسس الأول عام ٤٣١م الذي انقسمت فيه الكنيسة. أما قبل هذا التاريخ فقد توحدت

coptic-books.blogspot.com

الكنيسة في مواجهة الهراطقة، مثل آريوس، وأبوليناريوس.... وكثيرين الذين سوف نتعرض لحياتهم واتجاهاتهم التعليمية لاحقًا.وسجل لنا تاريخ الكنيسة، من أروع الأحداث التي تعزز فكرة وحدة الكنيسة في مواجهة آريوس.اجتمع ٣١٨ أسقفًا في نيقية وهو المؤتمر الأول في عام ٣٢٥م، أراد آباء الكنيسة أن يسطروا بعبارات واضحة عقيدة الكنيسة، لتكون دستورًا للمسيحيين لكل الأجيال، فاختاروا لمن يكتب الصيغة ثلاثة وهم الأنبا ألكسندروس، بابا الإسكندرية التاسع عشر، وشماسه أثناسيوس عن الكنيسة المصرية، وليونتيوس أسقف قيصرية الكبادوك، وثق بهم المجمع وأقروا ما كتبوه بالإجماع، وهو قانون الإيمان الأثناسيوسي [٢٠].

آريوس

وُلد آريوس في ليبيا القيروان سنة ٢٥٦م، وكان [٢١] معلمًا وقسيسًا فقد درس اللاهوت في مدرسة أنطاكية على يد المعلم لوقيانوس مؤسس المدرسة، ثم جاء إلى مدينة الإسكندرية وسيم كاهنًا نحو عام ٣١٠ م، وراعيًا لكنيسة بوكاليس [٢٢]، وقد عُرف عن آريوس أنه معلم قدير، وواعظ مفوه، وزاهد متقشف. وبسبب تعاليمه [٢٣] المنحرفة حَرَمه مجمع محلي عُقد بالإسكندرية سنة ٣٢٠م. برئاسة الإسكندر أسقف الإسكندرية، فالتجأ إلى نيقوميدية حيث كان أسقفًا، وكان صديقًا ليوسابيوس المؤرخ. كان فكر آريوس [٢٤] فلسفيًا لاهوتيًا عقلانيًا، ولم تكن فكرته عن المسيح من بنات أفكاره ولكنها كانت في الأصل قد نقلها عن يهودي متنصر اسمه فيلو اليهودي في نظريته عن اللوجوس (الكلمة)، ومن الفكر الوثني القادم من

coptic-books.blogspot.com

أفلوطين في «النوس» ومزج هاتين النظريتين وألبسهما صبغة مسيحية، ودعم فكره بنصوص من الكتاب المقدس. علم آريوس أن الكلمة (اللوجوس) لم يكن منذ الأزل، فقد خلقه[٢٥] الله من العدم، كما أنه لم يكن من طبيعة الله. كان آريوس يرى أن الله لا يمكنه أن يتصل بشكل مباشر بالمخلوقات، ولذلك خلق عدة كائنات متوسطة أي الهية يمكنها أن تقوم بخلق العالم[٢٦].

يمكن تلخيص تعاليم آريوس[٢٧] في النقاط التالية:

- إن الله واحد أحد، أزلي غير مولود، وكل ما سواه من الكائنات مخلوق من العدم بإرادته الحرة.
- إن الكلمة كائن وسط بين الله والخلائق، فالله قد خلقه من العدم قبل سائر الخلائق، ثم أعطاه أن يخلق جميع المخلوقات؛ لذلك نستطيع أن ندعوه إلهًا، فهو إله ثانٍ أدنى من الله، وهذا المفهوم استقاه من الفلسفة الأفلاطونية.
- كذلك نستطيع أن ندعو الكلمة «ابن الله» أو «مولودًا من الله» إلا أن تلك النبوة الإلهية ليست في الواقع إلا تبنّيًا. فالكلمة ليس من جوهر الله، إنما تبنّاه الله، إنما تبناه الله منذ خلقه، استباقًا لاستحقاقاته. وفكرة التبنّي هذه أخذها من هرطوقي يدعى بولس السميساطي.
- إن الكلمة، بما أنه مخلوق، فهو معّرض من طبيعته للخطية، لكنه في الواقع استطاع أن يحيا حياة قداسة وكمال ولم يسقط قط في الخطية. فهو أدنى من الله، ولكنه أقدس جميع الخلائق، ولا يمكن أن يُخلق كائن أعلى منه.

coptic-books.blogspot.com

- إن الروح القدس هو الخالق للكلمة، وهو أيضًا ليس من جوهر الله.
- تصدت الكنيسة الشرقية (إسكندرية وأنطاكية) لهرطقة آريوس، في مجمع نيقية عام ٣٢٥م. فعُليًا كانت الكنيسة تواجه أصعب الفترات في حياتها، مع اختلاف اللغة التي كانت بين الكنيسة الشرقية التي تجيد اليونانية، والكنيسة الغربية التي تجيد اللاتينية.

فاجتهدت الكنيسة - كما سبق الإشارة أنها كانت كنيسة واحدة - على أن تحافظ على توازن صعب بين الوحدة والتعددية، لأنها فهمت أن الوحدة بلا تعددية جمود في الفكر وإفلاس في القدرة على رؤية متغيرات وتحديات الحياة، وأن التعددية بلا وحدة شطط وانحراف وبدع وهرطقة.

ويؤكد هذه الحالة التي كانت عليها الكنيسة في الشرق والغرب، أحد رهبان دير الأنبا مقار الذي كتب يقول: «وقد كانت الكنائس في الأقاليم المتعددة للإمبراطورية الرومانية في العالم تتعدد وتتميز بعضها عن البعض، كما يتعدد الأفراد ويتميزون بعضهم عن بعض، ولكن المسيحية في كل الكنائس كانت متحدة في جوهر إيمانها الكامل الصحيح بلا أدنى انقسام. وكانت هناك رعية واحدة للمسيح حقًا، ولكن كانت هناك حظائر مختلفة . فالمسيحيون في مصر لم يكونوا تمامًا متشابهين - في التعبير عن لاهوتهم - مع المسيحيين في أفسس، ولا المسيحيون في أفسس كانوا متشابهين تمامًا في التعبير عن إيمانهم مع المسيحيين في روما... وهكذا»[٢٨]

ولكن للأسف لم يدم هذا التوازن طويلًا، بعد آريوس حتى نشبت الخلافات العقائدية، ولم يكن السبب الرئيسي في خلافاتها لاهوتية أو عقائدية

coptic-books.blogspot.com

فقط، بل كانت خلافات لغويّة وثقافيّة، فلسفية وحضارية وسياسية واجتماعية[٢٩].

فرغم توحد الكنيسة في مجمع نيقية في مواجهة الآريوسية، إلا أن المجمع لم ينجح في حسم الخلافات، فنجم عن نيقية شقاق أكثر مما نجم عنه من رأب الصدع. لم يسكت أتباع آريوس، فكان التحدي على الكنيسة أعظم مما كان. من ذلك الحين انشغل العالم المسيحي بعلاقة الناسوت باللاهوت، وكان التخوف من التعليم بأن المسيح إنسان كسائر البشر حلت عليه حكمة الله بصورة لم يعرفها رسول أو نبي آخر، وأنه ليس إلهًا إذ لا يوجد إلى جانب الله إله آخر.

وفبعد أن توحدت الكنيسة في مواجهة آريوس والآريوسيين،توحدت الكنيسة أيضًا في مواجهة هرطقة جديدة، وقع فيها أسقف يدعى أبوليناريوس، وهو من أصل مصري. كانت تربط بينه وبين القديس أثناسيوس صداقة عميقة واحترام، وكان متحمسًا ومؤيدًا له في الدفاع عن قانون إيمان وقرارات المجمع النيقوي. ولأنه كان من المتمسكين بقانون إيمان نيقية وقراراته، اختير أسقفًا لكنيسة لاودكية. كان يعلِّم بحماس بمساواة الابن للآب في الجوهر والأزلية، ولكن في شدة دفاعه ضد الآريوسية، شدد على لاهوت السيد المسيح متجاهلًا بشريته. فعلَّم بأن الكلمة ابن الله الموجود منذ الأزل، والمساو للآب في الأبدية والجوهر، حل في جسد بدون روح بشرية. كان أبوليناريوس يريد إثبات حقيقة أن الكلمة «اللوجوس» هو أزلي من ذات جوهر الآب. وفي تشديده على لاهوت المسيح وطهارته وقداسته، وأنه لا يوجد أي صراع بينهما، علَّم بأن الجسد لا توجد به روح بشرية، وأن الكلمة حل محل

coptic-books.blogspot.com

الروح البشرية في هذا الجسد. لقد نادى أبوليناريوس بدمج وخلط اللاهوت بالناسوت. بأنه لا يوجد في المسيح إلا طبيعة واحدة.

أبوليناريوس

يعتقد البعض أن أبوليناريوس وُلد حوالي سنة ٣١٠م. والبعض الآخر يعتقد أنه وُلد في سنة ما من العشر سنوات الأولى من القرن الرابع. نشأ وتربى في عائلة مثقفة جدًا. وكان اسم أبيه أبوليناريوس أيضًا وهو من أصل مصري. كان ناظرًا لمدرسة بيرتيوس Berytus (بيروت الآن). وكان يدّرس علم الخطابة ومنها انتقل إلى لاودكية حيث ولد ابنه أبوليناريوس. وكان الأب أبوليناريوس كاهنًا لمدينة لاودوكية (اللاذقيَّة) [٣٠].

كان صديقًا لأثناسيوس الرسولي - وذلك لدفاعه عن المسيحية وولائه لدستور إيمان نيقية. وقد كانت روابط الصداقة والاحترام بين الرجلين قوية وعميقة لدرجة أن أبوليناريوس كان يقدم أثناسيوس معجبًا وفخورًا به كمعلمه. قام بتأسيس مدرسة تفسير في أنطاكية.وقد استطاع أن يجذب الكثيرين بسبب تمكنه من الفلسفة والتفسير. وممارسة حياة التقوى والزهد والتقشف [٣١].

وساعد أبوليناريوس والده في تأليف بعض الكتب للرد على يوليانوس الجاحد وأريوس الهرطوقي وغيرهما. وكان أبوليناريوس من أشد المقاومين للآريوسية [٣٢].

أُختير أبوليناريوس الابن أسقفًا لمدينة اللاذقية ٣٧٠م. من الحزب

coptic-books.blogspot.com

الأرثوذكسي المؤيد لقرارات مجمع نيقية. اشتهر في النصف الثاني من القرن الرابع وكان ذا مكانة مرموقة بين لاهوتيي عصره. يقال أن جيروم قد تتلمذ على يديه. وقد مات أثناء حكم الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير (٣٧٩ – ٣٩٥م). كما يعرفنا جيروم[٣٣].

ويمكن تلخيص تعاليم أبوليناريوس كالآتي:

رغم أن أبوليناريوس كان رجلًا تقيًا وعالمًا. لا بل إنه كان يتألم للانقسام والانشقاق الذي مزق الكنيسة العامة وجعلها أحزابًا. وكان من المحافظين. فقد قاوم الأسقف أبوليناريوس تعاليم آريوس. الذي علم بأن اللوجوس - الكلمة - لم يكن منذ الأزل. بل وُجد في وقت معين. كما أنه لم يكن من طبيعة الله.فهو يؤمن ويعلم بأن ابن الله أو الكلمة مساوٍ للآب في الجوهر[٣٤]. كان أبوليناريوس يريد إثبات حقيقة أن الكلمة «اللوجوس» هو أزلي من ذات جوهر الآب. وبهذا حاول أن يهدم تعاليم آريوس وفي تشدده على لاهوت المسيح. وطهارته. وقداسته. فقد انخرط في هرطقة جديدة. وهي إنكار روح بشرية في المسيح. بمعنى أن الكلمة حل محل الروح البشرية في المسيح. وبالتالي أن ناسوت المسيح غير كامل.فخلط اللاهوت بالناسوت غير الكامل. ولم يعترف إلا بوجود طبيعة واحدة في المسيح[٣٥].

لقد وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه الغنوسيون والآريوسيون وهو رفض أن يكون المسيح له روح بشرية.فهو يؤمن أنه من الضروري أن يجرد المسيح من روح بشرية عاقلة. وذلك لأنه لو كان للمسيح روح بشرية مثل كل البشر لما كان له أن يصل إلى القداسة الكاملة. لأن الخطية عالقة

coptic-books.blogspot.com

بالروح البشرية[٣٦]. أليس هذا ما أنتجته الفلسفة التي قسمت المادة إلى شر والروح إلى خير؟!

فإن أبوليناريوس يعتقد أن عملية التجسد قد تمت عندما اتحد ابن الله أو اللوجوس بطبيعة بشرية لتكوين وحدة أساسية التي عن طريقها وبها تكون الكائن البشري، وبعد هذا الاتحاد أصبح الإنسان المكون أو المركب إنسانًا سماويًا[٣٧].

ويمكن أن نلخص تعاليم أبوليناريوس كالآتي:

- عدم وجود روح بشرية في المسيح، لأن الروح تتمتع بإرادة حرة، وبناء على هذا فإنه من المستحيل جمع إرادتين، إرادة الإنسان الكامل التكوين من روح ونفس وجسد، وإرادة اللوجس الساكن فيه.
- أن السيد المسيح ليس إنسانًا كاملًا لكنه مجرد جسد فقط لاغير، وسكن فيه اللوجس.
- الفداء الذي صنعه السيد المسيح ليس كاملًا، على غير ما نؤمن به، وما شرحه الآباء، فعلى حد تعبير القديس أثناسيوس بأن السيد المسيح لم يُخلّص من الإنسان إلاَّ بمقدار ما أخذ من الإنسان، فلو أخذ جسدًا بدون نفس بشرية فهو يخلص أجسادنا دون أرواحنا، وعلى حد تعبير القديس غريغوريوس النزينزي «مالم يتحد به الرب عندما تجسد هو ما بقى بدون شفاء، أما ما اتحد بألوهيته فقد خلص» وبالتالي فإن فداء السيد المسيح يكون فداءًا ناقصًا وغير كامل[٣٨].

coptic-books.blogspot.com

علاقة أبوليناريوس بالقديس أثناسيوس

بسبب أن أبوليناريوس كان مدافعًا غيورًا ضد الأريوسيين فقد توطدت بينه وبين القديس أثناسيوس صداقة وطيدة[٣٩]. ولكنه أراد أن يقدم نظامًا للاهوت بالطريقة الكلاسيكية الوثنية التى تعلمها على يد أبيه فسقط في هرطقة خطيرة. وفي عام ٣٧٢ م كتب البابا أثناسيوس كتابين ضد هرطقة أبوليناريوس بدون أن يذكر أسمه. ربما فعل ذلك لأجل الصداقة القديمة التي كانت تربط البابا أثناسيوس مع أبوليناريوس[٤٠].

جدير بالذكر هنا أن الكثير من كتابات أبوليناريوس وضعها تلاميذه تحت أسماء لاهوتيين مشهورين لإكسابها الشرعية المطلوبة مثل غريغوريوس العجائبي (شرح الإيمان) وأثناسيوس الرسولي (عن التجسد) والبابا يوليانوس (في وحدة المسيح)[١٤].

تصدت الكنيسة لهرطقة تعاليم أريوس، وهرطقة أبوليناريوس، وأدانت مجامع عديدة هرطقة أبوليناريوس ٣٧٧م في روما، ٣٧٨م في الإسكندرية، ٣٧٩م أنطاكية، وأدين في المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية ٣٨١م[٤٢]. رأت كنيسة أنطاكية في شخص المسيح يسوع الناصري، إنسانًا كاملًا وإلهًا كاملًا أيضًا، هو الكلمة الذي صار بشرًا ذا روح وجسد. وكذلك كان إيمان كنيسة إسكندرية.

إذًا فالكنيسة في إسكندرية وأنطاكية كانت متحدة الفكر والإيمان، فلم تختلف أبدًا على وجود اللاهوت في الناسوت أو على حقيقة ناسوت المسيح. لقد قاوم القديس أثناسيوس، والقديس كيرلس هذه التعاليم،

coptic-books.blogspot.com

كما قاومتها أيضًا كنيسة أنطاكية، ومنهم ديودوريوس، ونسطور، إذًا لماذا اختلفت الكنيسة؟

coptic-books.blogspot.com

هوامش الفصل الخامس

(١) موسوعة تاريخ أقباط مصر، الخلاف الفكري بين مدرسة الإسكندرية ومدرسة أنطاكية.

(٢) موسوعة أقباط مصر، تحت عنوان مجمع الإسكندرية ٣٦٥م. دعي مجمع القديسين والمعترفين.

(٣) ٢٨٣ التفسير الرمزى هو اتجاه فكري بحثي تأملي للوصول إلى العمق الروحاني، والتفسيرات الرمزية تعتمد على قدرة تأمل الإنسان، وتختلف قدرة التأمل من إنسان إلى آخر بل نستطيع القول إنه يمكن تفسير كل شيء بالتفسير الرمزي ولكن لا يمكننا تفسير كل شيء بالتفسير الحرفي البسيط. والتفسير الرمزي لا يتعارض إطلاقاً مع التفسير الحرفي، ولكن التمسك بالتفسير الحرفي بمفرده قد يقتل التمتع بالآيات المقدسة مما لا يجعل الإنسان يسمو في سماء الروح..

(٤) تعني الحكمة. والصوفي هو الشخص الداخل والمستغرق في سر الحكمة الإلهية، والذي تمعن وتبصَّر ΣοΦια الصوفية: لفظة يونانية» في أسرار الحكمة الإلهية. ولذلك يسمى أيضًا Mystic من Mysticism من الكلمة اليونانية Μυστηϱιον وهي الأسرار الإلهية مستعلنة للمتأملين أو الرائيين، وهم ذوو البصيرة والرؤيا الروحية (المسماه عند الآباء الثيئوريا θεωϱια، أي النظر والرؤيا وتترجم أحيانًا بالتأمل) وهم حاملو النور السري الباطني من الروح القدس. (دراسات في آباء الكنيسة، أحد رهبان برية القديس مقاريوس، ٢٠٢).

(٥) موسوعة تاريخ أقباط مصر، عن مذكرة علم اللاهوت المقارن - الكلية الإكليريكية

coptic-books.blogspot.com

اللاهوتية للقبط الأرثوذكس - بقلم المتنيح الأنبا غريغوريوس أسقف عام للدراسات اللاهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمي ص ٨٧.

(٦) الطبجي، إيلي، مدخل إلى اللاهوت الشرقي.

(٧) الغنوسية المسيحية هي حركة دينية ظهرت في القرن الثاني الميلادي، واستمرت إلى القرن الرابع بل الخامس. كانت جذورها من الغنوسية الوثنية والفلسفة الأفلاطونية الحديثة التي كانت تؤمن بأن الله روح وهو الخير الأعظم والمادة شر ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون بينهما اتصال. حاول الغنوسيون المسيحيون أن يجدوا لمعتقداتهم أساسًا في الفلسفة اليونانية والفلسفة الشرقية والتاريخ والأساطير. وأهم ما يميز الغنوسية هو الثنائية المطلقة، أن المادة شريرة ولا خلاص لها، وأن العنصر السماوي في الإنسان خير ويجب أن يخلص، والخلاص يقوم عن طريق المعرفة وإذا كان يسوع هو المخلص فذلك لأنه جاء بالمعرفة.(فهيم عزيز، المدخل إلى العهد الجديد، ٧١، ٧٢).

(٨) كلمة «الشرق» بالمقابلة مع الغرب في الإمبراطورية الرومانية القديمة الواحدة، التي انقسمت إداريًا إلى قسمين، غربي وشرقي، أحدث دقليديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) تغييرات جذرية في تنظيم الإمبراطورية الرومانية الواسعة بحيث تتلاءم أكثر مع متطلبات الشعوب العرقية والجغرافية في ولايات إمبراطوريته والتي أكملها قسطنطين فيما بعد. فالقسم الشرقي من الإمبراطورية يضمّ: ولاية الشرق (أي سوريا)، ولاية آسيا، ولاية البنطس، ولاية تراقيا،) تراقيا هي منطقة تاريخية وجغرافية في جنوب شرق البلقان بشرق أوربا، وتتقاسمها بلغاريا، اليونان، وتركيا الأوروبية) مصر؛ ثم أضيفت إليها داقيا ومقدونية واليونان والبلقان. فكلمة «شرق» سياسيا كانت تعني هذه المساحة من الأراضي كلها.

(٩) ديونسيوس الأريوباغي: تلميذ بولس الرسول (أعمال ١٧: ٣٤)، وأول أسقف على أثينا حوالى ٩٦م، استشهد في باريس ينسب إليه عدد من الكتابات

coptic-books.blogspot.com

(اللآهوت الميستيكي السري أو الصوفي Mystical، أسماء الله، الرئاسات السماوية المقدسة) ألهمت كثير من اللآهوتين وآباء الكنيسة فيما بعد. (دراسات في آباء الكنيسة، أحد رهبان برية القديس مقاريوس، ١٠٦)..

(١٠) The Mystical Theology of the Eastern Church,V. Lossky، بباوي، جورج حبيب، مدخل اللآهوت الأرثوذكسي من كتاب.

(١١) المرجع السابق.

(١٢) الطبجي، إيلي، مدخل إلى اللآهوت الشرقي..

(١٣) المرجع السابق.

(١٤) المرجع السابق.

(١٥) بسترس، سليم، الأب اللآهوت المسيحي الإنسان المعاصر، ١٥٧، ١٥٨.

(١٦)مذكرة علم اللاهوت المقارن - الكلية الإكليريكية اللاهوتية للقبط الأرثوذوكس - بقلم المتنيح الأنبا غريغوريوس أسقف عام للدراسات اللاهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى ص ٨٧ ..

(١٧) المرجع السابق، ٨٦.

(١٨) المرجع السابق، ٨٦.

(١٩) دراسات في آباء الكنيسة،أحد رهبان برية القديس مقاريوس، القاهرة: مجلس مقرقس بشبرا،٢٠٠٠، ١٥٦م..

(٢٠) المصري، إيريس حبيب ، قصة الكنيسة، ١١.

(٢١)الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج ٣ ، ٧٣..

(٢٢) بوكاليس أو بوكاليا،كانت في منطقة (محطة الرمل) الحالية، حيث يقف اليوم مكانها تمثال سعد زغلول. (عن يوسف زيدان، ١١٥).

coptic-books.blogspot.com

(٢٣) بسترس، سليم، الأب البولسي، اللآهوت المسيحي والإنسان المعاصر، منشورات المكتبة البولسية، الجزء الأول، بيروت: ١٩٨٤م، ١٦-١٦٨.

(٢٤) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٢، ٧٤..

(٢٥) بسترس، سليم، الأب، اللآهوت المسيحي والإنسان المعاصر، ١٦٨..

(٢٦) كتابات الآباء، المسيح الحي عند القديس أثناسيوس، تعريب وتقديم جورج حبيب بباوي، مؤسسة القديس أنطونيوس، ١٩٨٤م، ٧..

(٢٧) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، المرجع السابق، ١٦٧..

(٢٨) دراسات في آباء الكنيسة،أحد رهبان برية القديس مقاريوس، القاهرة: مجلس مقرقس بشبرا، ٢٠٠٠، ١٤٤م..

(٢٩) مارون ، لحام، الأب، الكنيسة الشرقية، دراسة غير منشورة، ١٩٩٩، نقلاً عن مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك، ليكونوا بأجمعهم واحدًا، الحركة المسكونية، فصح ١٩٩٩، ١٠ و١١.

(٣٠) موسوعة تاريخ الأقباط نقلاً عن علم اللآهوت المقارن – الهرطقات -بقلم الأنبا غريغوريوس أسقف عام الدراسات اللآهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى - مطبوعات الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس..

(٣١) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٢، ١٦، ١٧..

(٣٢) موسوعة تاريخ الأقباط نقلاً عن علم اللآهوت المقارن – الهرطقات -بقلم الأنبا غريغوريوس أسقف عام الدراسات اللاهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى - مطبوعات الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس..

(٣٣) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٢، ١٧ و ١٨.

(٣٤) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٢، ٢٢..

coptic-books.blogspot.com

(٣٥) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٣، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩١م، ٢٠..

(٣٦) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج١، ٦٦٩..

(٣٧) المرجع السابق ٦٧٠..

(٣٨) موسوعة تاريخ الأقباط، نقلاً عن كتاب حقبة مضيئة في تاريخ مصر، بمناسبة مرور ١٦ قرنًا على نياحة القديس أثناسيوس الرسولي البابا العشرون، ٢٩٦ – ٢٧٣م، سيرته، ودفاعه عن الإيمان عند الأريوسيين، ولاهوته، بقلم الأب الروحاني متى المسكين، ط٢، ٢٠٠٢، ٥٦..

(٣٩) موسوعة تاريخ الأقباط، علم اللاهوت المقارن، الهرطقات، الأنبا غريغوريوس، أسقف علم الدراسات اللآهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمي، مطبوعات الكلية الإكليركية..

(٤٠) موسوعة تاريخ أقباط مصر نقلاً عن، الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - كنيسة علم ولاهوت - طبعة تحضيرية ١٩٨٦م، القمص تادرس يعقوب ملطي..

(٤١) موسوعة تاريخ أقباط مصر..

(٤٢) بيشوي، الأنبا، كتاب وثائقي عن كنيسة المشرق الآشورية النسطورية، تاريخها وحاضرها وعقائدها، مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبراري، ٢٠٠٣م،٥٩..

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل السادس

أسباب الخلاف بين المدرستَين

اللغة

التمسك بكلمات الآباء

لقب والدة الإله

السعي للسيادة والنفوذ

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

أسباب الاختلاف بين المدرستَين

كان الصراع الفعلي بين الكنيستين، والذي لا نزال نعاني منه حتى الآن، بسبب مفردات اللغة الخاصة بكل كنيسة، والكلمات التي أُستخدمت في التعبير عن اتحاد الطبيعتين في يسوع المسيح. وكان الصدام الفارق بين كيرلس عمود الدين أسقف إسكندرية، وبين نسطور أسقف أنطاكية، هو سوء تفاهم في لغة الحوار، الذي ارتكز على المراسلات، ولم يكن هناك لقاء واحد بين الاثنين. وأيضًا استخدام مفردات لغوية لم تكن محددة ومعرَّفة ومعروفة بطريقة واضحة ومتفق عليها من الطرفين.

رأت كنيسة أنطاكية في المسيح، ابن الله وابن الإنسان، رأت فيه الطبيعة الإلهية كاملة، الله العظيم الذي كان يقوم بعمل المعجزات والآيات والقوات والعجائب، كما أنه يسوع الناصري الإنسان المتألم الذي يجوع ويعطش ويموت.

إن كنيسة الإسكندرية كانت أمينة وصادقة ومخلصة لرسالتها عندما رفضت تعاليم أنطاكية لأنها رأت فيها خطرًا يهدد لاهوت المسيح، لذلك شددت على لاهوت المسيح قبل كل شئ.

وكانت كنيسة أنطاكية محقة أيضًا ومخطئة في بعض تعاليمها، كانت تعرف جيدًا النقاط المحقة فيها، على أنها كانت لا تعرف جيدًا ولا تعترف صراحة بالنقاط المخطئة فيها. كانت محقة عندما رفضت تعاليم

coptic-books.blogspot.com

أبوليناريوس التي نادت بعدم وجود روح بشرية في المسيح. بل كانت مخطئة عندما تطرفت في شرحها للطبيعتين. بالتمييز بينهما إلى حد فصلهما كاملًا. بل إلى خطر الوصول إلى وجود ابنَين أو مسيحيين.

كانت كنيسة إسكندرية محقة ومخطئة أيضًا. كانت تعرف نقاط الحق عندها. لكنها لم تكن تعرف ولا تعترف بنقاط الخطأ فيها. كانت من حقها أن ترفض التعاليم التي كانت تهدد وحدة وشخصية المسيح. لكنها أخطأت في التنبير على اللاهوت والدور الذي يقوم به اللوجوس. كما لو كان لا يوجد في شخص المسيح إلا اللاهوت وإهمال الناسوت. ثم التطرف في عقيدة الطبيعة الواحدة. كانت عيون الكنيستين مسلطة. كل على نقاط الخطأ في الآخر. والتركيز على ذاتها ونقاط الصواب فيها.

وسوف ندرس بعض الجوانب التي سببت سوء الفهم. وأحدثت الشرخ الغائر في جسم كنيسة المسيح التي لا تزال جراحاته لم تصل إلى الشفاء الكامل حتى اليوم.

اللغة

إن لغة المجتمع اليونانية. وثقافته كانت ثقافة هللينيّة. واتجاهاته كانت الفلسفة اليونانية والفلسفة الشرقية والأساطير. كلها كانت تسود ذلك الوقت. والخلافات التي واجهتها الكنيسة في الشرق والغرب. كانت حول شرح المفاهيم الفلسفية اليونانية «أفلاطون. وأرسطو. وأفلوطين». بالإضافة إلى الانتماءات الإثنية. والخلافات السياسية بين الفرس واليونان. زرعت الخلافات

coptic-books.blogspot.com

بل زادت من حدتها بين مدرسة أنطاكية (السريان الأرثوزكس، وكان مقرها سوريا) ومدرسة الإسكندرية (الكنيسة القبطية الأرثوذكسية) [١].

لقد عبّر «الآباء» عن إيمانهم بلغة وثقافة عصرهم - كما شرحنا من قبل - فلم يتأخروا في نحت كلامٍ مقتبسٍ من واقعهم الحضاري للتعبير عن معاني الإيمان. وبفعل الروح القدس تعلن الكنيسة استقامة تعاليمهم. الآباء أخضعوا الفلسفة لإعلان إيمان الكنيسة، يوم كانت الفلسفة لغة العصر. فاستعملوا تعابير اقتبست من الفلسفة اليونانية لم تكن موجودة في الكتاب المقدّس. أمثال: «الثالوث»، و«الأقنوم»، «الطبيعة»، و«الجوهر»، «المساوي في الجوهر»، «الخطيئة الأصلية»... ولا تزال الكنيسة إلى اليوم وإلى الأجيال القادمة، تسعى أن يكون إعلان إيمانها يصل إلى واقع كل عصر لأن الإيمان غير المفهوم لا يمس القلب، وبالتالي يصبح اتّباعه تحت عبودية.

استخدم آباء الكنيسة بعض المفردات اللغوية التي عبروا بها عن طبيعة وشكل اتحاد الكلمة اللوجوس العنصر الإلهي للمسيح، ويسوع الناصري الإنسان العنصر البشري. ورغم أن المفردات التي استخدمها أساقفة الكنيسَتين نسطور أسقف أنطاكية، وكيرلس عمود الدين أسقف أسكندرية، والتي تترجم إلى جوهر، تبدو أن لها معنى واحدًا. ولكن بالرجوع إلى المفردات ومعانيها سوف نجد اختلافًا في المعنى، وسنقف أمام أربع كلمات قد يختلف استعمال اللفظة الواحدة بين المذاهب الفلسفية نفسها كالآتي [٢]:

١- جوهر (ουσια) كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية Essentia والكلمة

coptic-books.blogspot.com

اليونانية «أوسيا» «ουσια» وتعني الوجود الحقيقي لكائن ما.

٢- جوهر (Substancia) كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية Substancia وتعني جوهر أو طبيعة. أي تعني الجوهر أو الطبيعة الذي يتكون منه شئ ما.

٣- طبيعة (φύσις) كلمة (فيزيس) كلمة يونانيةوفي اللاتينية Nutra التي ترجمت في الإنجليزية إلى Nature وهي كلمة يُعبر بها عن خواص ومميزات الجوهر أو الطبيعة.

٤- أقنوم "جوهر" (ὑπόστἄσις) كلمة (هيبيوستاس) تعني الشخص. أي الكائن الذي يقوم به الجوهر. فالجوهر لا يمكن أن يقوم دون كائن فرد يحمله. فالطبيعة الإنسانية مثلًا لا يمكن أن توجد دون إنسان فرد. ودون شخص بشري يحملها. فتقوم به إلى الوجود. كذلك جوهر الله هو واحد. والطبيعة الإلهية هي واحدة.

٥- شخص (أو أقنوم) (περοσωπονα) كلمة لاتينية تستخدم لوصف قناع الممثل الذي كان يمثل في المسارح اليونانية وهو مقنَّع بقناع أثناء قيامه بدوره.فالكلمة تصف حالة الممثل أو الشخص الذي يقوم بتمثيل دور معين.

يتفق القديس كيرلس الإسكندري، ونسطوريوس الإنطاكي على ثلاث مفردات على أنها مترادفات وهي: جوهر Essence & Substancia ، طبيعة Natura.أقنوم Hypostase.

ورغم الاتفاق على المفردات. إلا أن الصراع كان عنيفًا والفجوة كانت

coptic-books.blogspot.com

متسعة بين أسقف الإسكندرية وأسقف أنطاكية في طريقة استخدم الكلمات. فقد استخدم كيرلس هذه الكلمات لكي يصف بها شخص المسيح كله، إلهًا وإنسانًا. فقد بدأ كيرلس بفكر الاتحاد بين الطبيعتين، تعبر عن حالة كينونة المسيح . أما نسطور فقد استخدمها كحقيقة واقعية، لكي يصف طبيعتي السيد المسيح المتمايزتين. وقد استعمل نسطوريوس كلمة هيبوستاس (ὑπόστᾰσις) بطريقة نادرة للتعبير عن طبيعة المسيح، لكنه استعمل كلمة بروسبون (πεϱοσωπον) كثيرًا، تعبيرًا عن الأقنوم بعد الاتحاد الذي تم بين الطبيعتين، اللاهوت والناسوت.

ومن الضروري أن نشرح كيف فهم أسقف أنطاكية العلاقة بين الطبيعتين ولماذا استخدم البروسبون؟لقد علَّم نسطوريوس بوجود طبيعتين للسيد المسيح وهما اللاهوت والناسوت، كما شرحنا من قبل. وكل طبيعة تحتوي على جوهر (أوسيا) أو على هيبوستاس أي كيان أو وجود مستقل ثم على مظهر خارجي (بروسبون). وهذا يعني أن كل طبيعة لها هيئة خارجية. ويراها نسطوريوس كما يذكرها بولس في فيلبي ٢: ٦ « الذي إذ كان في صورة الله ..... آخذًا صورة عبد (إنسان)، صائرًا في شبه الناس». هاتان الهيئتان، اللاهوت والناسوت متحدتان وينتج عن هذا الاتحاد بروسبون واحد وهو المسيح يسوع (الأقنوم). فقد كان يقصد بذلك وجود هيئتين في المسيح الواحد. وهذا التعليم جاء بدافع تجنب السقوط في الطبيعة الواحدة أي المونوفيزية، التي نادى بها أبوليناريوس. وقد كان إيمان نسطوريوس في المسيح أنه إله كامل وإنسان كامل، طبيعتان متمايزتان الواحدة عن الأخرى ومتحدتان غير ممتزجتين[٢].

coptic-books.blogspot.com

إذًا لماذا رفض بشكل قاطع الاتحاد الهيبوستاتي الذي علَّم به كيرلس؟ أو السؤال بطريقة أخرى لماذا لم يقبل كيرلس اتحاد البروسبون الذي علَّم به نسطوريوس؟

لقد فهم نسطوريوس بالخطأ (وهذا بحكم اختلاف البيئة ومفردات اللغة) ما قصده كيرلس من تعبير الاتحاد الهيبوستاسي، بأن الطبيعة الإلهية اتحدت واندمجت واختلطت بالطبيعة البشرية، لدرجة الزوال والتلاشي. وخاصة أن كيرلس كان يتمسك بعبارة «واحدة هي طبيعة الكلمة المتجسد».

أما كيرلس فعندما كان يستعمل طبيعة أو هيبوستاس للتعبير عن الكلمة المتجسد كان يستعملهما كلفظتين مترادفتين. كان يتكلم عن شخص مستقل أي الطبيعة الإلهية في المسيح. ويشرح القديس كيرلس الجملة التي رددها كثيرًا «واحدة هي طبيعة الكلمة المتجسد» بقوله في شرح قانون الإيمان النيقاوي: لا نعني أن طبيعة الكلمة قد تغيرت فصار جسدًا، أو أنها تحولت إلى إنسان كامل مؤلف من نفس وجسد، بل بالحري أن الكلمة قد ضم إلى ذاته جسدًا فيه نفس عاقلة وصار بطريقة لا يمكن الإفصاح عنها أو إدراكها، إنسانًا ودُعي ابن البشر..... والتعبير «الكلمة صار جسدًا» (يو ١: ١٤) لا يمكن أن يعني شيئًا، غير أنه اتخذ لحمًا ودمًا مثلنا أي جعل جسدنا جسدًا له. فإن اللوجوس أي اللاهوت قد اتحد اتحادًا حقيقيًا بالناسوت ... وهذا الاتحاد لم ينزع الفرق بين الطبيعتين بل بالحري أن اللاهوت والناسوت جعلا لنا السيد الواحد يسوع المسيح كاملًا باتحادهما[٤].

coptic-books.blogspot.com

إن كيرلس كان يؤمن بوجود الطبيعتين المتحدتين باتحاد قوي عميق.فكلمة أقنوم (طبيعة Physis أو الهيبستاس) اتحاد طبائع في شخص واحد.أي اتحاد أقنومي بدون اختلاط أو امتزاج أو تغيير أو تنازل عن واحدة منهما. ومن هذه النتيجة التي وصلنا إليها ألا نرى نفس إيمان نسطوريوس هو نفس إقرار إيمان كيرلس؟!وأن فهم الألفاظ اليونانية غير مفهوم لدى الاثنين مما أحدث سوء الفهم بل ساهم في تعزيز الخلاف.

التاريخ الغائب:

كان كل من كيرلس ونسطوريوس متفقان على الأمور الجوهرية. إن اللغة كما سبق القول ونكرر هي واحدة من أسباب سوء الفهم ونشوب الاختلاف بينهما.فنسطوريوس لم ينكر لاهوت المسيح بل علّم بأن اللوجوس حل أي سكن بملء لاهوته في يسوع الناصري. ورغم ذلك فإننا لا نقدر أن نقول بأنه لا يوجد اختلافات بين تعاليم كيرلس ونسطوريوس. بل نستطيع أن نقول بثقة أنهما كانا متفقَين على نقاط جوهرية. في أساسيات وحدة الإيمان التي كان من الممكن أن تكون نقطة انطلاق للحوار البنّاء. والتفاهم المسيحي الناضج[٥]. رغم هذا فهناك عدة عوامل حددت الخلاف وملامح الصراع الذي استمر حتى اليوم.

الأمر الأول: التمسك بكلمات قالها الآباء

يقول الدكتور حنا الخضري[٦]: إن المشكلة الحقيقية كانت في التمسك ببعض الكلمات والعبارات التي تمسك بها بعض الآباء في العصور الماضية في ظروف وخلفيات معينة. إحدى هذه العبارات التي كانت أساس الحوار

coptic-books.blogspot.com

هي «واحدة هي كلمة الله المتجسد» وهو الذي يقود كل أعمال وتصرفات الناسوت. فلكي يتمكن القديس كيرلس من رفض تعاليم نسطور بطريقة صحيحة، مبنية على تعليم الكتاب المقدس والآباء، درس تعاليم القديس أثناسيوس، وجمع كل النصوص والكتابات الموجودة آنذاك. فوجد بعض الكتب باسم البابا يوليانوس وفيليكس وغريغوريوس العجايبي، التي تتكلم عن وجود طبيعة واحدة للكلمة المتجسد، وكذلك وجد باسم القديس أثناسيوس جملة ارتكز عليها وهي «واحدة هي طبيعة الكلمة المتجسد». لكن الشيء الذي لم ينتبه إليه القديس كيرلس هو أن بعض الكتابات التي اضطلع عليها، وتحمل اسم البابا يوليانوس أو فيليكس أو غروعريوس العجايبي أو القديس أثناسيوس، ما هي إلا كتابات مزيفة كتبها أبوليناريوس ووضع عليها أسماء هؤلاء الآباء المعروفين بأرثوذكسيتهم في التعليم. وهي نفس الكتب التي اعتمد عليها أوطيخا (الذي فهم بل ونادى باختلاط وامتزاج الطبيعتين، كما أنه رفض حقيقة أن طبيعة المسيح هي من طبيعتنا) الذي كان يدافع بحماسة وبكل قوة عن تعاليم الطبيعة الواحدة، والتي قال في مجمع فلورنت المجمع الذي حاكمه، قال إنه درس كتابات كيرلس وأثناسيوس وهو يشير إلى تلك الكتب المزيفة التي كتبها أبوليناريوس.

الأمر الثاني: لقب أم الإله Theotokos

عزز لقب أم الإله الصراع، بل ساعد على استمراره. والكلمات في ظاهرها تبدو للقارئ غير المدقق أن نسطور كان يرفض أن يلقب السيدة العذراء بلقب والدة الإله. هذا الجدل اللاهوتي نابع أيضًا من تخوف نسطور وكيرلس، كلٌّ على البعد الروحي والعقيدي الخاطئ الذي تواجهه الكنيسة آنذاك، سواء

coptic-books.blogspot.com

عقيدة الطبيعة الواحدة. التي تخلط الطبيعتين وهو تخوف نسطوريوس. أو تمايز الطبيعتين إلى حد الانفصال مما ينتج عنه مسيحيْن أو ابنيْن. وهو تخوف كيرلس. وجدير بنا أن نقدم في هذا المقام لمحة عابرة دون التدخل في تفاصيل كثيرة تخوفات نسطوريوس في لقب والدة الإله. وتشدد كيرلس في إطلاق هذا اللقب. وهل يتفق القائدان على هذا اللقب أم لا؟

علَّم نسطوريوس بأن السيدة القديسة مريم هي أم الإنسان يسوع المسيح الناصري ابن داود من ناحية الجسد. وهي أيضا والدة الإله لأن الكلمة كان يسكن في هذا الإنسان الذي ولدته. فمريم تدعى أم الإله لأنها استقبلت الكلمة « اللوجوس» في بطنها الذي حل جنينًا فيه. وكان حريصًا أن لا يستخدم هذا اللقب بدون شرح كافٍ. لأنه كان يخشى الخلط بين الطبيعتين. الطبيعة الإلهية الكلمة الأزلي المولود من الآب قبل كل الدهور. والذي لا بداية لوجوده. وأن الطبيعة البشرية حل فيها الكلمة منذ لحظات الحمل[٧].

ويعلِّم القديس كيرلس أن الكلمة لم يأخذ أصله ووجوده من العذراء مريم. وقد كتب إلى نسطور يقول: «...الذي وجُد قبل كل الدهور وُولد من الآب قيل عنه إنه وُلد حسب الجسد من امرأة دون أن تعني هذه الولادة: أن الطبيعة الإلهية قد أخذت بداءة وجودها من القديسة العذراء. لأن هذه الطبيعة لم تكن بحاجة إلى ولادة ثانية بعد ولادتها من الآب..... لكن لأجل خلاصنا قد اتخذ الكلمة جسدًا بشريًا وُولد من امرأة.... على أن الاتحاد حدث في الرحم»

ويقول أيضًا: ... لأن العذراء حملت في أحشائها الكلمة الذي حل في

coptic-books.blogspot.com

جنينها فيمكن أن تدعى والدة الإله. فهو يعترف بشكل حاسم أن لقب والدة الإله، مُنح لمريم بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت. بل وحملت الجنين الذي كان فيه اللاهوت. ومن الواضح كما شرحنا أن نسطور كان يريد التمييز بين المولود من الآب قبل كل الدهور والمولود من العذراء في أرضنا. أما كيرلس فلم يكن يريد التمييز خوفًا من الفصل. وقد رأى أن رفض لقب والدة الإله لمريم يعتبر هدمًا لسر التجسد(٨).

الأمر الثالث: السعي للسيادة والنفوذ

بعد إعلان مرسوم ميلان سنة ٣١٢، قام قسطنطين بإنهاء اضطهاد المسيحيين، وفي سنة ٣٢٤، جعل الديانة المسيحية ديانة الإمبراطورية الرومانية، وتوغلت السياسة وأصبح لها دور كبير في قيادة الكنيسة في بلاط الإمبراطورية مما جعل السياسيين أنفسهم آباء روحيين لها. فنتج عن ذلك كثير من التدخلات في شئون الكنيسة؛ فقد كان الإمبراطور يتخذ المبادرة في دعوة لعقد المجامع بين الكنائس لتسوية الخلافات التعليمية، وبهذه الصورة أضحت الكنيسة سجينة الإطار السياسي والفكري وبالتالي أفسد بساطة الإنجيل. ولكن في نفس الوقت كان هذا المرسوم مرسومًا سماويًا أو بمثابة مرسوم خلاصي للمسيحيين الذين كانوا يعيشون تحت وطأة الحكم الروماني الوثني(٩).

وإن جلوس ملوك الروم على عرش القسطنطينة رفع مرتبة الكرسي القسطنطيني وفاق الكرسي الإسكندري منزلة. إذ أن الإعلان الذي أصدره الإمبراطور ثيودوسيوس العظيم آخر أباطرة الإمبراطورية الرومانية المتحدة،

coptic-books.blogspot.com

بتقسيم الإمبراطورية بين ابنيهِ أركاديوس على الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وأونوريوس على الإمبراطورية الغربية. جعل من القسطنطينية مركزًا ثقافيًا كبيرًا وكانت محط أنظار جميع الفلاسفة. لذلك ومن هنا تولدت الحساسية بين كرسي الإسكندرية وكرسي أنطاكية[١٠].

كنا نتوقع أن تستمر العلاقة بين الكنيستين كما كانت أيام القديس أثناسيوس، لكن الأمر قد اختلف تمامًا، بسبب المستجدات السياسية التي طرأت على الساحة. فعندما نتطرق إلى العلاقة بين كنيستي الإسكندرية والقسطنطينية، وعلاقتهما بكنيسة روما، نكتشف أن العلاقة كان يغلب عليها طابع السعي للسيادة وإثبات السيطرة والنفوذ. ولقد كانت كنيسة الإسكندرية تحظى بمكانة هامة بعد روما مباشرة، إلا أن الأمر اختلف بعد القرار السياسي الذي حدث، وأيضا بعد إقرار المجمع المسكوني المنعقد في ٣٨١م في القسطنطينية أن تكون لمدينة القسطنطينية[١١] المكانة الثانية بعد روما، وأصبحت تدعى روما الجديدة.وقد منح رئيس أساقفتها لقب «مسكوني»، وقد أثار هذا القرار غضب وحقد كرسي الإسكندرية، وأشعل كثيرًا من المواجهات التي ربما لم تكن أصولها عقائدية بقدر ما كانت سياسية. والدليل على ذلك حملة الهجوم الشرسة التي شنها ثاؤفيلوس – خال الأسقف كيرلس - أسقف الإسكندرية ضد يوحنا فم الذهب أسقف القسطنطينية – وهو أيضا من مدرسة أنطاكية – والتي أدت في النهاية إلى عزل يوحنا بقرار من مجمع البلوط عام ٤٠٠م، وأُرسل إلى المنفى في ٤٠٤م.

ذلك لأن كرسي القسطنطينية لم يكن كرسيًا رسوليًا ضمن الكراسي

coptic-books.blogspot.com

الرسولية القديمة الأربعة وهي: روما، الإسكندرية، أورشليم، أنطاكية، بل كان كل ما يحوزه بطريرك القسطنطينية مدينة ذات حصانة إمبراطورية لأنها مقر العرش الإمبراطوري، وفيما عدا ذلك لم يكن للقسطنطينية أدنى أهمية أخرى. وهذا هو السبب الذي دفع أساقفة روما والإسكندرية إلى الاستياء من القرار الذي اتخذه مجمع القسطنطينية في المقام الثاني من الكرامة بعد روما، واستنادًا على مجرد وضع سياسي لمدينة القسطنطينية(١٢).

ويقول جوستو ل. جونزالز (Justo L. Gonzalez) في كتابه «تاريخ الفكر المسيحي»: «لقد شهد القرن الخامس خطوة أخرى في العملية التي بواسطتها كنيسة الرب المتواضع والمصلوب صارت متورطة في صراعات من أجل المكانة والسلطة، والتي لم تكن أقل في قسوتها من الصراعات التي وقعت في الساحة البيزنطية. فكل الكراسي المسيحية الكبرى – روما والإسكندرية وأنطاكية والقسطنطينية – كانت تصارع ضد منافسيها في محاولة لكسب الهيمنة. وكل منهم بالتالي سمح لهذه المصالح السياسية أن تؤثر في قراراتها اللاهوتية»(١٣).

coptic-books.blogspot.com

هوامش الفصل السادس

(١) المسيحية في المشرق، ١٩٩ و ٢٠٠..

(٢) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٢، ١٦٩ و ١٧٠..

(٣) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٢، ١٨٠..

(٤) الكنيسة عبر تاريخها في المشرق، ٢٠٦..

(٥) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي ج٣، ٩٧.

(٦) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي ج٣، ٨٥.

(٧) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي ج٢، ٢٢٦.

(٨) .Denatra77 ويكبيديا الموسوعة الحرة.

(٩) .Denatra77 ويكبيديا الموسوعة الحرة.

(١٠) .Denatra77 ويكبيديا الموسوعة الحرة.

(١١) تقع مدينة القسطنطينية على مضيق البوسفور، وهي بيزنطة القديمة، ومدينة اسطنبول الحالية.

(١٢) دراسات في آباء الكنيسة، أحد رهبان برية القديس مقاريوس، ٤٢٦.

(١٣) موسوعة تاريخ أقباط مصر، الخلاف الفكري بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة أنطاكية.

(١٤) موسوعة تاريخ أقباط مصر، الخلاف الفكري بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة أنطاكية.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل السابع

إعادة الوحدة عام ٤٣٣م.
رؤية معاصرة للأحداث

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

إعادة الوحدة عام ٤٣٣ م.

لم يكن مجمع أفسس ٤٣١م. إلا التاريخ الذي سبب الانقسام وترك الكنيسة ممزقة، وعصرت قلوب المخلصين الذين أحبوا الكنيسة. لذلك عمل الله في قلوب هؤلاء الآباء أنفسهم، وفي قلوب آخرين لكي يضمدوا الجراح ويعيدوا للكنيسة سلامها.

فبعد أن انفض المجمع ورجع المندوبون إلى بلادهم، تمسك كل أسقف بما آمن به، فأتباع نسطور تمسكوا تمسكًا شديدًا بتعاليمه التي نبرت على الطبيعتين، كما أن كيرلس وأتباعه تمسكوا بتعليم الطبيعة الواحدة. وهنا ظهر شبح جديد وشرخ أوسع يهدد وحدة الكنيسة. فكان لابد من إيجاد حل عاجل قبل فوات الأوان. أدرك كيرلس هذا الخطر الموقف بنظره الثاقب وتفكيره العميق، فقام بمجهود جبار وتضحيات عظيمة لإعادة السلام إلى الكنيسة والإمبراطورية. وقد حدث هذا بمبادرة من يوحنا الأنطاكي أحد أنصار نسطوريوس وهو رجل مقدام صاحب حنكة سياسية وحس روحي عال وقدرة على التواصل مع كيرلس عمود الدين[1]. وقد أرسل الأول بولس أسقف حمص إلى الإسكندرية ومعه اعتراف بالإيمان (وثيقة تعلن إيمان يوحنا) وقبله كيرلس وقطعا معًا معاهدة سلام في عام ٤٣٣م.

وكانت وثيقة الإيمان التي أرسلها يوحنا الأنطاكي وقبلها كيرلس هي

coptic-books.blogspot.com

كالآتي: «نعترف أن ربنا يسوع المسيح، ابن الله، الوحيد، هو إله كامل ذو نفس عاقلة وجسم، وهو مولود من الآب قبل كل الدهور بحسب لاهوته، وأنه هو نفسه في الأيام الأخيرة، من أجلنا ومن أجل خلاصنا وُلد من مريم العذراء بحسب ناسوته، وهو نفسه، له الجوهر نفسه مع الآب، بحسب لاهوته، وله نفس الجوهر الذي لنا بحسب ناسوته. لأنه قد حدث اتحاد بين الطبيعتين. لأجل هذا نعترف بمسيح واحد، ابن واحد، رب واحد. وبحسب هذا الفهم للاتحاد بدون اختلاط نعترف بأن العذراء القديسة هي «والدة الإله» لأن الله الكلمة قد تجسد وتأنس، ومنذ الحمل به اتحد بالهيكل الذي أخذه منها، مع ذاته. ونحن نعرف أن اللاهوتيين ينسبون بعض أقوال البشيرين والرسل عن الرب باعتبارها تشير بصفة عامة إلى شخص واحد، ويقسمون أقوالاً أخرى بأنها تشير إلى طبيعتين، فتلك التي تليق بالله ينسبونها إلى لاهوت المسيح، أما تلك الأقوال المتواضعة فينسبونها إلى ناسوته»[٢].

رؤية معاصرة للأحداث

لم تنجح إعادة الوحدة عام ٤٣٣م. في تحقيق الاستقرار والسلام[٣]، وأن مجمع خلقدونية عام ٤٥١م قد سعى إلى إيجاد صيغة مقبولة لكل من إسكندرية وأنطاكية، لكن بكل أسف كانت الألفاظ والكلمات الأساسية عرضة لتفسيرات متضاربة. وبالتالي لم يرض الأطراف، ولم يحسم النزاع. لاشك أنه كما يوجد في كل الكنائس متطرفون، إلا أن السواد الأعظم من الأساقفة واللاهوتيين فيها كان إيمانه قويم. فقد تبين بعد خمسة عشر قرنًا من الزمان أن الخلاف بين تلك الكنائس التي تبعت مجمع خلقيدونية، لم يكن

coptic-books.blogspot.com

خلافًا على العقيدة بل على الألفاظ[٤].

وما بشر بالخير هو أنه في العقود الأخيرة من القرن العشرين تقارب اللاهوتيون المهتمون بتاريخ الكنيسة ووحدتها، تقاربًا مثمرًا ومع روح انفتاح الفكر، أصبح من الممكن أن يدرك الدارس أنه على الرغم التناقضات الكلامية (كمثل « طبيعة واحدة» أو « طبيعتين» الخاصة بالمسيح المتجسد). فإن كل فكر لاهوتي كان يسعى إلى التعبير عن السر الفائق، المتعلق بابن الله المتجسد، الكامل بلاهوته وناسوته. فالانقسامات وسوء التفاهم كانت قد نشأت لأن كل مدرسة فكرية ولاهوتية قد تناولتها من زاوية تختلف عن الأخرى، ولها مفاهيم ومصطلحات مختلفة؛ فنتج عن ذلك أن بدا موقف كل خصم هرطقة بالنسبة للآخر، تستحق الإدانة.

أما في الوقت الحالي فقد بدأ إدراك جديد هو أن الوحدة في الإيمان لا تستلزم وحدة في الصياغة، وأن سر التجسد أعمق من أن تختزنه صيغة كلامية واحدة.

وقد كتب الأنبا بيشوي تحت عنوان مجمعا أفسس وخلقيدونية، السجالات الكريستولوجية في القرنين الرابع والخامس، في كتاب المسيحية عبر تاريخها في المشرق، يقول: «فالذين عبَّروا بالطبيعة الواحدة المتجسدة قصدوا التعبير عن حالة الكينونة بأنها واحدة، والذين عبَّروا بالطبيعتين قصدوا التعبير عن حقيقة استمرار الكينونة للطبيعتين» ويكمل قائلًا: «بتعبير آخر، البعض تكلم على حالة الوجود والبعض الآخر تكلم على حقيقة الوجود، ولأنهم استخدموا التعبير نفسه وهو الطبيعة فقد

coptic-books.blogspot.com

اختلفوا. فالذين قصدوا «حالة الوجود» قالوا طبيعة واحدة، والذين قصدوا «حقيقة الوجود» قالوا طبيعتين. والدليل على ذلك أن الطرفين قد قبلا معًا أن الطبيعتين لا يمكن التمييز بينهما إلا في الفكر فقط. وهذا معناه أنه لا يمكن التمييز بينهما في الواقع بل في الخيال والتأمل. ولا يعني ذلك إلغاء حقيقة وجودهما، بل إلغاء حالة وجودهما في غير اتحاد... والوحدة هي أصدق تعبير عن «الاتحاد الطبيعي» علاوة على ما عرفناه عن إدراك حقيقة الإيمان في المسيح بين الكنائس الشرقية ونضم معهما أيضًا الغربية. فإننا نفهم جيدًا أن الكنائس التي تنادي بعقيدة الطبيعة الواحدة، لا ترفض وجود اللاهوت والناسوت في شخص المسيح يسوع، وهذا واضح أيضًا من البيان الذي اتفق عليه كل من البابا بولس السادس والأنبا شنودة الثالث في اللقاء التاريخي الذي انعقد في مايو ١٩٧٣م، حيث أعلنا : « ... نقر بأن ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح إله كامل من حيث لاهوته، وإنسان كامل من حيث ناسوته، وأن فيه اتحد اللاهوت بالناسوت اتحادًا حقيقيًا كاملًا بغير امتزاج ولا اختلاط ولا تشويش ولا تغيير ولا تقسيم ولا افتراق، فلاهوته لم يفارق ناسوته لحظة ولا طرفة عين. وأنه هو الإله الأزلي الأبدي غير المنظور صار منظورًا في الجسد واتخذ صورة عبد وفيه حفظت كل خصائص الناسوت جميعًا باتحاد حقيقي كامل»[٥].

وكما كتب المطران باواي سورو مطران الكنيسة الآشورية، عام ١٩٩٦م، في المؤتمر الثاني للحوار السرياني في فيينا تحت عنوان «إعادة تقييم لمجمع أفسس - رؤية للكنيسة الآشورية في الشرق»: «يمكن للواحد منا أن يصلي ويأمل أن يستطيع الإخوة الأرثوذكس الشرقيون في سائر التقاليد

coptic-books.blogspot.com

الكنائسية، في المستقبل القريب، أن يتخذوا خطوات مماثلة للخطوات التي اتخذتها الكنيسة الآشورية، وأن يسموا فوق سوء الفهم والحكم التاريخي الخاطئ، أو أية صعاب لا تزال ضد كريستولوجية نسطور، التي أظن أنه قد تم اليوم إعادة اكتشافها وإعادة تقييمها وفهمها وقبولها كتعاليم أرثوذكسية، عن طريق أبحاث الدراسات الحديثة»[١].

ويقدم أستاذنا الراحل الدكتور حنا الخضري، في خاتمة مجلده الثاني لتاريخ الفكر المسيحي، وجهة نظر يجدر بنا أن أقدمها على صفحات هذا البحث، حيث يقول: «بدأ وصول وفود الكنائس إلى اجتماع أفسس الأول ٤٣١ م، بدأ وصول الوفد الأول مع نسطورس في أواخر مايو أو أوائل يونية، وقد وصل الوفد السكندري بقيادة كيرلس في نفس الأسبوع، ووصل وفد أورشليم بقيادة جيوفينال في اليوم العاشر من يونيو، ولم يبدأ المجمع أعماله إلا في الثاني والعشرين من الشهر». ويعلق على هذا الخبر التاريخي قائلًا: في كل هذه الفترة الطويلة لم يحاول أي وفد من الوافدين أو القادة سواء كان كيرلس أو نسطوريوس، أن يأخذ المبادرة لمقابلة الآخر ومناقشة وجهات النظر في هدوء وأخوة في المسيح. ويعتقد أنه لو حاول أحد الأساقفة الآخرين تهيئة جو مسيحي لحوار موضوعي نزيه مجرد من العصبية الحزبية والطائفية أو الكرامة الشخصية، لوصل القديس كيرلس ونسطوريوس إلى حل سلمي، وتلاشي سوء الفهم، وحل السلام والاتحاد بدلا من الخصام والصراع الذي ورثناه ومازلنا نعاني منه حتى الآن. فلم يتقابل كيرلس ونسطور إلا على صفحات الورق في خطاباتهما، وكل منهما يستخدم كلمات ومصطلحات كانت تفهم من كل طرف أنها تخفي وراءها هرطقة دون أن يسأل زميله ماذا

coptic-books.blogspot.com

يقصد وماذا تعني هذه المصطلحات بالضبط. فلو تقابل الرجلان في جو مسيحي هادئ. ولو عرض كل منهما أفكاره وتعاليمه الكرستولوجية على الآخر لوصلا إلى حل للمشكلة»(٧).

لقد تسببت روح الفردية والمصالح الشخصية. والنعرات العنصرية إلى التخاصم والتمزق والانشقاق الذي يصعب ترميمه. وفي حالة الترميم يحتاج إلى قوة علوية. وقلوب متواضعة تتطلع إلى رأب الصدع.وأن تعيش وتمارس حياة الوحدة في المسيح. لأن كنيسة اليوم تجتاز فترة من أصعب الفترات وأحرجها في التاريخ. عدم استقرار في الداخل وهجوم من الخارج.فإن قوات الجحيم تجند جيوشها وتعدها للهجوم على الكنيسة بقصد ملاشاتها من الوجود. وإن كنا نؤمن أن قوات الجحيم لن تقوى عليها. فعلينا أن نتقابل بروح الصلاة ونتحاور معًا لندرك أن الجبال والحواجز التي تفصل الكنائس أصغر بكثير مما نتصور. وسوف يتلاشى الكثير منها عندما نتقابل في حوار مسيحي هادئ ومتزن. ولنقترب من بعضنا البعض. ولا نعطي فرصة أخرى لسوء الفهم. ولا لأي كاتب أيًا كان. أن يكتب خيالًا. ويستنطق تاريخًا مزيفًا يزيد التعصب والهياج. في وقت نحتاج فيه لكل فكر تاريخي إيجابي لبناء مجتمعنا. وخلق تضافرا للجهود للتصدي للتحديات الحقيقة التي تواجه كنيستنا وبلادنا.

ولكي يكون الأمر أكثر تحديدًا حسب متطلبات البحث الذي نقدمه في هذه السطور. فإننا نجد أن ليس التاريخ العام وحده الذي يحتاج إلى البحث عن الصفحات المجهولة التي لم تدرك للكثيرين. بل أيضًا تاريخ الكنيسة منذ نشأتها في القرون الأولى وحتى وقتنا الحاضر. وسوف نقرأ أولاً قصاصة من

coptic-books.blogspot.com

هوامش الفصل السابع

(١) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي ج٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٨٠، ١٨١.

(٢) بيشوي، الأنبا، كنيسة المشرق الآشورية النسطورية، ٧٥ و ٧٦.

(٣) المرجع السابق، ٧٦.

(٤) بسترس، سليم، الأب، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، ١٧٧.

(٥) الكنيسة عبر تاريخها في المشرق، ٢٠٦.

(٦) بيشوي، الأنبا، كتاب وثائقي عن تاريخ الكنيسة الآشورية النسطورية، ٧٤.

(٧) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي، ج٢، ٢٥٦، ٢٥٧.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثامن

مصر وحركة التنوير في عهد محمد علي
قراءة تاريخ الكنيسة الإنجيلية بمصر

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

مصر وحركة التنوير عند محمد علي[1]

معروف أن الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط وشمال أفريقا. (وبالطبع مصر واحدة من تلك الكنائس). جزء من الكنائس الإنجيلية في العالم، و هي الكنائس التي نشأت بعد حركة الإصلاح التي قام بها مارتن لوثر[2]، المصلح الألماني، في القرن السادس عشر، وحدث هذا الإصلاح من داخل الكنيسة الكاثوليكية آن ذاك.

لم تكن حركة الاصلاح الديني في أوربا قدظهرت فجأة وبلا مقدمات، بل دارس التاريخ وحتى القارئ العادي يعرف أنه قد سبق مارتن لوثر بسنوات عديدة، مجموعات وقادة ينشدون هذا الإصلاح ولم يتمكنوا منه حيث المناخ لم يكن جاهزًا له، وأن تربة الإصلاح كانت مُعدَّة في المجتمع فكريا وثقافيًا من القرن الخامس عشر، وهي مايطلق عليه عصر النهضة في أوربا. فمن داخل الكنيسة كانت محاولات الإصلاح متكررة، ومن المجتمع كانت في كمال قوتها في القرن السادس عشر. ومن هنا قد فُتح الباب على مصراعيه وأعدت الساحة وتهيأت لمارتن لوثر وللإصلاح الديني.

ولم تقتصر نهضة أوربا والإصلاح الديني على بلاد الغرب وحدها، بل قد ارتبطت بصورة مباشرة على الحياة الدينية والتطور الثقافي لدى الشرق بصفة عامة والكنيسة الشرقية بصفة خاصة، وذلك بسبب ارتباط مصالح الكنيسة الكاثوليكية الرومانية أولًا، ثم الكنائس الإنجيلية ثانيًا. وبذلك بدا

coptic-books.blogspot.com

أن علاقة الكنائس الشرقية قد تواصلت تواصلاً مباشرًا ووثيقًا بالعمل الذي يقوم به مرسلو الكنائس الغربية على أرض الشرق[٣].

تضافرت عوامل كثيرة لارتباط الشرق بالغرب بقوة بعد حركة الإصلاح في الغرب كما سبق وذكرنا. عوامل اقتصادية واجتماعية وثقافية. هذا بالإضافة إلى خصوصية مصر السياسية والاجتماعية. فقد عاشت مصر من عام (١٥١٧م – ١٨٠٥م) ترزح تحت حكم المماليك ثم العثمانيين. «باستغلاهم الأرض والثروة»[٤]. بل أصاب الناس الذل والخنوع والاستكانة في النفس والاستسلام للواقع المرير[٥].

إن اللافت للنظر أن الطغمة الحاكمة سواء من المماليك أو العثمانيين. بقيت في مصر كإثنية أجنبية ولم تندمج مع شعبها. ولم يحاولوا أن يكونوا مواطنين مصريين أي لم يتمصروا. فقد عاشوا طوال القرون الثلاثة معزولين عن سكان البلاد ينهبون ثروتهم ويبتزون أموالهم ليس إلا. الأمر الذي حفظ لمصر استقلالها نوعًا ما عن الحاكم الأجنبي. مما ساعد في تأسيس قاعدة متينة لإمكانية إنطلاق حركة استقلالية.تجلت بوادرها مع منتصف القرن الثامن عشر بقيادة محمد علي الألباني الأصل[٦].

كان ظهور نجم محمد علي في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر وتوليه الحكم في مصر. هو بداية أفول ثلاثة قرون التي ذاقت فيها مصر الأمرين من حالة الجهل والضعف والتخلف والفقر. تحت حكم المماليك والعثمانيين. وشهدت مصر نهضة جديدة لم يسبق لها مثيل. أرسى قواعدها محمد على. على أساس متين. بناء مصر الحديثة. وأدرك

coptic-books.blogspot.com

بفطرته السليمة - رغم كونه كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب - إن التعليم هو نقطة البداية وأن الحداثة تعني إحياء العلوم والآداب وفتح المدارس وخلق طبقة من العلماء المتخصصين في الهندسة والطب والعمران والأخذ بالأساليب التي أخذت بها الحضارة الأوروبية(٧).

وكما يقول جمال بدوي في كتابه محمد علي وأباؤه بناة مصر الحديثة، ابتدأ محمد علي ينفذ ما كان يجول بخاطره فأنشأ المدارس في القطر على مثال المدارس في أوربا، وجلب لها الأساتذة من هناك، حيث كانت حاجة البلاد ملحة للمدرسين وغيرهم من تخصصات أخرى(٨). لقد مد محمد علي ذراعه إلى أوربا الثقافية يستمد منها الخبرة، ويطلب الخبراء والفنيين من كل صنف ليساعدوه على بناء مشروعه الحضاري، وكانوا يتسابقون للرحيل إلى مصر بعد أن تحولت مصر إلى ورشة عمل هائلة(٩).

لقد مهدت حركة محمد علي التنويرية الطريق أمام المرسلين الإنجيليين وغير اللاإنجيليين الوفود إلى مصر. وبالإضافة إلى القانون العثماني وهو نظام الامتيازات الأجنبية، الذي منح الأجانب الذين يقيمون على أراضي الدولة العثمانية حصانة وحقوقًا وإعفاءات من الخضوع لقوانين الدولة العثمانية، وإنما لقوانين البلاد التي ينتمون إليها(١٠).

كان الشعب المصري بكل فئاته يعاني من الكوارث والفقر، ومن ضغوط الحكم الثلاثي (لوالي والأوجاقات، وهي الجيوش الحامية التي كونها سليم الأول، والمماليك) والذي كان هم كل عنصر فيه جمع المال(١١).

غير أن هذه المعاناة التي أُصيب بها المصريون،يضاف إليها واحدة من

coptic-books.blogspot.com

أهم السمات الشخصية الشرقية، حيث كانت الأمية الكاسحة في ذلك الزمان، وكانت تسود «ثقافة الكلام لا الكتابة» الثقافة الشفوية، فقد كانت الكتابة نادرة، وصحة الخطاب ودقته كانت أقل قيمة من التفاعل الشخصي مع المتحدث - وربما هذه الثقافة لازالت موجودة بقوة في الريف في صعيد مصر حتى وقتنا الحاضر- فمن علامات هذه الثقافة هي الاحترام للآخر ومجاراته في أفكاره. ذلك لأن الشخص أهم في نهاية المطاف من الأراء التي يدافع عنها(١٢).

بذلك لا نستطيع قراءة تاريخ الإرساليات الإنجيليّة في مصر بعيدًا عن معطيات الواقع المصري والتطور التاريخي لمصر كلها.ومن هنا، يجدر بنا أن نقول «إن جذور الفكر واللاهوت والثقافة الإنجيليّةجاءت من أوربا، غير أن المرسلين لم يكونوا تجارًا أو أصحاب مصالح اقتصادية أوسياسية. فهم خدام استجاب قلبهم وعقلهم إلى دعوة إلهية، لمد يد المساعدة، حينما فتح الباب وكانت واضحة». «لأن الرب مسحني لأبشر المساكين،أرسلني لأعصب منكسري القلب، لأنادي المسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق»(١٣)، «أعطاني السيد الرب لسان المتعلمين لأعرف أغيث المعيي بكلمة...»(١٤)

جاء المرسلون وقدموا حياتهم في البداية لخدمة التعليم والخدمةالطبية، والعمل الفردي من خلال الثقافة الشفوية التي فتحت المجال للاتصال المباشر، واحترام الآخر وأفكاره، ومحاولة توعيته لمعرفة الله الحي. ولأن الطريق كانت ممهدة لولادة كنيسة مصرية جديدة، مع أنه لم يكن في قلب المرسلين زرع كنيسة جديدة، فإن تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر - وهو ما نقدمه بتوسع في الصفحات التالية -يعبر وبقوة عن حضورها الفاعل للمجتمع،

coptic-books.blogspot.com

فهي كنيسة وطنية حتى النخاع، فلم تكن إثنية أجنبية ولن تكون بأي حال من الأحوال.

فالكنيسة الإنجيلية في الشرق عامة وفي مصر خاصة أكتسبت، عبر السنين، طابعًا وطنيًا متأصلًا، من حيث اللغة والثقافة والحضارة، مكنها من أن تصبح جزًأ لا يتجزأ من الطابع الحضاري والاجتماعي والديني للمجتمع التي تقطن فيها تلك الكنائس، وتعيش فيه وتتمتع به، كما أنها تسهم بقوة وتثريه، وتؤكد هويتها عن حياة دينية مهمة وإنتاج ثقافي واجتماعي لا يمكن الاستهانة به.

قراءة تاريخ الكنيسة الإنجيلية بمصر

كما تعرضنا في بداية هذا الكتاب للتاريخ العام، يجدر بنا أن نلقي نظرة سريعة على التاريخ الخاص، ونقترب في الدراسة إلى تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر.ففي وقتنا الحاضر الذي نعيشه حيث تلقى الكنيسة كثير من الاتهامات المتكررة بأن الكنيسة الإنجيلية تغزو أو تخترق الكنيسة الأرثوذكسية.بالإضافة إلى ما يكتب في الصحف اليومية[١٥]، وهو أن وجود الكنيسة البروتستانتية نتيجة للإرساليات التي جاءت مع الاحتلال الإنجليزي، وبهذا تُجَّرد الكنيسة الإنجيلية من رسالتها ووطنيتها.

وبرجوعنا للتاريخ، فإننا نرى بادئ ذي بدء، أن الإنجليز لم يدخلوا مصر إلا في ١٤ سبتمر ١٨٨٢م، مع الثورة العرابية، أي أن الكنيسة الإنجيلية كانت قبل دخول الاحتلال الإنجليزي بزمن طويل، والكاتب لا يجد أفضل وصف،

coptic-books.blogspot.com

إلا ما وُصفت به إرساليات المشرق من الأب سليم دكاش[١٦] عنها وهو: إن وجود المرسلين في بلاد المشرق، بصفة عامة، ارتبط، خصوصًا في الماضي، بنواحٍ متعددة ومصالح مختلفة. فلا تاريخ الإرساليات يُختصر في أنه جزء من تاريخ الغرب السياسي، ولا توصف بأنها نوع من الاستمرارية للحملات الصليبية.

أما الإرساليات جاءت إلى مصر من القرن السابع عشر، وتوافدت ليس في مصر فقط بل في الشرق الأوسط. فقد كان أول مرسل لوثري، ألماني الجنسية، كان طبيبًا، ويدعى بيتر هيلنج (Peter Heyling)، جاء إلى مصر في ربيع ١٦٦٣م. وقد قضى في الخدمة سنة ونصف السنة، ثم رحل.

في عام ١٧٥٢م وصل أول مرسل أمريكي إلى مصر تابعًا لكنيسة Moravian Brethren[١٨] التابعة للمصلح جون هس، ولحق به خمسة مرسلون آخرون، وخدموا في القاهرة ومصر الوسطى، وكانت خدمتهم لمدة ثلاثين عامًا، (١٧٥٢م- ١٧٨٢م)[١٩]. إلا أنه لم يكن لهم سوى عمل اجتماعي لا يتجاوز إلا وجودهم، وانتهت خدمتهم برحيلهم من مصر.

وأول مرسل جاء من إنجلترا التابع للكنيسة الإنجليكانية (الأسقفية) عام ١٨١٩م وقد زار هذا المرسل الأديرة بعد مقابلة بطريرك الأقباط الأرثوذكس، وأخذ منه رسائل لرؤساء الأديرة. وكانت خدمته أن يوزع نسخًا من البشائر الأربعة باللغة العربية.

في كتابه «المسيحيّون والقوميّة المصريّة في العصر» يصف الدكتور رياض زاهر حال مصر والمسيحيين في أيام حكم عباس قائلًا: «وقد كان ضعف

coptic-books.blogspot.com

عباس وانصرافه عن تثبيت القوميَّة المصريَّة وكذلك كرهه للمسيحيين. ومحاولة إجلائهم عن البلاد أن حاول الأجانب أن يتسللوا إلى الأقباط ليتخذوا منهم أداة لتنفيذ أغراضهم ولكن هذا لم يكن ليغريهم عن قوميتهم. بل وقد حاولت الكنيسة الروسيَّة أن تلج بهذا السبيل لتكون الكنيسة القبطية تحت حمايتها .... والحقيقة أن هذا الاتجاه من الدول والكنائس الأجنبية لم يحدث إلا لأن الخراف كانت ضالة لا تجد الرعاية الدينية الصالحة. ويكاد كل واحد من أفراد الرعية ينصرف فقط إلى مصلحته الخاصة دون قائد»[٢٠].

نفهم من هذه السطور أن الكنيسة في مصر كانت في أَمَس الحاجة لمن يأتي يقود ويعلّم. فالحاجة هي التي استدعت إرساليات الكنائس الأجنبية أن تصل إلى مصر. غير أنه يلزمنا أن نوضح أنه لم تكن أحوال الكنيسة فقط في حاجة إلى إعادة منظومة التعليم المفقودة . بل كان احتياج المجتمع المصري بأسره.

فقد وقفت حركة التقدم وفترت النهضة التي ظهرت على يد محمد علي.بل تراجعت في عهد عباس. الذي تولى الحكم ١٨٤٨ م - ١٨٥٤م. علاوة على أن عباس استبعد كل ذوي الخبرة والعلم الذين استعان بهم محمد علي. وكان وضع مصركما يسجله التاريخ وخاصة التعليم. فقد ساءت حالة التعليم. وتعطلت بعض المدارس في أواخر عهد محمد علي. بل وأقفل أبوابها في كل المراحل التعليمية عالية وثانوية وابتدائية.أما عباس باشا فقد ألغى معظمها. ولم يلغ معظم المدارس فقط.بل أغلق مابقى من المعامل والمصانع بحجة الاقتصاد والنفقات[٢١].

coptic-books.blogspot.com

أما عصر سعيد باشا عام ١٨٥٤م – ١٨٦٣م. فلم يكن أحسن حالاً في مجال التعليم. لم يوجه سعيد باشا عنايته إلى إحياء النهضة العلمية. واستمر جمود حركة التعليم كما كان أيام عباس. ورغم جمود حركة التعليم إلى هذا الحد فإن سعيد لم يبخل على البعثات الدينية بمساعدته كي تفتح مدارسها بمنح إعانات سنوية لراهبات « بون باستير» BonPasteur الراعي الصالح». كما أنه وهب للبعثة الأمريكية بناء بمصر لتتخذه مدرسة لها. فكانت عنايته بنشر التعليم الأجنبى أكثر من عنايته بنشر التعليم الأهلي[٢٢].

لقد كانت الإرساليات المسيحية في خدمة المجتمع المصري، وقد دخلت إلى مصر بكل ترحيب، ليكن وجودها احتلالاً أو طمعًا بل كإرسالية ورسالة. وما نقرأه في أوراق التاريخ هو أن رأس مال وجودها تبرعًا كان من سعيد باشا.

لم يكن هدف هذه الإرساليات التي جاءت هو تأسيس كنائس إنجيلية في الشرق الأوسط. فقد أتى المرسلون الأوائل بهدف نقل بشارة الخلاص بإنجيل المسيح، كما فهموها، إلى اليهود بالدرجة الأولى، واعتبر هؤلاء المرسلون إنهم مدعوون بإلحاح من الله لتنصير اليهود لأجل تسريع المجيء الثاني للمسيح.كما اعتبروا كل البشر في حاجة إلى اختبار تلك «اليقظة الروحية الإنجيلية» كما اختبروها هم في بلادهم[٢٣]. ونرى ذلك واضحًا في تاريخ الإرسالية الإسكتلندية التي كانت تخدم بين اليهود في الإسكندرية[٢٤]. وهي أول إرسالية بدأت العمل الإنجيلي في مصر.

ويجدر بنا أن نكتب ما سجله التاريخ ليس فقط للإرساليات الإنجيلية بل

coptic-books.blogspot.com

أيضا للإرساليات الكاثوليكية حيث لم تكن تلك الإرساليات تهدف لزراعة أو إضافة كنيسة جديدة في مصر.

في بحث للمستشرق الأمريكي إدوارد يكن في معهد الدراسات القبطية في برنزويك (Brunswick) وترجمه الأستاذ نجيب وهبة يذكر في ص ١٣ و١٤ «....وبعد قرون من الإهمال تحت قيادة ورعاية رجال الكهنوت عرفوا بالجهل واللامبالاة، أصبح مكان الصليب قائمًا وسط مجموعة متنوعة من الخرافات والممارسات البدائية. وكانت تشمل تلك الخرافات على وصفات تجعل العاقر مخصبة وترفع الأجور وتنمي المحصول وتقاوم العين المصيبة بسوء وهذه الأمور تشغل المصريين عامة - والتي لا زالت رواسبها موجودة حتى الآن في بعض القرى والأحياء الشعبية حتى الآن – وهي ما تعكس ما كانت عليه حالة الكنيسة، وخاصة في الأقاليم الريفية في مصر، ومن الممكن إدراك أن الإرساليات الكاثوليكية قد كيفت نفسها مع حالة المسيحية بمصر، وقد لخص أحد الآباء الفرنسيسكان الذي كان على صلة وثيقة بالفاتيكان وسياستها التبشيرية، لخص أسلوب فهم الكاثوليك للمسيحية في مصر فيما يأتي:

«أن الإرساليات الكاثوليكية في مصر تدرك أن عليها أن تساعد على إعداد كنيسة قبطية قوية، والفاتيكان يريد من إرسالياته أن تعمل على تقوية الكنيسة القبطية، فالأفضل أن يكون الشخص قبطيًا صالحًا من أن يكون كاثوليكيًا طالحًا، وليس لنا الحق أن نزرع بذور الشك بين أناس يكونون على ثقة قوية بدينهم، ولكن الإرساليات الكاثوليكية التبشيرية تسببت فعلًا في تحول أفراد لا يكون لهم من يرعاهم أو يسأل عنهم، تمامًا كالممتلكات

coptic-books.blogspot.com

التي لم تجد من يطالب بملكيتها»[٢٥].

ومتابع حركة التاريخ العام[٢٦]، يعرف أن السنوات ما بين ١٨٣٠م و١٨٦٢م شهدت الكثير من الأحداث والتحوّلات على مختلف الأصعدة. بتولي محمد علي حكم مصر، وبطموحه السياسي والاجتماعي، وحركة النهضة والتقدم العلمي والحراك الاجتماعي الذي قاده في البلاد. فتح الباب للإرساليات نحو الشرق بصفة عامة، ومصر بصفة خاصة. بالإضافة إلى ذلك فإن محمد على كان يختار أحسن الناس لخدمته، وأحاط نفسه بكثير من الأوربيين المسيحيين لعلمهم أمانتهم[٢٧].

يفسر البعض وجود الإرساليات الأجنبية في ظل سياسة محمد علي، وخاصة المرسلين الإنجيليّين، على أن أولئك المرسلين جاءوا بقصد واضح، وهو إخضاع الشعوب الشرقية الإسلامية والعربيّة لنيرالاستعمار الغربي. وهذا اعتقاد خاطئ لا يؤخذ به جديًا في دوائر العلم والبحث، ولكنه اعتقاد شعبي شائع خصوصًا في الأوساط الأصولية الإسلامية. وهو يشكل خطرًا عمليًا إن لم يكن نظريًا أو فكريًا. بينما يعترف كثير من المؤرخين أن الإرساليات الأمريكية وخصوصًا في القرن التاسع عشر وفي هذه المنطقة بالذات - ومعظم كنائسنا هي نتيجة هذه الإرساليات - كان لها في البدء طابعًا روحيًا لا غبار عليه[٢٨].

ويؤكد على ذلك المؤرخ السوري عبد اللطيف طيباوي قائلًا: « إن التبشير الأوربي في البلدان الأجنبية غالبًا ما اتخذ طابعًا سياسيًا فضلًا عن طابعه الروحي لم يكن مشكوكًا فيه ... ويكمل القول إنه إذا جاز أحيانًا أن ننظر

coptic-books.blogspot.com

إلى الإرساليات الأمريكية فهي لا ينطبق عليها هذا القول. لقد كانت الغيرة الدينية طابعها الأوحد منذ البدء»[٢٩].

لقد انتهجت الإرساليات نهج التعليم كمدخل لها لتقديم الرسالة. بل كان احتياجًا في ذلك الوقت كما رأينا أيام سعيد باشا. واعتمدت الحياة الروحية والتقوى والليتورجيَّة الإنجيليَّة على نشر كلمة الله الحي المشهود له في الكتاب المقدس.لذا كان أول حقل يعمل فيه المرسلون التعليم. فأسسوا المدارس التي تمكّن الأشخاص - الذين يلتحقون بها - أن يتأثروا بتعليمهم وطريقة حياتهم من المثابرة على إيمانهم وتعليمهم. فالتعليم والتثقيف هما أحد أهم الوسائل التي استعملها المرسلون الإنجيليون[٣٠]. ليس فقط في مصر بل في كل بلاد الشرق.

استطاع المرسلون الإنجليكان افتتاح مدرسة للبنين وأخرى للبنات في القاهرة ١٨٣٣م. وبدء ستة اجتماعات لدرس الكتاب المقدس (بتصريح من بطريرك الكنيسة القبطية. البابا بطرس الجاولي). وأيضًا افتتاح مدرسة لاهوتية لإعداد كهنة للكنيسة القبطية. في الفترة (١٨٤٢م- ١٨٤٧م). تخرج منها أحد الأساقفة الذين تمت سيامتهم في إثيوبيا[٣١].

ويذكر في بحثه الشامل عن الإرساليات والكنائس الإنجيلية في المشرق. أديب نجيب سلامة قائلًا : «قد عملت الجمعية المرسلية الكنيسة CMS. على نشر الكتاب المقدس. وتعليم الإيمان المسيحي للشباب. بهدف إنهاض الكنيسة القبطية. لكنها لم تسع أبدًا لتأسيس كنيسة إنجليكانية. إلا بعدما طلب عدد كبير من العاملين في مؤسسات (مدارس ومستشفيات)

coptic-books.blogspot.com

هذه الكنيسة في ما بعد الانضمام للكنيسة الإنجليكانية»[٣٢].

في كتاب الكنيسة الإنجيليّة المشيخيّة بمصر «مائة وخمسون سنة»، يقول القس إميل زكي: «دخلت الكنيسة الإنجيليّة مصرعام ١٨٥٤ على يد بعض المرسلين من الكنيسة المشيخيّة بالولايات المتحدة الأمريكية لتقديم رسالة الإنجيل بروح المحبة لجميع الناس. ولم يكن الهدف من مجيئهم منافسة الكنيسة الأرثوذكسية في بلادنا بل لتقف معها لأجل نهضة الكنيسة في مصر من خلال التركيز على كلمة الله المكتوبة. والتمسك بسلطان كلمة الله كالدستور الوحيد المعصوم للإيمان والأعمال بالكلمة الحي المسيح المخلص. إذ كلمة الله لم تكن متداولة بين عامة الشعب في ذلك الوقت لأن طباعة الكتاب لم تكن قد تمت»[٣٣]. فكان شغل المرسلين الشاغل هو توزيع الكتاب المقدس. وتقديم الرسالة الإنجيلية الروحية.

لقد قدمت الكنيسة الإنجيلية المصرية بقوة مساهماتها في التعليم للمجتمع ونهضة الكنيسة من خلال تعريب العبادة أي الصلاة باللغة العربية. أي في ثوب مصري وبلغة المصريين كما يقول القس إكرام لمعي[٣٤]. وقد فهمت القرينة العربية كما يقول أديب نجيب سلامة. فركزت على التغيير والتجديد والتطوير المستمر وحاربت الجهل والخرافة[٣٥].

في مقالة عن الأب متي المسكين بعنوان. متى المسكين.... اللاهوت قبل السياسة. يكتب عبدالله طحاوي في حاشية المقال عن مدارس الأحد فيقول: «إن مدارس الأحد تعود نشأتها إلى القرن الـ ١٨م داخل الكنائس البروتستانتية في الغرب. ثم انتقلت إلى الطوائف الأخرى. وبدأت في مصر

coptic-books.blogspot.com

في الكنيسة الإنجيلية عام ١٩١٤م. ثم انتقلت إلى الكنيسة الأرثوذكسية عام ١٩١٨م. وأسسها حبيب جرجس. وهي عبارة عن فصول للتنشئة الاجتماعية والدينية للأطفال والشباب. وكانت تخصص يوم الجمعة لطلبة المدارس الأميرية. ويوم الأحد لطلبة المدارس الأهلية. وتخرج فيها معظم القيادات الكنسية الحاليين»[٣٦].

فالكنيسة الإنجيلية لم تقتصر في دورها على الكرازةلكنها كانت بمثابة مبادرة في خلق دولاب لصناعة القادة. وخلق كوادر جديدة بصورة مباشرة وغير مباشرة لخدمة الكنيسة القبطية. وخدمة المجتمع بصورة عامة.

وقامت الكنيسة الإنجيلية أيضًا بالعمل الاجتماعي من مدارس ومستشفيات. وأقامت كلية لاهوت لتعليم القيادات الدينية والذين كانوا لا يعرفون القراءة أو الكتابة. ولو لم تقم الكنيسة الإنجيلية بكل هذه لاندثرت المسيحية في مصر كما حدث في دول المغرب العربي حيث تمسكت الكنيسة باللغة اللآتينية ورفضت تعريب الكتاب المقدس. فأخذت تنحسر حتى صار المسيحيون هم فقط الأجانب. ولم تعد هناك كنيسة عربية[٣٧].

لقد فهم قادةالكنيسة الإنجيلية القرينة كما سبق القول. وأتقنت اللغة وكانت لها الريادة في مصر ومازالت تحاول أن تحافظ على ريادتها.فكانت لها السبق في إصدار أول مجلة دينية في مصر والشرق الأوسط في يناير ١٩١١م.

في سبعينيات القرن الثامن عشر. وحكم الخديوي إسماعيل. أبرم الخديوي في ٤ أغسطس ١٨٧٧ معاهدة للتعاون على إبطال الرقيق[٣٨]. ماذا فعلت الكنيسة الإنجيلية الوطنية. وتمشيًا مع تعاليم ومبادئ كلمة الله؟

coptic-books.blogspot.com

يروي التاريخ المصري عن وطنية الإنجيليين والمبادئ الأخلاقية التي أرسوها.... فقد تقدم واحد من أثرى الأثرياء - يدعى أخنوخ يوسف. ينتمي إلى الكنيسة الإنجيلية. وكان يملك عزبة بها آلاف العبيد تدعى صفط ميدوم - لكي تضمه الكنيسة إلى عضويتها. وقد كانت الكنيسة في ذلك الوقت ناشئة عددها بالعشرات. اشترط عليه راعي الكنيسة أن يحرر عبيده أولًا ليقبلوه عضوا بالكنيسة الإنجيلية(٣٩).

للكنيسة الإنجيليّة في المجتمع المصريّ تاريخًا ثريًا في الماضي. وفاعل الحضور في الواقع المعاش الآن. ويستشرف قوته للمستقبل. قد نفتخر بالكنيسة ودورها الرائد في مجالات كثيرة. على رغم القراءة المغايرة من آخرين لها ولوجودها وتاريخها. لذا نحتاج إلى قراءة متوازنة وسجلًا واضحًا. يشمل افتخارنا بالماضي، ومعرفة التحديات التي واجهت أبناء الكنيسة ورجالاتها ودورهم البارز في تكوين فكر الكنيسة. وصياغة دور وهوية الكنيسة في المجتمع. وكيف سخَّر أولئك القادة موارد بيئتهم والطاقات الموجودة في أنفسهم في سبيل السيطرة على التحديات وخلق مناخ يساعدهم على التغلب على الصعوبات. كما نحتاج للتنقيب والفحص لتشخيص نقاط الضعف التي بسببها تعثرت الكنيسة أو لم تستطع إيجاد حلول لبعض المشكلات. إن إهمال التاريخ يُعد خطوة إلى الوراء. أما التواجد الفاعل يتأتَّى من قراءة التاريخ الغائب. ومعرفة كيفية استخدامه لصناعة تاريخ يتفاعل مع متغيرات الواقع. وتحديات القرن الحادي والعشرين.

coptic-books.blogspot.com

هوامش الفصل الثامن

(١) وُلد محمد علي في ٤ مارس عام ١٧٦٩م من سلالة ألبانية ببلدة (قولة) أحد الموانى الصغيرة الواقعة على الحدود بين ترافية ومقدونيا. توفى والده إبراهيم أغا وهو مازال في مرحلة الطفولة فأعتني به عمه طوسون إلا أنه توفي هو الآخر. فتبناه احد أصدقاء والده. وعمل على رعايته وتربيته حتى بلغ الثامنة عشر فتعلم الفروسية واللعب بالسيف. ألتحق بالخدمة العسكرية في الجيش. وقام بخدمة حاكم قولة واكتسب رضاه بذكائه ومهارته. واكتسب الكثير من العادات والآداب الفرنسية. وعندما بلغ محمد على سن الثلاثين انضم للجيش مرة أخرى عندما بدأ الباب العالي في حشد جيوشه لمهاجمة الجيش الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت.

كان محمد علي نائب رئيس الكتيبة الألبانية والتي كان قوامها ثلاثمائة جندي، وكان رئيس الكتيبة هو ابن حاكم قولة الذي لم يكد يصل إلى مصر حتى قرر أن يعود إلى بلده فأصبح هو قائد الكتيبة. وظل في مصر يترقى في مواقعه العسكرية. وظل يواصل خططه للتخلص من خصومه إلى أن تخلص من خورشيد باشا وأوقع بالمماليك حتى خلا له كرسي الحكم بفضل الدعم الشعبي الذي قاده عمر مكرم.

كان أحد الشخصيات البارزة في التاريخ المصري في العصر الحديث. ويرجع إليه الفضل في بناء مصر الحديثة. حيث شهدت مصر في عصره نهضة في مختلف المجالات سواء الاقتصادية أو العسكرية. رغم أن فترة حكمه كانت فترة بداية حرجة في تاريخ مصر خلال القرن التاسع عشر حيث نقلها من عصور التردي إلى أن أصبحت دولة قوية يعتد بها.

كانت أهم دعائم دولته العصرية سياسته التعليمية والتثقيفية الحديثة. اهتم بالتعليم بدرجة لم يسبقه إليها أحد من حكموا مصر وذلك لأنه أدرك أن شعوب أوروبا لم تنهض إلا عندما نهض بها التعليم. حيث كان يؤمن بأنه لن يستطيع أن ينشئ قوة عسكرية على الطراز الأوروبي المتقدم ويزودها بكل التقنيات العصرية وأن يقيم إدارة فعالة واقتصاد مزدهر يدعمها

coptic-books.blogspot.com

ويحميها إلا بإيجاد تعليم عصري يحل محل التعليم التقليدي. ووجد إن هذا التعليم العصري يجب أن يقتبس من أوروبا. ولذلك فإنه قام منذ عام ١٨٠٩ بإرسال بعثات تعليمية إلى عدة مدن إيطاليا مثل ليفورنو وميلانو وفلورنسا وروما وذلك لدراسة العلوم العسكرية وطرق بناء السفن والطباعة. وأتبعها ببعثات لفرنسا وكان أشهرها بعثة عام ١٨٢٦ التي تميز فيها إمامها المفكر والأديب رفاعة الطهطاوي الذي كان له دوره الكبير في مسيرة الحياة الفكرية والتعليمية في مصر. وقد قام بفتح مصر لكل وافد. وانفتح على العالم ليجلب خبراته لتطوير مصر. ولأول مرة أصبح التعليم منهجيًا. فأنشأ المدارس التقنية ليلتحق خريجوها بالجيش. وأوجد زراعات جديدة كالقطن. وقام ببناء المصانع. واعتنى بالري. وشيد القناطر الخيرية على نهر النيل عند فرعي دمياط ورشيد.

وحرص على إنشاء التعليم النظامي الواضح المعالم لأول مرة في مصر. وأنشأ العديد من الكليات وكانت يطلق عليها آنذاك «المدارس» وذلك لتعليم كافة أبناء الشعب المصري. ومنها المدارس الحربية مثل مدرسة السواري أو الفرسان بالجيزة. ومدرسة المدفعية بطرة ومجمع مدارس الخانكة. ومدارس الموسيقي العسكرية وغيرها من المدارس. وأيضًا كان هنالك العديد من المدارس الأخرى مثل «مدرسة الولادة» واستجلب لها القابلات اللاتي كن يعملن بتلك المهنة آنذاك ليتم تدريبهن على أسس علمية صحيحة وإعطائهن شهادات معتمدة في نهاية الدراسة. ومدرسة الطب أو مدرسة القصر العيني ومدرسة الطب البيطري ومدرسة الزراعة. ومدرسة الطوبجية بشبرا. التي تحولت فيما بعد إلى مدرسة المهندسخانة والآن كلية الهندسة وكان الغرض من إنشائها عسكريًا بالأساس. وذلك لتزويد الجيش المصري بالبنائين المحترفين لإنشاء الحصون وتطوير العمارة وما إلى ذلك.ومدرسة الألسن التي أنشأها لأنه لاحظ أن أبناء الأرمن والأقباط واليهود والشوام يستطيعون الترقي في أعلى المناصب أو إنعاش تجارتهم وإزدهارها لقدراتهم اللغوية الجيدة وإلمامهم بالكثير من اللغات مما يجعلهم يحسنون التعامل مع الجالية الأجنبية في مصر والتقرب منهم سواء بغرض التجارة أو التعلم.توفي محمد علي باشا في ٢ أغسطس ١٨٤٩م. بعد أن تمكن من نقل

coptic-books.blogspot.com

مصر نقله حضارية هامة مازال التاريخ يتذكرها حتى الآن.

(٢) ولد مارتن لوثر في العاشر من نوفمبر سنة ١٤٨٣ ببلدة أيسلبن (سكسونيا- أنهالت) ابناً لعامل المنجم هانس لوثر ومارجريت ليندمان، في أسرة صغيرة من عمال المناجم متواضعة ومتدينة وجِد صارمة في تربية أبناءها. التحق لوثر في سنة ١٤٩٧م بالمدرسة اللاتينية مجدبرج، التحق في جامعة إرفورت سنة ١٥٠١م وحصل على الإجازة الجامعية في سنة ١٥٠٥م. وفي سنة ١٥٠٨م قام بتدريس الفلسفة في جامعة وتنبرج، في سنة ١٥١١م سافر إلى روما، وهذه الرحلة هي التي غيرت مجرى حياته. حاول لوثر حركة الاصلاح من داخل الكنيسة، إلا أن صدور صكوك الغفران من روما أثار حميته الروحية والتي استدعته أن يعلق على باب كنيسة وتنبرج بياناً يحوي ٩٥ قضية، وكان هذا بمثابة دعوة مفتوحة من مارتن لوثر للسلطة الكنسية للحوار لإصلاح حال الكنيسة.

(٣) أستيريوس أرجيريوا «المسيحيون في العصر العثماني الأول» في المسيحية عبر تاريخها في المشرق، بيروت، مجلس كنائس الشرق الأوسط، ٢٠٠٢م، ٦١٨.

(٤) مرقس، سمير، (المسيحيون خلال العصر العثماني الثاني- الأقباط في العصر العثماني) في المسيحية عبر تاريخها في المشرق، بيروت، مجلس كنائس الشرق، ٢٠٠٢م، ٦٧٤.

(٥) بدوي، جمال، محمد علي وأولاده، بناة مصر الحديثة، مهرجان القراءة للجميع، القاهرة: مكتبة الأسرة، ١٩٩٩م، ٣١.

(٦) المرجع السابق سمير مرقس، ٦٧٤ و ٦٧٥.

(٧) بدوي، جمال، محمد علي وأولاده، مهرجان القراءة للجميع، القاهرة: مكتبة الأسرة، ١٩٩٩م، ٣٣ و٣٤.

(٨) المرجع السابق ٣٨.

(٩) المرجع السابق، ٧٣.

(١٠) مرقس، سمير، المسيحية عبر تاريخها في الشرق، ٦٧٤.

coptic-books.blogspot.com

(١١) مرقس، سمير، المرجع السابق، ٦٧٥.

(١٢) برنار هيبرجيه، تطور الكثلكة في الشرق(القرن السادس عشر – القرن السابع عشر)، المسيحية عبر تاريخها في المشرق، ٢٠٠٢م، ٦٤٠.

(١٣) إشعياء ٦١: ١.

(١٤) إشعياء ٥٠: ٤.

(١٥) حوار أجراه عمر بيومي مع الأنبا موسى، جريدة المصري اليوم، ٢٧ أبريل ٢٠٠٨. يمكن الرجوع إليه على النت.

(١٦) دكاش، سليم، الأب، الإرساليات الكاثوليكية في المشرق، المسيحية عبر تاريخها في المشرق، الفصل الثالث والعشرون، بيروت: ٢٠٠٢.

(١٧) سلامة، أديب نجيب، الإرساليات والكنائس الإنجيليَّة في المشرق، المسيحية عبر تاريخها في المشرق، بيروت: ٢٠٠٢.

(18) Wikipediathe free Encyclopaedia

(١٩) المسيحية عبر تاريخها في المشرق، مجلس كنائس الشرق الأوسط، برنامج الدراسات والأبحاث، ٢٠٠٠، ٧٣٥.

(٢٠) زاهر، رياض، المسيحيون والقومية المصرية في العصر الحديث، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٩، ٨٢.

(٢١) الرافعي، عبد الرحمن، عصر إسماعيل، ج١، ط٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م، ٢١ – ٤٢.

(٢٢) الرافعي، عبد الرحمن، عصر إسماعيل، المرجع السابق، ١٢- ٢٤.

(٢٣) المسيحية عبر تاريخها في المشرق، الأرساليات والكنائس الإنجيلية في المشرق، ص ٧١٣.

(٢٤) سلامة، أديب نجيب ، المسيحية عبر تاريخها في المشرق، ٧٤٣.

(٢٥) إدوارد، يكن، أقلية معزولة القصة الحديثة لأقباط مصر، ترجمة نجيب وهبة

coptic-books.blogspot.com

(بحث غير منشور باللغة العربية). لكن يمكن الرجوع إليه في

Society of Coptic Church Studies.P.O. Box 714, East Brunswick, NJ 0881.

(٢٦) الأب دكاش سليم، الأرساليات الكاثوليكية، ٦٩٤.

(٢٧) بوستر، لوزا، تاريخ الكنيسة المصرية، ٣١٥.

(٢٨) صلاح، عيد، القس، مدخل للأدب العربي في القرن ١٩، بحث غير منشور، نقلاً عن لمعي، إكرام، الوجه الآخر للكنيسة (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٧)، ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢٩) لمعي، إكرام، د. ق، الوجه الآخر للكنيسة، القاهرة: دار الثقافة،١٩٩٧م، ٢٠٧.

(٣٠) المسيحية عبر تاريخها في المشرق، الإرساليات والكنائس الإنجيلية، ٧١٧.

(٣١) المسيحية عبر تاريخها في المشرق، الإرساليات والكنائس الإنجيلية في المشرق في مصر والسودان، أديب نجيب سلامة، ٧٣٦.

(٣٢) المسيحيةعبر تاريخها في المشرق، المرجع السابق، ٧٣٦.

(٣٣) زكي، إميل، القس، الكنيسة الإنجيلية المشيخية بمصر مائة وخمسون سنة، تعليم.. وشركة.. واحتفال، القاهرة: درا الثقافة، ٢٠٠٥، ٧.

(٣٤) الغزو الإنجيلي بين الحقيقة والوهم، مجلس الإعلام وانشر، القاهرة: دار الفكر الإنجيلى،٢٠٠٩م، ١٠.

(٣٥) صلاح، عيد، سيمنار حول مدخل الأدب العربي المسيحي الإنجيلية في مصر والشرق الأوسط خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتحليل ورصد، بحث غير، منشور، ٢٠١٠، ١١.

(٣٦) الطحاوي، عبدالله، متي المسكين ... اللاهوت قبل السياسة،على رابط،

ten.enilnomalsi.www

(٣٧) الغزو الإنجيلي بين الحقيقة والوهم، مرجع سابق، ١١.

coptic-books.blogspot.com

(٣٨) الرافعي، عبد الرحمن، عصر إسماعيل، ج١، ط٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م،٦٦.

(٣٩) الغزو الإنجيلى، بين الحقيقة والوهم، (مقال للقس إكرام لمعي، في مجلة روزاليوسف، تحت عنوان الكنيسة الوطنية في عدد نوفمبر ٢٠٠٩م، ٧٦، ٧٧).

coptic-books.blogspot.com

الفصل التاسع

أخلاقيات الحوار والجدل اللاهوتي

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

أخلاقيات الحوار اللاهوتي والجدلي

خلق الله البشر كائنات عاقلة. وتختلف طريقة التفكير باختلاف البيئة التي ينشأ فيها الفرد والجماعة. ومن هنا تأتي ضرورة الحوار والتلاقي. على مستوى الفرد (الحوار مع النفس). المجموعات الصغيرة كالأسرة والعائلة. والكنيسة المحلية والكنيسة العامة. والمجتمع الأوسع والمتنوع والمتعدد الفكر والثقافة والدين والعقيدة.

فالتعدد والتنوع أمر إيجابي ينمي الحوار ويزيد الوعي والتنوع والغني الثقافي. وأنها ظاهرة صحية في أي مجتمع سواء مجتمع ديني أو مجتمع مدني. فلا يمكن للأحادية أن تكون السبيل الأفضل لدور الكنيسة وإن اختلف اتجاهها. ولا الأحسن لتكامل ثقافة الأمة وتطورها وغناها وغنى معتقداتها. ولا شك أن ضيق هامش الحرية والديموقراطية في الكنيسة أو المجتمع. لم يتح المجال للتعددية الدينية والثقافية أن تأخذ مداها. بل على العكس. حاصر الجميع. وأدى إلى الشعور بالغربة والاغتراب والتوجه نحو الهجرة الجسدية والروحية عن الكنيسة والوطن وعن قضاياهما[1].

ورغم أن هذا التنوع مصدر غنى. إلا أنه في نفس الوقت مصدر قلق وخوف. لكن هناك أخلاقيات تحكم هذا التنوع وتحافظ على هذا الثراء. وتزيل كثير من القلق والخوف. وهذا ما يجعلنا نقف أمام واحدة من الأخلاقيات الضرورية والمهمة وهي أخلاقيات الحوار. الأخلاقيات التي تحكم الحوار كمنظومة للقيم.

coptic-books.blogspot.com

وفي الواقع فإن الحوار يعتبر مغامرة، بعد أن أصبح لفظ الحوار كلمة مستهلكة ومفرغة من المضمون لكثرة ما يتداوله السياسيون والكنائسيون والعامة بشكل مفرط، حتى يكاد يفرغ الحوار من معناه، ومن قيمته. لهذا يجب علينا مواجهة الأمر ومعرفة معنى الحوار.

معنى الحوار

يعرف البعض الحوار على أنه قيمة مطلقة بذاته ومكسب من مكتسبات الثقافة المعاصرة، وغايته هي معرفة الذات والآخر على قاعدة الاعتراف به وقبوله كما هو، واحترام حق الاختلاف كقيمة إنسانية وكحق أساسي. فمن مبدأ الحرية تنبع ضرورة الاعتراف بالآخر كما هو، بصفته شخصًا جديرًا بالحرية، مع ضرورة أن نميز بين الحقيقة البشرية والحقائق الأخرى.. فالحوار ضمن أخلاقيات الإنسانية هو النقيض المباشر للنبذ والإلغاء والاستقواء والغلبة[٢].

إننا نعيش عصر إنزوائية الإنسان، عصر تجريد الإنسان من قيمه الاجتماعية وترابطه العائلي وجعله فردًا لا شخصًا، تدخل عوامل جديدة تضر وتزعزع أسس التعايش بين أبناء الدين الواحد وأيضًا البلد الواحد، وتجعل العصبية والفردية انتماء الجميع[٣].

ويقول آخرون إن الحوار دعوة إلى الصدق مع الذات ومع الآخر ولا يمكن اختصاره بحسب المعاشرة والتكذيب في التعاطي والقول الحسن، وحتى التسامح والسطحية في التعارف والتقارب بل هو «حوار يراعي مشاعر الأفراد والجماعات المختلفة».فالحوار هو قبل كل شيء الإيضاح والشرح وليس

coptic-books.blogspot.com

الجدل، لأن الجدل يستهدف إقناع الآخر بأخطائه،يحول دون التلاقي الوجداني، بل ويغلب طابع الإلغائية على مبدأ الاعتراف بالآخر.في حين أن الحوار إيجابي من خلاله أشرح نفسي للآخر، واسأل الآخر أسئلة ليوضح نفسه، بلا ارتياب أو شك.

فالحوار يقود إلى الينابيع الأولى وإلى رؤية الوثبات الخلاقة التي انطلق منها فكر الآخر، فيتجاوز حوارنا من مجرد التعايش الاجتماعي ليصل إلى التلاقي، أي تداخل حياتي وفكري ووجداني. بعض المثقفين يعتقدون أنه بالعقل وحده يمكن أن يتخطى الإنسان انقسامات البشرية، أو نزاعات العقيدة. فليس العقل أو العلم يجعل الناس في لقاء الوجدانيات، ولكن القلب يلقى القلب[٤].

ويقول الأرشمندريت د. ميلاتيوس بصل[٥] بصدد التعايش الوجداني: «إن التعايش الحقيقي لا يكون مسايرة ومجاراة الآخر لكي لا تحصل إشكاليات، بل تفهم ولقاء وجداني. اللقاء والتعايش يفرض أن أبحث عن إيجابيات الآخر، اكتشف نقاط تلاقينا ونطورّها في تعايش حقيقي مسنود بمحبة الإنسان للإنسان. فعندما يوجد اللقاء يوجد الموقف الروحي الحقيقي والعقلية النضرة وتحل بدلًا من الدفاعية والجدل. ويبدأ الحوار حيثما يضطرني الآخر، لمجرد وجوده الواعي، أن أطرح عبر نفسي تساؤلات لم تكن أو لم يكن الآخر رفيق حياتي. المحاورة لا تنحصر في المحبة ولو كانت المحبة أصل وجودنا وغايته. ولكنها ترسبها على الصعيد الفكري. المحاورة ليست معايشة وحسب بل محاولة تفاهم ورحابة تجعل أحدنا وكأنه الآخر وهو لم يفقد هويته الإيمانية. التعايش الحق ليس هو أن يتحدث الإنسان عن التجديد الذي قد يظهر في

coptic-books.blogspot.com

صفوف الآخرين، ولا أن يتصيد أخطاء الآخر ويستغلها. بل التعايش هو التواجد الوجداني وتطبيقه في كل مراحل الحياة»[٦].

يجدر بنا أن نختم صفحات هذا الكتاب بكلمة أخيرة عن آباء الكنيسة في القرون الخمسة الأولى حيث كانت لديهم الحساسية المفرطة خوفًا على كلمة الله. فكانوا يدافعون عنها بكل ما كان عندهم من قوة. ولم يتعطلوا عن رؤية يد الله وحضوره أينما كان يظهر. والخطأ الذي حدث ولاتزال آثاره باقية هو نقص في الحوار المباشر بين أولئك الذين أخلصوا من القلب لسيدهم.فما ارتكبه نسطوريوس وكيرلس عمود الدين من زلة جرّت الكنيسة وراءها في منحدر الألم والمعاناة والانقسام، هو عدم التمكن من الحوار المباشر بينهما، وتغلب عليها التمسك بالكلمات والتشدق بالرأي الشخصي.

فعلينا أن لا نغفل أو نهمل تسجيل الجوانب المضيئة والإيجابية التي كانت في حياة آخرين من الآباء تنير لنا الطريق، ونتعلم منها. فما قاله القديس غريغوريوس النزينزي بخصوص الحوار والجدل: «لا يجب أن نتنازع على الألفاظ متى شرحت المعاني، من أنه لا يصح الاختلاف في التعبيرات اللفظية سببًا في النزاع وربما الفرقة والخصام. وليشرح المعنى ولتوضح المعاني بدلًا من التراشق بالحرومات والاتهامات، وما في القلوب سوى الإيمان الصحيح»[٧].

ويقول القديس ذهبي الفم: «إنه ممنوع على الأخص على المسيحيين أن يصححوا الذين وقعوا في الخطية بالعنف فنحن نحارب بأننا نأتي بالموت إلى الأحياء، بل نجاهد بأن نرجع الحياة إلى الأموات (بالخطية) وفي جهادنا

coptic-books.blogspot.com

هذا يجب أن نكون ودعاء متواضعين... أنا أقنع، ليس بالإجراءات القمعية بل بالكلام، وأريد أن أطرد لا الهراطقة بل الهرطقة. لقد تعودت أن أعاني من السحق لا أن أسحق أحدًا، وأن أحتمل الاضطهاد لا أن أضطهد أحدًا. المسيح كان منتصرًا وهو مصلوب وليس وهو صالب، لم يضرب بل تلقى الضربات»[٨]

كما أن كبريانوس أسقف قرطاجنه (الذي أُطلق عليه بابا شمال أفريقيا) يقول: « لا يصح لأي واحد أن يحارب بعناد عن أمور سبق وتعلمها وعرفها، حتى إذا اكتشف تعليمًا أفضل وأكثر نفعًا، فليعتنقه بطيب خاطر، لأننا لا نتأذى إذا قدم لنا شئ أفضل، بل فلنتعلمه على الأخص إن كان ذلك يعود علينا بوحدة الكنيسة وبإظهار الحق في رجائنا وإيماننا المسيحي»[٩] ويشهد عن حياة هذا القائد العملاق القديس أغسطينوس وهو يقدم نموذجًا عن السلوك المسيحي، فيصف حياة كبريانوس في الكلمات الآتية: «إن بهاء محبته المسيحية كان يشع أولًا بسبب أنه لم يكن يخفي ما يفكر فيه بل كان يعبر عن أفكاره بطريقة سلامية مترفقة، لذلك فلم يفصم الصلة أبدًا مع الذين لا يوافقهم في آرائهم. لقد فهم كم هي عظيمة منافع رباط الوحدة التي أحبها جدًا وصانها بغيرة شديدة، لأنه عرف جيدًا أنه حتى الذين يفكرون بطريقة مختلفة يمكن أن يظلوا داخل رباط المحبة، وأنه من أجل سلام وخلاص الكرمة السماوية الرقيقة لم يكن يشاء أن يقتلع القمح مع الزوان»[١٠]

إن آباء الكنيسة كانوا كسحابة شهود استطاعوا بنعمة الله العاملة فيهم أن يقدموا في الأزمنة الغابرة شهادة حية عن شخص الرب يسوع المسيح. لكن الأمر المؤلم والموجع أن بعضًا من هؤلاء بذلوا مجهودات ضخمة

coptic-books.blogspot.com

صفوف الآخرين، ولا أن يتصيد أخطاء الآخر ويستغلها، بل التعايش هو التواجد الوجداني وتطبيقه في كل مراحل الحياة»[٦].

يجدر بنا أن نختم صفحات هذا الكتاب بكلمة أخيرة عن آباء الكنيسة في القرون الخمسة الأولى حيث كانت لديهم الحساسية المفرطة خوفًا على كلمة الله، فكانوا يدافعون عنها بكل ما كان عندهم من قوة، ولم يتعطلوا عن رؤية يد الله وحضوره أينما كان يظهر. والخطأ الذي حدث ولاتزال آثاره باقية هو نقص في الحوار المباشر بين أولئك الذين أخلصوا من القلب لسيدهم. فما ارتكبه نسطوريوس وكيرلس عمود الدين من زلة جرّت الكنيسة وراءها في منحدر الألم والمعاناة والانقسام، هو عدم التمكن من الحوار المباشر بينهما، وتغلب عليها التمسك بالكلمات والتشدق بالرأي الشخصي.

فعلينا أن لا نغفل أو نهمل تسجيل الجوانب المضيئة والإيجابية التي كانت في حياة آخرين من الآباء تنير لنا الطريق، ونتعلم منها. فما قاله القديس غريغوريوس النزينزي بخصوص الحوار والجدل: «لا يجب أن نتنازع على الألفاظ متى شرحت المعاني، من أنه لا يصح الاختلاف في التعبيرات اللفظية سببًا في النزاع وربما الفرقة والخصام، وليشرح المعنى ولتوضح المعاني بدلًا من التراشق بالحرومات والاتهامات، وما في القلوب سوى الإيمان الصحيح»[٧].

ويقول القديس ذهبي الفم: «إنه ممنوع على الأخص على المسيحيين أن يصححوا الذين وقعوا في الخطية بالعنف فنحن نحارب بأننا نأتي بالموت إلى الأحياء، بل نجاهد بأن نرجع الحياة إلى الأموات (بالخطية) وفي جهادنا

coptic-books.blogspot.com

هذا يجب أن نكون ودعاء متواضعين... أنا أقنع، ليس بالإجراءات القمعية بل بالكلام، وأريد أن أطرد لا الهراطقة بل الهرطقة. لقد تعودت أن أعاني من السحق لا أن أسحق أحدًا، وأن أحتمل الاضطهاد لا أن أضطهد أحدًا. المسيح كان منتصرًا وهو مصلوب وليس وهو صالب، لم يضرب بل تلقى الضربات»(٨)

كما أن كبريانوس أسقف قرطاجنه (الذي أُطلق عليه بابا شمال أفريقيا) يقول: « لا يصح لأي واحد أن يحارب بعناد عن أمور سبق وتعلمها وعرفها، حتى إذا اكتشف تعليمًا أفضل وأكثر نفعًا. فليعتنقه بطيب خاطر، لأننا لا نتأذى إذا قدم لنا شئ أفضل، بل فلنتعلمه على الأخص إن كان ذلك يعود علينا بوحدة الكنيسة وبإظهار الحق في رجائنا وإيماننا المسيحي»(٩) ويشهد عن حياة هذا القائد العملاق القديس أغسطينوس وهو يقدم نموذجًا عن السلوك المسيحي، فيصف حياة كبريانوس في الكلمات الآتية: «إن بهاء محبته المسيحية كان يشع أولًا بسبب أنه لم يكن يخفي ما يفكر فيه بل كان يعبر عن أفكاره بطريقة سلامية مترفقة، لذلك فلم يفصم الصلة أبدًا مع الذين لا يوافقهم في آرائهم. لقد فهم كم هي عظيمة منافع رباط الوحدة التي أحبها جدًا وصانها بغيرة شديدة، لأنه عرف جيدًا أنه حتى الذين يفكرون بطريقة مختلفة يمكن أن يظلوا داخل رباط المحبة، وأنه من أجل سلام وخلاص الكرمة السماوية الرقيقة لم يكن يشاء أن يقتلع القمح مع الزوان»(١٠)

إن آباء الكنيسة كانوا كسحابة شهود استطاعوا بنعمة الله العاملة فيهم أن يقدموا في الأزمنة الغابرة شهادة حية عن شخص الرب يسوع المسيح.لكن الأمر المؤلم والموجع أن بعضًا من هؤلاء بذلوا مجهودات ضخمة

coptic-books.blogspot.com

لكي يبحثوا في أمور عقائدية ذهنية فلسفية نظرية، وهي بلا شك أنها مهمة وضرورية جدًا، لكنهم أهملوا الجانب الحياتي في الإيمان، النواحي العملية التي تمس كيان وقلب الإنسان. لقد أبعدتهم المجادلات والحوارات الفلسفية والنظرية عن أن يقدموا المسيح المخلص للعالم. لقد اهتموا بالعقيدة على حساب الكرازة، والصياغات اللاهوتية على حساب الروحيات. لا يمكن أن ننكر الصياغات العقائدية واللاهوتية التي وصلت إلينا، وإن عبرت فهي تعبر عن فكر عميق ناضج، لكنها صيغ تحليلية جافة كان يعوزها أن تكون على قدم المساواة مع تقديم بشارة الإنجيل، واحتياج العالم إلى المخلّص، أكثر من أن يُصب كل الجهد والوقت فقط في حراسة العقيدة والمحافظة على سلامة التعليم.

إننا أحوج في هذا الزمان أكثر من أي زمان مضى أن تمد الكنيسة بكل طوائفها يد السلام والحب النقي والحوار البناء، فليس من أحد يملك الحق وحده. فالحق هو يسوع المسيح مخلص العالّم. إن حاجتنا الفعلية لا أن تصبح كل الكنائس كنيسة واحدة، بل هو أن تكون كل الكنائس على اختلاف طوائفها وتنوع عقائدها، وحدة واحدة. والوحدة لا تعني أن تتلاشى الكنائس الحالية لتكون كنيسة واحدة، بل الوحدة الحقيقية أن هذه الكنائس المتعددة والمتنوعة الفكر، تعمل معًا على انتشار ملكوت الله وسيادة المسيح على حياة البشر في عالمٍ مضطرب ومتزعزع. ولا يمكن أن يحدث هذا إلا من خلال الاتضاع والتلاقي والمعايشة الوجدانية من خلال حوار حقيقي ونقي الدوافع والنيات، يبحث عن النقاط الإيجابية والتعاليم الصحيحة فيما يقوله ويعلم به الآخر، في نفس الوقت نقد الذات من خلال معرفة نقاط الضعف

coptic-books.blogspot.com

والخطأ فيه وليس في الآخر. فهل يجتهد مؤمنو هذا الزمان وقادة الكنيسة المخلصين لمسيحهم في تعلم الدرس من الماضي، وأن نرسم خريطة روحية جديدة، ونطرح على هذه الخريطة رؤية بعيدة المدى أن نكون واحدًا ليؤمن العالم بالمسيح، الله المتجسد، الذي جاء ليخلّص البشر من معاناتهم وآلامهم وأوجاعهم. فقد جاء السيد المسيح ليكون لنا حياة وليكون لنا أفضل.

coptic-books.blogspot.com

لكي يبحثوا في أمور عقائدية ذهنية فلسفية نظرية، وهي بلا شك أنها مهمة وضرورية جدًا، لكنهم أهملوا الجانب الحياتي في الإيمان، النواحي العملية التي تمس كيان وقلب الإنسان. لقد أبعدتهم المجادلات والحوارات الفلسفية والنظرية عن أن يقدموا المسيح المخلص للعالم. لقد اهتموا بالعقيدة على حساب الكرازة، والصياغات اللاهوتية على حساب الروحيات. لا يمكن أن ننكر الصياغات العقائدية واللاهوتية التي وصلت إلينا، وإن عبرت فهي تعبر عن فكر عميق ناضج، لكنها صيغ تحليلية جافة كان يعوزها أن تكون على قدم المساواة مع تقديم بشارة الإنجيل، واحتياج العالم إلى المخلّص، أكثر من أن يُصب كل الجهد والوقت فقط في حراسة العقيدة والمحافظة على سلامة التعليم.

إننا أحوج في هذا الزمان أكثر من أي زمان مضى أن تمد الكنيسة بكل طوائفها يد السلام والحب النقي والحوار البناء، فليس من أحد يملك الحق وحده. فالحق هو يسوع المسيح مخلص العالّم. إن حاجتنا الفعلية لا أن تصبح كل الكنائس كنيسة واحدة، بل هو أن تكون كل الكنائس على اختلاف طوائفها وتنوع عقائدها، وحدة واحدة. والوحدة لا تعني أن تتلاشى الكنائس الحالية لتكون كنيسة واحدة، بل الوحدة الحقيقية أن هذه الكنائس المتعددة والمتنوعة الفكر، تعمل معًا على انتشار ملكوت الله وسيادة المسيح على حياة البشر في عالمٍ مضطرب ومتزعزع. ولا يمكن أن يحدث هذا إلا من خلال الاتضاع والتلاقي والمعايشة الوجدانية من خلال حوار حقيقي ونقي الدوافع والنيات، يبحث عن النقاط الإيجابية والتعاليم الصحيحة فيما يقوله ويعلم به الآخر، في نفس الوقت نقد الذات من خلال معرفة نقاط الضعف

coptic-books.blogspot.com

والخطأ فيه وليس في الآخر. فهل يجتهد مؤمنو هذا الزمان وقادة الكنيسة المخلصين لمسيحهم في تعلم الدرس من الماضي، وأن نرسم خريطة روحية جديدة، ونطرح على هذه الخريطة رؤية بعيدة المدى أن نكون واحدًا ليؤمن العالم بالمسيح، الله المتجسد، الذي جاء ليخلّص البشر من معاناتهم وآلامهم وأوجاعهم. فقد جاء السيد المسيح ليكون لنا حياة وليكون لنا أفضل.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

هوامش الفصل التاسع

(١) مصطفى الفقي، الحياة، ٢٠٠١/١٢/١١.

(٢) القاضي عباس الحلبي، أخلاقيات الحوار بين الحضارات على موقع Father Alexandros Assad.

(٣) ميلاتيوس بصل، حوار الأديان والتعايش، منتديات الشبكة الأرثوزكسية، ٨ فبراير ٢٠٠٩م.

(٤) المرجع السابق.

(٥) الأب بصل هو رئيس روحي في رام الله، دأب على إحياء الانتماء والروح الأرثوذكسي في عدة وسائل ومجالات، يعمل بنشاط في حقل الرعاية ودراسة الكتاب المقدس، وحقل التربية الرعائية فأسس قسم الموعوظين (مدرسة الأحد) وحركة الشبيبة الثانوية والجامعية والعاملة، وكذلك أسس مجموعة أبناء التجلي للأشخاص التي تجاوزت أعمارهم سن الرشد.

(٦) الأب بصل، المرجع السابق.

(٧) دراسات في آباء الكنيسة، أحد رهبان برية القديس مقاريوس، ٦٨٢.

(٨) المرجع السابق، ٦٨٢.

(٩) المرجع السابق، ٦٨٤.

(١٠) المرجع السابق، ٤٨٣.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

مراجع الكتاب

المراجع الأجنبية

Wiersbe, Warren W. Be Distinct. Old Testament Study, 2 kings & 2Chronicles.Ed: Carriage Brubeck, Vector: 2002.

Berkhof, Louis the History of Christian Doctrines. Wm. B. Eerdmans Publishing Company, U.S.A.1996.

A History Of The Christian Church, Williston Walker and Richard A. Norris, David W. Lotz, Robert T. Handy, Charles Scribner's Sons, New Work 1918.

Origen of Alexandria (c.185 – 254.AD),Life, works, and thoughts.

www.religion facts .com/Christianity/people/origen.htm.

WWW.latinseminary.org

P. Schaff & H. Wace, Nicene & Post Nicene Fathers, series 2, vol. VII, St Gregory of Nazianza, Ep. To Cledonius the Priest against Apollinarius, Eerdmans t. 1987

http://copticwave.com/patrology/patrologyfather20.htm

Philip Schaff .History of the Christian Church, Volume II: Ante-Nicene Christianity. A.D. 100-325.

coptic-books.blogspot.com

Sharke, Heather J. American Evangelicals in Egypt: Missionary Encounters in an Age of Empire, Princeton University Press.U.S.A.2008. Sedra, Paul D. John Lieder and his Mission in Egypt: The Evangelical Ethos at Work among Nineteenth-Century Copts, Journal compilation © 2009 Association for the Journal of Religious History.

المراجع العربية

١- أليوت، ستيورت. شخص المسيح في طبيعته الربانية والبشرية. سلسلة التراث الإنجيلي، ترجمة الدكتورة نبيلة حنا. القاهرة: الرابطة الإنجيلية بالشرق الأوسط، ٢٠٠٣م.

٢- جلال، شوقي، التراث والتاريخ. القاهرة: سينا للنشر،١٩٩٥م.

٣- نجيب، مكرم. محافظ أم متحرر. القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٥م.

٤- مجلس كنائس لشرق الأوسط. المسيحية عبر تاريخها في المشرق، برنامج الدراسات والأبحاث، تحرير، «حبيب بدر، سعاد سليم، جوزيف أبو نهرا». بيروت: مطبعة آيس ديازين، ٢٠٠٢م.

٥- الخضري، حنا. تاريخ الفكر المسيحي، يسوع المسيح عبر الأجيال، المجلد الأول. القاهرة: دار الثقافة،١٩٨١م.

٦- الخضري، حنا. تاريخ الفكر المسيحي، الجزء الثاني. القاهرة: دار الثقافة،١٩٨٦م.

٧- الخضري، حنا.تاريخ الفكر المسيحي،الجزء الثالث. القاهرة: دار الثقافة،١٩٩١م.

٨- شرقاوي، محمد ،التفسير الديني للتاريخ، الجزء الأول، مطبوعات الشعب.

٩- هورس، جوزف، قيمة التاريخ، ترجمة نسيم نصر. بيروت: منشورات عويدات، ١٩٨٦م.

١٠- كان التاريخية، المستقبل الرقمي للدراسات التاريخية، مجلة ألكترونية غير دورية. www.historicalkan.co.n

coptic-books.blogspot.com

١١- زكي، إميل. الكنيسة الإنجيلية المشيخية بمصر مائة وخمسون سنة، تعليم.. وشركة.. واحتفال. القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٥م.

١٢- جبور، اسبيروا، سر التدبير الإلهي (التجسد)، المنشورات الأرثوذكسية. طرابلس: مكتبة السائح، ١٩٨٠م.

١٣- بسترس، سليم الأب. اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، (الجزء الأول- الشر والخطية الأصلية- يسوع المسيح). سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم. بيروت: منشورات المكتبة البولسية، ١٩٨٤م.

١٤- دراسات في آباء الكنيسة، إعداد أحد رهبان برية القديس مقاريوس.القاهرة: دار مجلة مرقس بشبرا.٢٠٠٠م.

١٥- بيشوي، كتاب وثائقي عن كنيسة المشرق الآشورية النسطورية، تاريخها وحاضرها وعقائدها. الأسكندرية: دير القديسة دميانة بالبراري، ٢٠٠٣م.

١٦- يوحنا، منسى. تاريخ الكنيسة القبطية. القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٧٧م.

١٧- عطية، عزيز سوريال، تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة ميخائيل مكسي إسكندر. القاهرة: مكتاة المحبة، ٢٠٠٥م.

١٨- عوض، رمسيس، الهرطقة في الغرب. القاهرة: سينا للنشر، ١٩٧٧م.

١٩- المصري، إيريس حبيب، قصة الكنيسة القبطية. الأسكندرية: كنيسة مار جرجس باسبورتنج.١٩٨٨م.

٢٠- ملطي، تادرس يعقوب. الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والروحانية. الإسكندرية: الكنيسة الارثوذكسية باسبورتبج، ١٩٧٨م.

٢١- عزيز فهيم. الدكتور، علم التفسير. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٦م.

٢٢- عزيز فهيم. الدكتور، المدخل للعهد الجديد، القاهرة: دار الثقافة.

٢٣- موقع كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي، القس.الإسكندرية، مصر: http://St-Takla.org

coptic-books.blogspot.com

٢٤- لوريمر، جون، تاريخ الكنيسة، الجزء الثاني، ترجمة الدكتور فهيم عزيز. القاهرة: دار الثقافة،١٩٨٥م.

٢٥- لوريمر، جون، تاريخ الكنيسة، الجزء الثالث، ترجمة عزرا مرجان. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٨م.

٢٦- بدوي، جمال، مصر من نافذة التاريخ، مهرجان القراءة للجميع. القاهرة: مكتبة الأسرة، ١٩٩٥م.

٢٧- البنا، رجب. تاريخ ليس للبيع، مهرجان القراءة للجميع. القاهرة: مكتبة الأسرة، ١٩٩٨م.

٢٨- عثمان، حسن، منهج البحث التاريخي، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٠م.

٢٩- حنا، حسني، باحث، ما التاريخ وكيف يكتب، مقابلة أجرتها رانا رستم. نقلًا عن جريدة الوحدة السورية، ٢٠٠٤م.

٣٠- يزبك، قاسم، الدكتور،التاريخ ومنهج البحث التاريخي. بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٠م.

٣١- غنيمي، رأفت الشيخ، فلسفة التاريخ. القاهرة: دار الثقافة والنشر والتوزيع بالفجالة، ١٩٨٨م.

٣٢- فاروق عمر فوزي، دور التاريخ في التوعية القومية، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، ١٩٨٨م.

٣٣- غربال، محمد شفيق، تكوين مصر عبر العصور. مهرجان القراءة للجميع، القاهرة: مكتبة الأسرة، ١٩٩٠م.

٣٤- حسن، محمد، أوراق سقطت من التاريخ، القاهرة: دار الشروق،١٩٩٢م.

٣٥- رياض، زاهر، المسيحيون والقومية المسيحية في العصر الحديث.القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٩م.

٣٦- مجلس الإعلام والنشر بالكنيسة الإنجيلية، الغزو الإنجيلي للكنيسة

coptic-books.blogspot.com

الأرثوذكسية بين الحقيقة والوهم. القاهرة: دار الفكر اللاإنجيلي، ٢٠٠٩م.

٣٧- نصار، كرستين، الإنسان والتاريخ، أثر التاريخ وتأثره بسيكلوجية الفرد. لبنان: جرّس برس، ١٩٩١م.

٣٨- يوسف، أبو سيف، الأقباط والقومية العربية، دراسة استطلاعية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،١٩٨٧م.

٣٩- أحمد فؤاد، نعمات، أعيدوا كتابة التاريخ. القاهرة: دار الشروق، ١٩٧٤م.

٤٠- بن طلال، حسن، المسيحيَّة في العالم العربي، المعهد الملكي للدراسات الدينية، ترجمة. الأردن: مكتبة عمان، ١٩٩٥م.

٤١- نيقولا، فنيس، الكنيسة ومنظومة القيم، لاهوت وتنوير وحراك اجتماعي. القاهرة: مطبعة برس برس، ٢٠٠٨م.

٤٢- جويل، فريمان، تعايش مع ضميرك، ترجمة إدوارد وديع. القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٥م.

٤٣- صموئيل، شولتز، د. العهد القديم يتكلم، ترجمة أديبة شكري يعقوب. القاهرة: مطبعة السلام بشبرا،١٩٨٣م.

٤٤- بحر، سميرة. الأقباط في الحياة السياسية المصرية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م.

٤٥- لمعي، إكرام، الوجه الآخر للكنيسة، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٧م.

٤٦- أندراوس، عزت، موسوعة تاريخ أقباط مصر. http://www.coptichistory.org/new_page_1994.htm

٤٧- رولاند، بتنتون، مواقف من تاريخ الكنيسة، ترجمة القس عبد النور ميخائيل. القاهرة: دار الثقافة،١٩٧٨م.

٤٨- اسماعيل، عزيز، لماذا التاريخ، بحث منشور على النت يمكن الرجوع اليه على. www.readz.org

coptic-books.blogspot.com

٤٩- استفانوس، عبد المسيح. المسيحية والمسيحيون واللغة العربية في القرون الأولى حتى سنة ٦٠٠م.

٥٠- جمعية التعليم المسيحي بحلب، يمكن الرجوع إليه على النت.

٥١- موسوعة تاريخ أقباط مصر، على النت.

٥٢- الفقي، مصطفي. الأقباط في السياسة المصرية، مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية. القاهرة: دار الشروق،١٩٨٨م.

٥٣- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ترجمة القمص مرقص داود، القاهرة: مكتبة المحبة،١٩٧٩م.

٥٤- مؤنس، حسن. التاريخ والمؤرخون، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤م.

٥٥- قاسم، عبده، قاسم. ماهية الحروب الصليبية. الكويت: عالم المعرفة، الكتاب ١٤٩. ١٩٩٠م.

٥٦- متري نجيب، ملخص التاريخ القديم، مقتطف من أصدق المصادر وأصحها. القاهرة: مطبعة المعارف بالعجالة، ١٩١٣م.

٥٧- الرافعي، عبد الرحمن، عصر إسماعيل، ج١. ط٤. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م.

٥٨- بوتشر، لويزا، تاريخ الكنيسة المصرية، ترجمة وتلخيص وتعليق ميخائيل مكسي اسكندر. القاهرة: مكتبة المحبة، ٢٠٠٤م.

٥٩- ملطي، تدرس، يعقوب. الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والروحانية. كنيسة الإسكندرية، ١٩٨٧م.

٦٠- جوتشلك، لويس، كيف نفهم التاريخ، مدخل إلى تطبيق المدخل التاريخي. ترجمة عايدة سليمان عارف، وأحمد مصطفي أبو حاكمة. بيروت: دار الكاتب العربي، ١٩٦٦م.

٦١- رستم، سعد، دراسة تاريخية دينية سياسية واجتماعية. سورية: الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

coptic-books.blogspot.com

٦٢- اليتيم، ميشيل. جمعية التعليم المسيحي بحلب، بنفس العنوان على النت يمكن لإطلاع عليها، تحت عنوان تاريخ الكنائس الشرقية، ٢٠٠١م- ٢٠٠٢م.

٦٣- هلال، غنيمي، محمد. دراسات أدبية مقارنة. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨٥م.

٦٤- أبو قحف، محمد محمود، عبد الحميد. مدرسة الإسكندرية الفلسفية « التاريخ الحضاري والثقافي» « بين الفلسفة والدين»، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٤م.

٦٥- بالحاج، صالح ، سلوى، د. المسيحية العربية وتطوراتها (من نشأتها للقرن العاشر) . بيروت: دار الطليعة، ط٢، ١٩٩٨م.

٦٦- القمني، سيد، النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٠م.

٦٧- اسطفانوس، عبد المسيح، نحو لاهوت مصري معاصر، خطاب كلية اللاهوت الإنجيليَّة، مايو ١٨٨٢م.

٦٨- بباوي، حبيب، جورج. المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي، ٢٠٠٨م www. coptology.org

٦٩- اثناسيوس الرسولي، كتابات الآباء، ظهور المسيح المحيي، تعريب وتقديم وملاحظات جورج حبيب بباوي، ١٩٨٤م.

٧٠- مدخل إلى التراث العربي المسيحي، إعداد وتنسيق الأب أنطنيوس مقار إبراهيم.

٧١- زيدان، يوسف، اللاهوت العربي وأصول العنف الديني، القاهرة: دار الشروق، ط٣، ٢٠١٠ م.

٧٢- بدوي، جمال، محمد علي وأولاده بناة مصر الحديثة، مهرجان الأسرة، القاهرة: مكتبة الأسرة، ١٩٩٩م.

٧٣- دياب، عيسى، مدخل إلي الكنائس الإنجيليّة ولاهوتها، لبنان: مدرسة اللاهوت

coptic-books.blogspot.com

المعمدانية العربية، ٢٠٠٩م.

٧٤- يكن، إدوارد، مستشرق أمريكي، أقلية معزولة، القصة الحديثة لأقباط مصر، ترجمة نجيب وهبة (بحث غير منشور) Society of Cotic Studies, P.O Box 714, East Brunswick, NJ O881.

coptic-books.blogspot.com

هذا الكتاب

يكشف عن...

صفحات مخبوءة في تاريخ الكنيسة، في القرنين الرابع والخامس للميلاد.

يشرح بإسهاب..

المنهاج الفكري لكل من مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، ومدرسة أنطاكيا.

كما يوضح..

أسباب الخلاف بين كنيسة الإسكندرية، وكنيسة أنطاكيا، والذي لازالت أثاره باقية حتى الآن.

يناقش..

الكثير من الهرطقات التي ظهرت في القرنين الرابع والخامس للميلاد.

وكذلك يعطي رؤية معاصرة لتلك الأحداث.

ثم يتحدث عن حركة التنوير في مصر في عهد محمد علي.

وقراءة تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر.

ثم يتحدث عن...

أخلاقيات الحوار والجدل اللاهوتي.

دار الثقافة

١٠١٠٥٧٢

coptic-books.blogspot.com